ذكريات منتصف الليل

سيدني شيلدون

ترجمة: د. علي حداد

دار الخيال

للطباعة والنشر والتوزيع

بناية يعقوبيان بلوك ب طابق 3- شارع الكويت

المنارة - بيروت - 2036 6308

لبنان - تلفاكس : 009611-740110

E-mail: alkhayal@inco.com.lb

الاخراج والتنفيذ دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى 2007

سيدني شيلدون

ذكريات منتصف الليل

ترجمة: د. علي حداد

دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع

إلى ألكسندرا

مع حبي

العشق والضوء لا يلتقيان.

فإن أردت أن تكون عاشقاً

فانظم قصائد عن العتمة والليل

عن ذكريات منتصف الليل

ساكو

قبل البدايـــة

كاولون ـ أيار 1949

ـ أريد كل شيء وكأنه قضاء وقدر. فهل تستطيع؟

سبق للتحري السويدي، أن سمع الكثير عن حقارة محدثه وكان يشك بصدق ما سمع، إنما، هو الآن مجبر على التصديق. شعر بالإهانة فساءل نفسه أيعتقدني مجرماً هاوياً؟ أم يعتقد نفسه يتكلم مع إنسان التقاه صدفة في أحد أزقة هذه المدينة التي نادراً ما تجد فيها مجموعتين بشريتين أو ثلاثاً، تتحدث باللغة ذاتها؛ فلكل مجموعة لغتها وعاداتها وتقاليدها وحتى ديانتها. إنها مدينة قديمة. يقصدها السواح من جميع أقطار العالم، لكنّهم يحاذرون من دخول ضاحيتها، حيث ينتشر اللصوص والمجرمون السفاحون وحيث لا قدرة لأحد، حتى للشرطة، على فرض الأمن والقانون.

تجاهل التحري ما شعر به، «نعم... سيكون لك ما تريد. ولكن، أتريد الحادث داخل المنزل، كالسقوط على الأدراج من طابق إلى آخر؟... أم وكأن الضحية تناولت جرعة زائدة من الهيروين. وما شابه. أم تريد ذلك خارج المنزل. حادث سير مثلاً، أو الإختفاء في البحر؟... وكن على ثقة أني لن أترك أثراً للجريمة.

ـ الأمر متروك لك. تصرّف كما تشاء.

ـ وأين هي الضحية المرتقبة؟ هنا في كاولون؟

ـ لا... إنها في لندن... تدعى كاترين.. كاترين ألكسندرا.

انتهى اللقاء، وانطلقت سيارة الليموزين متبوعة بسيارتين تقلان الحراس المسلحين، باتجاه البيت الأزرق الواقع على رأس تلة مشرفة على المدينة.

كان البيت الأزرق، مقصد الخاصة من رجال الأعمال والسياسة وأشهر نجوم السينما، ذكوراً وإناثاً، لا أحد يعرف ما يجري في داخله. منذ سنوات، تجرأت خادمة وسربت لأحد الصحفيين بعضاً من أسرار هذا البيت، فماذا كانت النتيجة؟ وجدت عارية مقطوعة اللسان في كوخ مهجور بالقرب من ميناء أبيرون.

في البيت الأزرق، كل المحرمات، محللة، وكل شيء للبيع، من العذارى الصغيرات السن، إلى الغلمان. إلى النساء الراشدات إلى الرجال، ولا عجب إن رأيت في إحدى غرفه شلة من الرجال الذين تجاوزوا الستين من العمر، يتلذذون برؤية السحاقيات يمارسن الجنس أمامهم، أو فتى أغر يفض بكارة عذراء، لم تبلغ السادسة عشر من العمر بعد، كل ما هو ممنوع خارج جدرانه مسموح داخله.

توقفت الليموزين أمام الدرج المرمري المؤدي إلى غرفة الجلوس الخاصة، حيث كانت فتاتان من أجمل صبايا العالم، تنتظران وصول صاحب المنزل، عاريتين. لا لتمارسا الجنس الشاذ وحسب، بلا ولإشباع غريزته، التي لا تشبع والتفنن في إبساطه.

ثلاث ساعات، وهما تتباريان على ذلك. ثلاث ساعات فقط، لأن عليه التوجه إلى مطار هونغ كونغ، حيث طائرته الخاصة، بالإنتظار، لتعيده، إلى المدينة الأحب على قلبه، إلى أثينا.

الفصل الأول

كل ليلة، وعند منتصف الليل، كانت تستفيق من نومها مذعورة، غير قادرة على الحركة: إنه الكابوس ذاته. رجلٌ وامرأة يحاولان إغراقها... فيستولي عليها الخوف، وتستفيق من نومها طالبة النجاة.

إنها لا تعرف شيئاً عن ماضيها، ولا من تكون. تتقن الإنكليزية، ولكن من أي بلد هي، وكيف وصلت إلى هنا، إلى دير الراهبات الكرمليات في أثينا.

ليلة بعد ليلة، ويوماً بعد يوم، بدأت تتكشف لها أشياء مثيرة، أشياء بسيطة لكنّها تُغذّي ذاكرتها. إلى جانب الكوابيس، هناك صور تتراءى، كلمح البصر. تجعلها تزيد من تساؤلاتها.

في البدء، كانت الراهبات متفهمات لوضعها، يعاملنها بلطف وحنان، إنما دون كلام، دون إعطاء أجوبة. وحدها الأخت تيريزا، الأم الرئيسة. كان يحق لها أن تتكلّم، إن رغبت في أن تتكلم.

ـ هل تعلمين من أنا؟...

ـ لا يا صغيرتي... أجابت الأم تيريزا.

ـ كيف وصلتُ إلى هنا... إلى هذا الدير؟

ـ هناك، عند سفح تلك الجبال، مدينة تسمى أيونينا وهناك بحيرة أيضاً... وأنتِ كنتِ مغمياً عليكِ في قارب صغير يصارع الموج العالي بسبب سوء الطقس وشدة الرياح. كان القارب يشارف على الغرق، ولكن، بفضل محبة الله، كان هناك راهبتان، أنقذتا حياتك وأتيتا بك إلى هنا.

ـ ولكن... أين كنت قبل ذلك؟

ـ متأسفة يا صغيرتي... لا أعرف شيئاً.

لم تقتنع بما سمعت «أما حاول أحدٌ البحث عن حقيقة أمري؟... من أكون؟ كيف وضعت في القارب؟ أو أما حاول أحد الإتصال للسؤال عني؟».

ـ لا أحد... لا أحد مطلقاً.

كان بودها لو بمقدورها البكاء، أو النحيب حتى، لكنها كانت عاجزةً، لذا تابعت متسائلة «وماذا عن الصحف؟... لا ريب أن إحداها، على الأقل، كتبت شيئاً عن اختفائي».

ـ كما تعلمين، نحن هنا، منقطعات عن العالم الخارجي ومتفرغات لعبادة الله المشكور على ما يعطينا ويهبنا من رحمة... المهم، ها أنت الآن، بفضل مشيئة الله، ما تزالين حية.

في البدء، بدء حياتها في هذا الدير، كانت مرهقة متعبة إلى حدود الإحساس بالإعياء، ولكن يوماً بعد يوم، أخذت تتعافى، صار بمقدورها التجوُل في الحديقة والتمتع بأجمل المناظر وتتنشق عطر الورود وشذا أزهار الليمون.

كانَ الطقس دافئاً، والشمس تطلق أشعّتها في كلّ اتّجاه والهدوء يعم الدير وحدائقه، إلا أنها لم تعرف الهدوء الداخلي: «أنا خائفة، ولا أحد يهتم بأمري. لماذا؟ هل ارتكبت إثماً؟... من أنا؟... من أنا...؟».

وتتالت الصور الآتية من الماضي، إنها تقف أمام رجل عار، ينزع ثيابها قطعة قطعة، ويداعب جسدها. أهو حلم؟... أو أنه شيء من الماضي؟ من هو هذا الرجل؟ هل كنت متزوجة؟ ولكن لا خاتم زواج في إصبعي. إنها إنسانة مجهولة، تعيش وسط غرباء، لا أحد يمد لها العون، لا أحد يحاول انتشالها من الحيرة الغارقة فيها. ولكن لن تستسلم. وهكذا، صارت الصور أكثر وضوحاً، وأكثر دلالة، رأت نفسها وسط قاعة تصوير واسعة، رجال يرتدون بزات عسكرية وكأنهم يقومون بتمثيل مشهد سينمائي. «فهل كنت ممثلة؟» ها هو جندي يقدم لها باقة ورد «عليكِ الإهتمام بنفسك». بعد ليلتين، عادت ورأت الرجل ذاته في حلم آخر، رأته يلوح لها مودعاً وهو يتجه نحو إحدى الطائرات. فاستفاقت منتحبة لفقدانه.

لا سلام داخلياً بعد الآن، تأكدت أن كل أحلامها، ليست أحلاماً، بل جزءاً من ماضيها. «عليّ معرفة من كنت؟ ومن أكون؟» وفجأة، وعند منتصف الليل، ودون سابق إنذار سمعت هاتفاً داخلياً «كاترين...» إذن أنا كاترين ألكسندر.

الفصل الثاني

أثينا ـ اليونان

كان قسطنطين ديميريس، واحداً من أغنى أغنياء العالم الذين لا يتجاوز عددهم أصابع اليد، إن لم نقل، أقل من ذلك. لم يكن له أي لقب ولا موقع رسمياً في بلاده، لكنه، كان واسع النفوذ وشديد التأثير في مجريات الأحداث السياسية في العديد من بلدان العالم، كان يعين، أو يقيل، رؤوساء الحكومات، الوزراء، السفراء، رؤوساء الدول وحتى رجال الدين ذوي الرتب العالية. نادراً ما كان يوجد من يسمح لنفسه ألا ينفذ أوامره أو رغباته. كان يتمتع بشخصية مميزة، ولا تستطيع أية امرأة مقاومته. يتكلم ثماني لغات، سلس الحديث، يمتلك أوسع تشكيلة من اللوحات الفنية الممهورة بتوقيع كبار الرسامين ذوي الشهرة العالمية، العديد من السفن، الطائرات الخاصة، الشقق الفخمة، القصور، الفيلات، في العديد من دول العالم، وحوله تتحلق النساء إن الراغبات بالمال، أو المنجذبات نحو الحنان والدفء الجسدي.

كان يدعي أنه يوناني أصيل، محب لوطنه، متفانٍ من أجله، لذا فعلم اليونان بلونيه الأزرق والأبيض، يرفرف، فوق قصوره وفيلاته ومؤسساته، في أي مكان من العالم، و في الوقت ذاته، كان يتهرب من

دفع ما يستحق عليه من ضرائب، ولا أحد يجرؤ على قول ذلك، وكأن الدم الذي يجري في عروقه هو دم إلهي.

كثيرون، كانوا يقصدونه، طلباً للمساعدة والإحسان، ونادراً ما كان يرفض لهم طلباً. مبدؤه الأساسي «دع أصدقاءك إلى جانبك، أما أعداؤك، فدعهم أقرب إليك من أصدقائك». كل من عرفه اعتبره رجل إحسان وبر، رجلاً وطنياً، محباً، عطوفاً، حتى أولئك الذين أرّخوا حياته، اعتبروه هكذا، لا أحد، كان يعلم أن خلف هذا المظهر الإنساني، هناك إنسان سافل حقير، مجرم يستبيح كل المحرمات، لا رادع أخلاقي يردعه ولا خوف من عقاب الله. العدالة، في قاموسه، تعني الإنتقام، فالويل لمن يحاول اعتراض طريقه أو يسيء إليه. فلا شك أنه سيُدَمَّر، إن عاجلاً أو آجلاً.

لم يكن يتسّرع في انتقامه، كان يمهل ولا يهمل. يدرس شخصية عدوه، ويتعرف على نقاط ضعفه، ونقاط قوته، ويترقب الفرصة المناسبة للإنقضاض عليه. كما ينقض النسر على فريسته، ولو بعد سنوات. أثناء إحدى الحفلات، كان منتج سينمائي معروف يتحدث عنه، دون أن يذكر اسمه، مكتفياً بالإشارة إليه «بذاك اليوناني» وبعد سنين أجبره على إعلان إفلاسه، حين كان، ما يزال في الخامسة عشر من عمره، تعرض لحادث نصب من قبل صديق حميم، فانتظر أربعة عشر عاماً، ليجعل منه لا مفلساً وحسب، بل مشرداً في الشوارع، يتسول ثمن لقمة عيشه، وكان في قرارة نفسه، يتمنى لو بمقدوره منع الناس من الاحسان إليه.

في الوقت ذاته، كان للعدالة في قاموسه معنى آخر «لا تنسَ من أحسن إليك» صياد سمك أواه ليلة في كوخه على شاطىء البحر، وجد

نفسه بعد عشرين عاماً، يمتلك سفينة صيد حديثة، بائعة هوى، أشفقت عليه مرة فاشترت له سترة تقيه البرد، فإذ بها، وبعد عقدين من الزمن، تصبح صاحبة بناية فخمة في أكبر شوارع أثينا، والأهم، أن لا الصياد عرف من أحسن إليه وملّكه السفينة ولا بائعة الهوى.

نادراً، ما أكل قسطنطين وأخوته الأربعة عشر حتى الشبع، كان والده يعمل حمالاً على رصيف الميناء، يشقى ليل نهار، ليطعم عائلته، ورغم هذا، كان قسطنطين يحلم أنه سيصبح ثرياً، وأن اسمه سيتردد على كل شفة ولسان.

بعيد عيد ميلاده السابع عشر وقّع عقداً للعمل في حقول النفط في المملكة العربية السعودية. وحين سأله والده «وماذا تعرف عن النفط وحقوله؟» بكل بساطة أجاب، «لا أعرف شيئاً، ولكن سأصبح يوماً ما، من رجال النفط في العالم».

خطط للإقامة في السعودية أطول فترة ممكنة، غير آبه بما سيعترضه من مشقات ومصاعب، غير مكترث لصعوبة الحياة في صحراء قاحلة لا تقل درجة الحرارة فيها عن الأربعين درجة مئوية.

ذات صباح صيفي، وصل قسطنطين إلى مركز عمله، وليقيم في منزل حجري مخصص للعمال، وسط الصحراء القاحلة حيث الذباب، والبرغش والأفاعي، وحيث حشد كبير من العمال الذين أغلبهم من السعوديين والنساء اللواتي يضعن النقاب على وجوههن.

ـ أهلاً بك بني في هذه البلاد النائية. قال مدير شؤون الموظفين.

ـ شكراً سيدي.

ـ هل سبق لك وعملت في هذا المجال؟... لا أعتقد ذلك. فأنت ما تزال صغير السن.

ـ لا.. لم يسبق لي أن عملت في حقول النفط.

ـ إذن عليك أن تعيش هنا، في هذه الأرض القفراء، طعام رديء، لا نساء جميلات، وإياك محاولة التغزل بإحداهن، وإلا ستجد نفسك مخصياً، بعد يومين أو ثلاث ليس أكثر. ومن الأفضل أن تعمل ليلاً، هكذا تحصل على أجر أعلى.

ـ أنا هنا لأتعلم... وسأحاول جاهداً أن أتعلم.

ـ حسناً... إن أول شيء عليك معرفته، هو أنك في بلد إسلامي؛ تُقطَع يدُ السّارق فيه، وإن قتلت أحداً، يقطع رأسك بالسيف.

ـ ما أتيت إلى هنا، لأسرق أو أقتل أحداً.. أتيت لتأمين مستقبلي.

سرعان ما اكتشف قسطنطين أنه يعيش في برج بابل. عمال من جنسيات متعدّدة. لا أحد يتكلم إلا بلغته الأم، فأخذ يصغي إليهم بانتباه كلي ويحاول تعلم أكثر عدد ممكن من اللغات، من هنا، هو اليوم يتقن ثماني لغات، واكتشف أيضاً. أن الأميركيين هم الذين يتولون الوظائف العليا، منهم المهندسون، والمشرفون على العمل والكيميائيون والجيولوجيون والعاملون على آلات الحفر، فقرر التقرب منهم. واكتشف أيضاً أن هناك نوعين من آلات الحفر، نوع يعمل بطريقة الضغط وآخر يعمل بطريقة الدوران، فآلى على نفسه أن يستفسر عن كل شيء. ولهذا تركزت أسئلته، حول «كيف، لماذا ومتى؟» مما حدا بأحد المهندسين على سؤاله «أتسعى للعمل على آلة الحفر يوماً ما؟».

ـ لا... سيدي، أنا أخطط لأكون واحداً من مالكي آبار النفط.

ضحك المهندس. لكنه أكبَرَ طموح هذا الفتى الأغر «تهانينا» أما الآن، فعد إلى عملك».

كان قسطنطين يعمل بلا كلل ولا تذمر. ولماذا يتذمر، فقد أطلعه مدير شؤون الموظفين على الحقيقة دون كذب أو مواربة لا عطلة اسبوعية. فقط الليل وحده مخصص للراحة، رغم معاناته من التعب، كان يتابع أخبار اكتشاف الآبار النفطية، في كل الحقول، وفي منطقة القطيف خاصة. كان دائم التساؤل وعن كل شيء. عن الحفارات، عن الجرافات، لماذا نحفر هنا وليس هناك. عن كيفية وضع الخرائط. كان يعي أن دربه طويل، وأن عليه ألا ييأس، والأهم، كان يعي أهمية المعلومات التي يحاول الحصول عليها من خلال تساؤلاته عن المهندسين والجيولوجيين والحفارين.

مرت شهور وهو على هذه الحال ولا وافدين جدداً سوى هنري بوتر، الجيولوجي الإنكليزي ابن الستين عاماً وزوجته سيبيل ابنة الثلاثين عاماً، ذات الصوت الأجش، وبرغم عدم جمال وجهها، فإنها، هنا، تبدو كملكة جمال العالم. إنها الوحيدة الحاسرة الرأس. كان هنري كثير الغياب عن زوجته لانشغاله في مسح المناطق، والبحث عن احتمال وجود النفظ فيها، تمهيداً لبدء الحفر. وكثيراً ما كان هنري، يبيع تقارير لرجال الأعمال الكبار، فيشترون المساحات الواسعة بأبخس الأثمان، ومن ثم وبعد اكتشاف النفط، يجنون الأرباح الطائلة.

لم يكن قسطنطين يدري لماذا اختير دون غيره من العمال، ليساعد السيدة بوتر أثناء غياب زوجها، إضافة إلى عمله الأساسي.

ـ إنه أسوأ مكان زرته في حياتي. قالت السيدة بوتر بصوتها الأجش وتابعت «لست أدري لماذا اصطحبني هنري إلى هنا؟».

ـ يبدو واضحاً إنه غير قادر على الإبتعاد عنك. إنه يقوم بعمل رائع. قال قسطنطين محاولاً تهدئة خواطر السيدة.

ـ لكنه لا يقوم بكل ما يتوجب عليه.. أفهمت ما أقصد؟

ـ لا سيدتي.

ـ ما اسمك أيها الفتى؟

ـ ديمريس... قسطنطين ديمريس.

ـ وأصحابك ماذا ينادونك؟

ـ كوستا.

ـ حسناً يا كوستا. أتمنى أن نصبح أفضل صديقين. الحقيقة، أن لا شيء يربطنا ـ أعني أنت وأنا ـ بهؤلاء الرعاع.

ـ الرعاع؟

ـ نعم هؤلاء القادمون من البلاد المتخلفة الذين تفوح رائحة القذارة من أجسادهم وثيابهم.

ـ أتمنى ذلك سيدتي. ولكن أتسمحين لي الآن أن أعود إلى عملي؟

ومرت الأيام وبضعة أسابيع، وسيبيل، لا تترك مناسبة تمر. إلا وترسل بطلبه حتى لأتفه الأسباب، وتحاول توطيد علاقتها به..

ـ أترى يا كوستا؟ هنري لا يهتم إلا بعمله، إنه شغوف بحفر الآبار فقط، حتى بدأت أتمنى لو أني بئر ليحفرني.

لم يتفوه كوستا بأية كلمة. فهو يخشى التورط بعلاقة حب معها، لما لزوجها من نفوذ في الشركة، ويعلم كل العلم، أن عمله هنا هو الخطوة الأولى على طريق تحقيق أحلامه. لذا لم يكن يرفض لها طلباً، وفي الوقت ذاته لا يسمح لها بإغوائه. لكن سيبيل كانت ترى فيه، الفتى القادر على إشباع غريزتها. فهو، عدا عن وسامته، أوروبي المنشأ، تفوح من جسده رائحة الشهوة.

ذات ليلة، وعند منتصف الليل، أرسلت بطلبه. كان يغط بنوم عميق، ويحلم بآبار النفط. فماذا تريد منه هذه الإنسانة؟ ارتدى ثيابه وتوجه إلى شقتها. حيث كانت تنتظره مرتدية ثياب نوم جد شفافة، لا تستر شيئاً من الجسد.

ـ أدخل يا كوستا...

ـ وكيف لي أن أخدمك يا سيدتي في هذا الوقت المتأخر من الليل؟

ـ هناك عطل في الضوء قرب السرير. وأشارت إلى الزاوية، حيث طاولة صغيرة عليها قنديل كهربائي.

اتجه كوستا، نحو الزاوية، فاكتشف أن الشريط غير موصول بمصدر الطاقة، أحس بجسد سيبيل، يلتصق بجسده، وبحلمتي نهديها تلامسان ظهره. وبيديها تتحركان على جسده، وبشفتيها تقبلان عنقه.

ـ سيدة بوتر...

ـ لا تتفوه بأية كلمة، كل ما عليك هو إشباع جسدي. استدار كوستا، فأصبحا وجهاً لوجه. إنها المرأة الأولى منذ زمن، يجد امرأة شبه عارية تقف أمامه. لامست شفتاها شفتيه، فيما يدها اليمنى تداعب جسده واليد الأخرى تشده إليها، ثم ألقته على السرير، ورمت بجسدها فوق جسده، وهي تخلع قميصه وتقبل عنقه وصدره، حتى بات راغباً بها، أكثر مما هي راغبة فيه. إنها تطلب جسداً عامراً بالحياة، وهو عاجز عن صدها. حتى صوت تأوهاتها، كان يثير غريزته فاستسلم غير آبه بشيء ولا بالعواقب.

ـ هكذا أريدك يا كوستا، أما جئت إلى هنا لتعمل في حفر آبار النفط، فاعتبرني بئراً واحفر بي. وبدل حفر بئر واحدة، حفر كوستا آباراً، وصوتها الأجش تحول إلى صوت كنار يزقزق.

ـ أحبك يا كوستا... أحبك بكل جوارحي.

ماذا لو عرف زوجها؟ لا شك سيقضي علي نهائياً. وستتحطم الأحلام. هذا ما فكر به.

ـ هذه هي البداية يا كوستا. ولن يعرف أحد بما جرى بيننا، أنت لي... وإياك أن ترفض هذا وإلا...؟

ـ وإلا ماذا سيدة سيبيل؟

ـ لا تقل سيدة... أما ترى أنك تطارحني الغرام وأنك عارٍ في سريري؟

ـ حسناً وإلا ماذا سيبيل؟

ـ لا ضرورة للإجابة، فأنت تعرف.

أدرك كوستا ما تعنيه، وهكذا وجد نفسه في سريرها كلما كان هنري في مهمة لعدة أيام، ولم تعد العلاقة، علاقة جسد، بل علاقة حب متبادل.

ـ وأنت لم تخلق للعمل هنا يا كوستا، لذا سنعود معاً، أنت وأنا إلى بريطانيا.

ـ لكنني من اليونان.

ـ ليس هماً. المهم أنك ستعود معي إلى بلادي، وستتزوج هناك بعد طلاقي من هنري.

ـ سيبيل... لن يكون هذا... فأنا لا أمتلك مالاً..

كانت شفتاها تتحركان على صدره «لا عليك يا حبيبي، فأنا أعرف كيف أجعلك تكسب المال الوفير».

ـ أحقاً ما تقولين؟

ـ نعم.. واستوت في جلستها على السرير، ونهداها تتدليان على وجه كوستا. «أمس أخبرني هنري، أنه اكتشف منطقة غنية بالنفط ووضع تقريراً مفصلاً عن ذلك، طلب مني إرساله إلى أحد المتمولين الكبار... هل ترغب بقراءته؟».

ـ أكون شاكراً...

نزلت سيبيل عن السرير واتجهت نحو الطاولة عند الزاوية وعينا كوستا تلاحقان كل حركة من حركات جسدها. فنزل هو بدوره عن السرير ليغمرها ويشدها إليه وهو يشبع كتفيها وظهرها تقبيلاً.

ـ تعالي.. دعك من التقرير الآن... كان يكذب بقوله هذا، لكنه كان يعرف مدى تأثير هذه الكلمات عليها.

ـ أتحبني يا كوستا؟

ـ لو لم أكن أحبك بجنون، لما كنت سألتك إهمال التقرير للبقاء إلى جانبي.

عادت سيبيل، والتقرير بيدها، وجلست إلى جانبه على السرير، قرأ كوستا التقرير أكثر من خمس مرات، منذهلاً، إنه تقرير يدور حول وجود آبار، قد تكون أكثر الآبار إنتاجاً.

ـ أرأيت يا كوستا.. ها نحن أصبحنا أغنياء.

ـ لا... ليس بهذه السهولة يا سيبيل.

ـ لماذا؟

ـ أنا لا أمتلك أكثر من ثلاثمائة دولار، وهذا مبلغ غير كافٍ لشراء تلك الأرض التي يشير إليها تقرير هنري.

ـ لا تقلق. إن كنت أنت لا تملك المال الكافي فهنري يملك الكثير، سأعطيك خمسة آلاف دولار.. أيكفي هذا؟

شهق قسطنطين «نعم... نعم.. ولكن لست أدري ما سأقول».

ـ لا تقل شيئاً يا حبيبي إني أقرضه لك من أجل سعادتنا معاً.

بعد شهور قليلة. تفجر البترول في تلك المنطقة. وتحول قسطنطين ديميريس إلى واحد من أغنياء العالم، وأعاد المبلغ إلى سيبيل وعاد إلى بلاده دون أن يراها.

الفصل الثالث

قبل اختراع الراديو، لم يكن أحد يصدق، أن الأصوات تنتقل عبر الفضاء من مكان إلى مكان آخر مهما كان بعيداً، كان هناك من يقول إن الفضاء الخارجي مليء بأصوات السابقين، لكن الناس كانوا يعتبرون هذا القول ضرباً من الجنون ويتساءلون: هل هذا يعني، أننا قد نسمع صوت شكسبير يوماً ما؟ إنها خرافات وترهات.

لكن كاترين ألكسندر كانت تسمع أصواتاً من ماضيها، أصواتاً، لا تكوّن جملاً مفيدة، وبالوقت ذاته تجعلها تتساءل «من أنا؟».

ـ أتعلمين أنت إنسانة مميزة... مميزة جداً يا كاترين.

ـ انتهى كل شيء... إني أطلب الطلاق. أنا مغرمة بإنسان آخر.

ـ لقد حاول قتلي.

ـ من حاول قتلك؟

ـ زوجي... إنه زوجي من حاول قتلي.

أصوات وأصوات، لا تتوقف، والعذاب مستمر. كان الدير يؤمن لها الملجأ النفسي، لكنه تحول إلى ما يشبه السجن. «أنا لا أنتمي إلى هذا المكان... ولكن إلى أي مكان أنتمي؟». تساؤلات وتساؤلات ولا

أجوبة شافية. ليس في الدير أية مرآة، فالراهبات هنا، منقطعات كلياً عن العالم الخارجي، فلماذا المرايا إذن؟ في الحديقة بركة ماء صافية، أحنت كاترين رأسها وراحت تتأمل بانعكاس وجهها على صفحة الماء. إنها ترى امرأة بحدود الثلاثين من العمر، امرأة جميلة، إنما عيناها حزينتان. امرأة لا ماضي لها ولا مستقبل «أنا بحاجة إلى من يساعدني.. بحاجة إلى من يكلمني واكلمه». ليس هناك سوى الأخت تيريزا.

ـ أيتها الأخت تيريزا...

ـ نعم يا ابنتي.

ـ أعتقد أني بحاجة إلى طبيب... بحاجة إلى من يساعدني لأعرف من أكون.

نظرت الأخت تيريزا ملياً إلى كاترين. قبل أن تطلب منها الجلوس على كرسيّ إلى جانبها.

ـ إسمعي يا عزيزتي، وحده الرب قادر على ذلك، فهو، إن كان راغباً، سيجعلك تعرفين على ما يريد هو أن تعرفي...

تذكرت كاترين أن رجلاً كان يقف معها في حديقة الدير، لكنه اختفى ولم يعد.

ـ أنا لا أنتمي إلى هنا، أخت تيريزا.

ـ إذن.. إلى أي مكان تنتمين؟

ـ لست متأكدة... اعذريني أخت تيريزا.. غير أني متأكدة أني لا أنتمي إلى هذا الدير.

ـ ولكن.. إذا غادرت هذا المكان، فإلى أين ستذهبين؟

ـ لست أدري...

ـ إذن دعيني أفكر بالأمر.. ونتكلم لاحقاً.

ـ شكراً أخت تيريزا.

بعد خروج كاترين، استغرقت الأخت تيريزا في التفكير. فإن كانت كاترين لا تدري إلى أي مكان تنتمي، فهي لا تدري ما عليها أن تفعل. لكنها توصلت إلى القرار النهائي، فأمسكت قلماً وورقة وراحت تكتب.

«سيدي العزيز... هناك أشياء لا بد أن اطلعك عليها. صديقتنا كاترين ترغب بالخروج من الدير... أرجوك أبلغني بما عليّ أن أفعل».

«إذن كاترين ألكسندر تريد العودة إلى الحياة» قال لنفسه وهو يقرأ رسالة الأخت تيريزا. «إذن علي التعامل معها بحذر... بحذر كلي».

صباح اليوم التالي، كان قسطنطين ديميريس في طريقه إلى دير الراهبات الكرمليات في أيوفينا. وكان يتذكر كيف التقى كاترين الكسندر لأول مرة. كانت إنسانة جميلة جداً تتمتع بروح الدعابة، تحب الحياة. بكلمة واحدة، كانت تمتلك جميع المواصفات المطلوبة في نظره لكنها، بعد أن تزوجت من أحد طياريه، تحولت إلى إنسانة أخرى زاد وزنها، صارت تكثر من شرب الكحول، حتى بدت وكأنها أكبر من عمرها بعشر سنوات على الأقل.

ـ كنت أتمنى ألا أزعجك... قالت الأخت تيريزا... ولكني وجدت نفسي حائرة، إنها تلح على الرحيل.

ـ حسناً فعلتِ... قال قسطنطين دميريس، وتابع متسائلاً «ولكن هل تتذكر شيئاً من الماضي؟».

ـ لا.. لا تتذكر شيئاً...

نهضت الأخت تيريزا واتجهت نحو النافذة «إنها الآن في الحديقة، تعمل إلى جانب الراهبات».

تقدم دميريس ووقف إلى جانب الأخت تيريزا وراح ينظر من النافذة. حدق ملياً... إنها جميلة جداً...

ـ أترى سيد دميريس.

ـ نعم.

ـ وماذا تريد أن أفعل؟

ـ دعيني أفكر بالأمر... وقريباً... قريباً جداً أقول لكِ.

ـ مع أن زمن الأعاجيب ولّى.. لكن هذه أعجوبة جديدة. أحلامي ستصبح حقيقة؟

ـ نعم يا ابنتي... فقد اتصلت بصديق للدير وأخبرته عنكِ، فأبدى كل الإستعداد لمساعدتك.

ـ كاد قلب كاترين يقفز من مكانه «يساعدني... كيف؟».

ـ هذا أمر متروك له ليخبرك كيف. إنه إنسان لطيف ومهذب.. وستتركين الدير.

وأخيراً، ستخرج كاترين من الدير وتعود إلى عالم غريب لا تتذكر عنه شيئاً «ولكن من يكون هذا المحسن؟».

ـ كل ما يمكنني قوله، إنه إنسان محب وعطوف. فعلاً أنتِ إنسانة محظوظة. صباح الإثنين القادم، ستكون سيارته بانتظارك هنا...

لم تصدق كاترين ما سمعت. وأخيراً ستعود إلى الحياة الطبيعية. لكنها أحست بالخوف «قد يكون من الأفضل ألا أعرف من أنا... أرجوك ربي لا تتخلَ عني».

عند السابعة صباح الإثنين، كانت كاترين تقف إلى جانب سيارة الليموزين تودّع الأخت تيريزا.

ـ سوف نصلي من أجلكِ يا صغيرتي... واعلمي، إن رغبتِ بالعودة إلينا، فمكانكِ محفوظ هنا... تذكري ما أقول.

ـ شكراً أخت تيريزا... وتأكدي أني سأتذكر هذا... ولن أجد مكاناً أفضل من هذا الدير، إن رغبت. سأتذكر ذلك...

إنه لأمر رائع أن تكون خارج هذا الدير ـ السجن. على طول الطريق من إيوفينا حتى أثينا، كانت الصور الغريبة تتراءى لكاترين، وكان الخوف يسيطر على تفكيرها، فهل تستطيع أن تكتشف الحقيقة؟ حقيقة من هي؟ أم أنها ستواجه بمن يحاولون جاهدين إخفاء هذه الحقيقة عنها؟ كل شيء كان غريباً عنها. و في الوقت ذاته يبدو مألوفاً «ترى هل سبق لي وتجولت هنا؟».

وأخيراً توقفت الليموزين أمام فيللا ضخمة قائمة على رأس تلّة مشرفة على أثينا، وما إن وطأت رجلها الأرض، حتى استقبلت بالتأهيل والترحاب.

ـ هل أنت هو الشخص الذي أتيت لمقابلته؟

ـ لا.. أنتِ آتية لمقابلة السيد ديميريس وهو ينتظرك في مكتبه.

لم تكن قد سمعت بهذا الاسم من قبل. إذن، ما السبب الذي يدفعه للاهتمام بها؟

ـ إنه بانتظارك الآن سيدتي.

دخلت كاترين غرفة مكتب السيد ديميريس: لوحات لأشهر الرسامين، رفوف تئن تحت الكتب المجلدة فنياً، المزخرفة بالذهب وخلف طاولة عليها ملفات ووثائق يجلس رجل وسيم الطلة، ما إن رآها حتى وقف مرحباً بها.

ـ أهلاً بكِ سيدتي... أنا قسطنين ديميريس. وأنت ما اسمك؟

تساءل عن اسمها وكأنه لا يعرف من هي ولا من تكون.

ـ كاترين ألكسندر.

لم تظهر عليه أية ردة فعل. أهلاً سيدة كاترين الكسندر، تفضلي اجلسي.

ما هذه المرأة... حرام أن يهان هذا الجمال. هذا ما فكر به ديميريس وهو ينظر إليها.

ـ إنه لطف منك أن ترضى بمقابلتي.. ولكن... هل لي أن أعرف لماذا؟

ابتسم ابتسامة خبيثة. «كل ما في الأمر أني أساعد الدير مادياً، وأحترم الأخت تيريزا أكثر مما تتصورين، ولهذا، أبديت رغبتي

بمساعدتك، وقد أبلغت الأخت تيريزا أني سأحاول قدر ما أستطيع».

ـ وهل أخبرتك الأخت تيريزا أني... أني فاقدة الذاكرة؟

ـ نعم، أخبرتني ذلك. ولكن ألا تتذكرين شيئاً من ماضيكِ؟

ـ لا أتذكر سوى اسمي... أما من أنا ومن أين أتيت، فهذه أمور لا أتذكرها أبداً. فلربما أجد في أثينا من يعرفني.

أحس بقشعريرة تسري في جسده، «أعتقد ذلك.. ولكن لماذا لا نناقش الأمر صباح الغد، فأنا اليوم مرتبط بمواعيد عدة. لقد خصصت لكِ جناحاً للإقامة به، جناحاً فيه كل وسائل الراحة».

ـ لست أدري كيف أشكرك سيد ديميريس.

ـ أصدقائي ينادونني كوستا.

أرشدتها رئيسة الخدم إلى غرفة نومها. سرير وثير، مع أغطية حريرية زهرية اللون، مرآة كبيرة مرصعة بالأحجار الكريمة، وإلى جانب غرفة النوم، وغرفة استحمام فخمة.

ـ في الخزانة ثياب كثيرة، اشتراها السيد ديميريس خصيصاً لكِ سيدتي، فيمكنكِ اختيار ما يعجبك.

لأول مرة، منذ زمن، لا تدري إن كان طويلاً أو قصيراً، ستخلع كاترين الثوب الذي قدمته لها الأخت تيريزا حين دخولها الدير لترتدي فساتين جميلة كما كل نساء العالم.

ـ لكِ الشكر. قالت كاترين وارتمت على السرير، غمرها شعور بالدفء والسكينة ولكن التساؤل ما يزال يدور في رأسها، من هو هذا

الغريب، ولماذا كل هذا الكرم والاهتمام؟ لماذا كل هذه الفساتين والملابس والأحذية، ولا مكان أذهب إليه. ترى هل انتقلت من سجن لآخر؟ لا... هناك أمكنة كثيرة، لا بد من زيارتها... من يدري؟ «هيا أيتها الغريبة، نحن هنا لمساعدتكِ لتعرفي من تكونين» هكذا خاطبت نفسها وهي ترتدي فستاناً أنيقاً.

عند مدخل القاعة الملاصقة لغرفة نومها اقتربت منها رئيسة الخدم «كيف يمكنني مساعدتكِ يا آنسة؟».

ـ أرغب بالذهاب إلى المدينة، فهل بمقدورك أن تستدعي سيارة أجرة؟.

ـ لا ضرورة لسيارة أجرة، فعندنا الكثير من الليموزين... دقائق وتكون إحداها رهن إشارتك.

انطلقت الليموزين وسط شوارع أثينا، وعينا كاترين تراقبان كل شيء. في منطقة الأثارات وقف السائق «هذا هو البارثينون. على قمة جبل أكروبوليس».

حدقت كاترين بالبناء الضخم «هدية الآلهة لأثينا.. آلهة الحكمة».

ابتسم السائق «هل تدرسين تاريخ اليونان آنستي؟».

وانهمرت الدموع من عينيها «لست أدري... لست أدري» وتابع السائق مسيرته حتى وصل إلى مسرح هيرودوس «إنه مسرح هيرودوس، جدرانه ما تزال قائمة حتى اليوم وهو يتسع لخمسة آلاف متفرج». قال السائق.

ـ إنه يتسع لستة آلاف ومايتين وخمسة وسبعين متفرجاً.

فنادق حديثة إلى جانب أبنية قديمة، إنه التزاوج بين الماضي والحاضر، إنه مزيج حضاري يطبع أثينا بطابع خاص جداً يجذب السواح. حديقة كبرى وسطها نافورة ماء.

ـ لقد سبق لي ورأيت هذه الحديقة... وكنت سعيدة جداً. تمتمت كاترين.

حدائق عامة، ومقاهي الأرصفة عند كل زاوية من زوايا الشوارع، باعة متجولون، يبيعون كل شيء، حتى الزهور. وأخيراً وصلت الليموزين إلى ساحة سينتاغما.

ـ أرجوك... قف هنا... طلبت كاترين من السائق وهي تلتقط أنفاسها «سبق لي وأقمت في هذا الفندق».

ـ هل يمكنك العودة بعد ساعتين؟ سأكون هنا بانتظارك.

ـ أمرك آنستي.

ترجلت كاترين من الليموزين، لم تكن قادرة على الوقوف، رجلاها ترتعشان... إنه الماضي بدأ يطل برأسه عليها... لقد سبق لها وكانت هنا. إنها كمن يقف على شفير الهاوية. ها هي الآن تنطلق وسط زحمة العابرين في الشوارع والأزقة، تتحدث إلى الناس، بعد فترة صمت مُطبق أمضتها في الدير. كانت تسير على غير هدى، مدفوعة برغبتها للتعرف على ذاتها، لكنها وجدت نفسها وسط عالم لا هو غريب عنها ولا هو مألوف كلياً. أمام مدخل أحد المقاهي في المنطقة القديمة من أثينا وقفت وراحت تتذكر «سبق لي وتناولت طعاماً

هنا... كنا ثلاثة أشخاص ليس أكثر» ترى من كان الإثنان الآخران؟».

تقدم خادم منها وحياها باليونانية فردت عليه بلغته وحين عرض عليها المساعدة، شكرته باليونانية أيضاً. تعجبتْ «هل أنا يونانية؟».

وانطلقت كاترين وسط طرقات أثينا القديمة، وكأن مرشداً سياحياً يقود خطاها. كل شيء، بدا مألوفاً. «رباه... لا تتخلَّ عني... أكاد أصاب بالجنون». شعرت أن ذكرياتها القديمة، بدأت تطل برأسها عليها، وصلت إلى شارع فوكوريستو. حيث المتاجر الفخمة «رباه كم جئت إلى هنا... من هذه المحلات كنت أشتري ثيابي».

سمعت صوتاً من الماضي، يحدثها عن اليونان «إن أردت التمتع برؤية جمال اليونان، فلا تستعملي السيارات... إن أردت التعرف إلى الحضارة اليونانية، فلا تقرئي كتب المرشدين السياحيين، بل اقرئي كتب التراجيديا اليونانية القديمة، المملوءة بالحب والعواطف البشرية والمشاعر الإنسانية».

ترى من قال لها هذا يوماً ما؟... وسط الشارع كانت تقف تحاول التعرف إلى كل شيء... إن ما تراه، ليس غريباً ولا مألوفاً. وإذ برجل طويل القامة داكن البشرة يقف أمامها.

ـ مرحباً.

ـ مرحباً... أجابت كاترين وهي تأخذ نفساً عميقاً وتابعت متسائلة «هل سبق وتعارفنا؟».

تعجب الرجل لسؤالها «بالطبع أعرفك جيدا».

وأخيراً وجدت كاترين من قد يعطيها مفتاح بوابة التعرف على ذاتها... فهل بإمكان هذا الغريب أن يفعل ذلك. «إذن من أنا؟»... أيمكننا أن نسير معاً؟

ـ ولماذا لا؟...

اعتقدت كاترين أنها اقتربت جداً من إيجاد حل لغز «من هي ومن تكون؟». وانتابها خوف «ولكن ماذا لو كان من الأفضل ألا تعرف شيئاً... ماذا لو كنت قد ارتكبت إثماً فظيعاً فيما مضى؟».

أمسك الرجل بيدها. وقادها نحو أحد مقاهي الرصيف.

ـ إني لسعيد جداً لرؤيتك سيدتي.

ـ وأنا كذلك.

ـ كم أنتِ جميلة... إن الله يحبني.

ـ ولماذا؟... وأين سبق لنا والتقينا.

ـ ليس هماً، أين التقينا سابقاً، المهم أني على استعداد لأدفع لك أي مبلغ تطلبينه، فأنتِ رائعة الجمال.

لم تنتبه كاترين، إلى ما يرمي إليه هذا الغريب، لكنه حين تمادى في التغزل بها، تركته وحيداً، وأسرعت إلى الشارع لتكمل تجوالها وتقرأ أسماء المقاهي «مدام بيريس». إسم ليس غريباً.. إنها تعرف السيدة بيريس.

دخلت كاترين إلى المقهى فاستقبلها النادل مرحباً بها وباللغة اليونانية.

ـ كاليميرا... «مرحبا».

ـ كاليميرا.. بو أيني مدام بيريس؟... «مرحباً، هل يمكنني مقابلة السيدة بيريس؟»:

ـ السيدة بيريس؟

أجلسها النادل إلى طاولة في زاوية المقهى.. كل شيء ما يزال كما كان في السابق... إنها تتذكر هذا المقهى جيداً. لحظات وأطلت سيدة، ترتدي فستاناً أسود، تعلو شفتيها ابتسامة رقيقة.

ـ كيل لي....؟ قالت السيدة، لكنها توقفت عن الكلام وراحت تحدق بكاترين بذهول واندهاش «أعرفك جيداً... ولكن.. إذن عدت ثانية إلى أثينا؟».

وبلا مقدمات أو تمهيد بادرت كاترين بالسؤال «هل تعرفين من أنا؟.. هل تعرفين من أكون؟».

حدقت السيدة بيريس «لا.. المفترض أن تكوني ميتة... فاخرجي من هنا».

ـ أرجوكِ... أرجوكِ...

ـ اخرجي سيدة دو غلاس وإلا استدعيت من يخرجكِ بالقوة. «إذن أنا السيدة دوغلاس». تمتمت كاترين وهي تخرج من المقهى.

كلمات قليلة تفوهت بها السيدة بيريس، أعادت الماضي واضحاً وجلياً، أنا زوجة لاري دوغلاس الذي أحبته بجنون، وحاول بالتفاهم والإتفاق مع عشيقته قتلها مرتين. في المرة الأولى أنقذها بعض السواح، وفي المرة الثانية أنقذها راهبات الدير في أيونينا. هكذا إذن... كل

الأحلام والكوابيس، كانت واقعية، كانت انعكاساً لما حدث لها. لكن إنساناً غريباً، زارها في الدير، فمن هو؟ ولماذا زارها وأكد لها أنها أصبحت في أمان؟ وممن؟

الفصل الرابع

ـ كيف سمحتم لها بالخروج؟ تساءل قسطنطين ديميريس غاضباً.

ـ لكنك لم تقل شيئاً من هذا القبيل سيدي. أجاب رئيس الخدم.

ـ حسناً... قال كوستا، متظاهراً بالهدوء... قريباً ستعود.

ـ أتريد شيئاً آخر سيدي؟

ـ لا...

خرج رئيس الخدم، ووقف قسطنطين قبالة النافذة، محاولاً طرد المخاوف من رأسه. «من غير المستحسن أن تتجول كاترين في شوارع أثينا، فقد تلتقي من يعرفها، ويحول دون تنفيذ خطتي للانتقام منها، ساعة تحين لحظة التنفيذ... سأبعدها من هنا... إلى لندن، حيث لا أحد يعرفها... سأجعلها تعمل في مكتبي هناك».

بعد ساعة عادت كاترين... مباشرة لاحظ السيد ديميريس مدى التغير في ملامحها ولاحظ، كم هي جميلة وجذابة وهي ترتدي فستاناً من الحرير الأبيض الذي يكشف عن القليل من النهدين، ويشد خصرها.

ـ سيد ديميريس...

ـ كوستا من فضلك.

ـ لقد عرفتُ من أنا، وماذا حدث لي...

أخفى ديميريس اضطرابه «حقاً؟... إجلسي إذن واخبريني...».

كانت كاترين مضطربة إلى حد يحول دون جلوسها على المقعد، فراحت تزرع أرض الغرفة ذهاباً إياباً، وهي حائرة ماذا تقول. أيعقل هذا؟

ـ زوجي و... زوجي وعشيقته نويل حاولاً قتلي... إنه الجنون بحدّ ذاته... لست أدري... ولكن...

ـ حسناً تابعي يا عزيزتي.

ـ بعض الراهبات أنقذن حياتي... ولكن...؟

ـ ولكن ماذا؟

ـ زوجي كان يعمل لديك... أليس كذلك؟

تردد ديميريس في الإجابة، لكنه لم يجد بدا من الإعتراف.

ـ نعم.. كان يعمل طياراً... ولهذا أشعر أني مسؤول عنكِ، هذا كل شيء.

ـ هذا يعني أنك كنت تعرف من أنا، فلماذا لم تخبرني الحقيقة؟

ـ كنت أنوي.. ولكني خشيت أن أتسبب لك بصدمة نفسية. لهذا، اعتقدت أنه من الأفضل، أن تكتشفي ذلك شيئاً فشيئاً.

ـ وماذا حصل لزوجي... ولتلك المرأة؟ أين هما؟ تنهد ديميريس وهو يحدق بعينيها «لقد أعدما».

تنهدت من أعماق صدرها وهي ترمي جسدها على المقعد الجلدي، وكأنها تهوي «ماذا؟».

ـ لقد أعدما تنفيذاً لحكم قضائي صادر عن القضاء اليوناني.

ـ ولكن... لماذا؟

ـ لأنهما حاولا قتلك.

ـ لا أفهم شيئاً.. ما الداعي لإعدامهما... فأنا ما زالت حية ترزق.

ـ عزيزتي كاترين... القانون اليوناني صارم جداً.. لقد حاولا قتلك، وهناك شهود كثر، لذلك أدينا ونفذ الحكم بهما.

ـ شيء لا يصدق... المحكمة إذن؟

اقترب ديميريس منها، ووضع يده على كتفها «أعتقد أنه عليك التفكير بالمستقبل ونسيان الماضي، أليس كذلك؟».

كانت كاترين غارقة في تساؤلاتها عن لاري، فلم تسمع أية كلمة مما قاله قسطنطين ديميريس.

ـ كاترين... كاترين.

ـ عفواً سيدي.

ـ هل حاولت التفكير بالمستقبل؟

ـ لا... لست أدري ماذا سأفعل، ولا إلى أين أذهب. أعتقد أني سأقيم هنا في أثينا.

ـ بقاؤك هنا، سيجعلك تتذكرين كل المآسي التي حصلت لك... لذا، أقترح عليك مغادرة اليونان.

ـ ولكن... إلى أين.

ـ لندن... ما رأيكِ؟

ـ لندن؟

ـ نعم... لدي هناك مؤسسة كبيرة. ولقد سبق لكِ وعملتِ سكرتيرة تنفيذية في شركة وليام فريزر بواشنطن، أليس كذلك؟

ـ وليام...؟ فجأة تذكرت كاترين تلك الأيام الحلوة، كانت أجمل أيام حياتها.

ـ نعم سبق لي وعملت هناك.

ـ إذن... تكونين سكرتيرتي التنفيذية في لندن...

ـ لست أدري سيد دميريس...

ـ أتفهم وضعك.. ولكن ماذا لو عدت الآن إلى غرفتك واسترحت قليلاً، وسيكون عشاؤك جاهزاً هناك. وغداً نعود لمناقشة الموضوع؟

إن بقاءها في غرفتها، يعني عدم التقائها بزوجته وهذا ما يتمناه.

ـ إنك كريم جداً معي، وبالمناسبة، أتسمح لي بشكرك على ما قدمته لي من ثياب؟

ـ هذا واجبي، وعليّ رعايتك والاهتمام بك.

في غرفتها، وقفت عند النافذة، تراقب الطبيعة الغنّاء، وصفاء بحر

إيجه «لا ضرورة أبداً لإحياء الماضي... عليّ التفكير بالمستقبل... وعلي أن أكون ممتنة للسيد قسطنطين دميريس» لقد قدم لي فرصة التعرف على ذاتي، وها هو يعرض عليّ عملاً في لندن... أعتقد أن عليّ قبوله.

فيما كانت كاترين سارحة في أفكارها، كان قسطنطين دميريس ما يزال جالساً على كرسيّه الجلدي خلف مكتبه، مسترجعاً الماضي، متذكراً نويل بايج التي منحها الحب والحنان والمال والمكانة الاجتماعية، ووثق بها إلى ما لا حدود. لا ينكر أنها كانت واحدة من أجمل نساء العالم، وأكثرهن إثارة لشهوة الجسد، والمشاعر الإنسانية. حتى بات لا يستطيع الإبتعاد عنها، لم تكن عشيقته وحسب، بل كانت ذاته وحياته، ورغم هذا، أقدمت على خيانته مع لاري دوغلاس. لماذا؟... لماذا ارتكبت هذا الإثم الذي لا يغتفر؟

بعد تنفيذ حكم الإعدام، أبى قسطنطين دميريس إلا أن تدفن في جزيرة يمتلكها في بحر إيجة، أكبر الآخرون فعلته، دون أن يدري أنه فعل ذلك، لا حباً بها ولا تقديراً، إنما إمعاناً في الإنتقام، وحتى يبقى يدوس قبر «تلك العاهرة» بقدميه، كلما خطر له ذلك. وحتى اليوم، وبعد عام على إعدامها، ما يزال دميريس يفكر بها، وغير قادر على نسيانها.

«لماذا نويل... لماذا؟ أعطيتك ما لا يعطى... فعلاً إنكِ عاهرة حقيرة... أحبك نويل.. أحبك نويل».

لقد انتقم، حتى الآن، من نويل بايج ولاري دوغلاس ولكنه ما يزال يفكر بالانتقام من كاترين... عليها أن تكون إلى جانب زوجها.

ـ كوستا... كوستا.

إنه صوت زوجة قسطنطين الخارقة الجمال ووريثة عائلة يونانية ارستقراطية. وتتمتع زوجته ميلينا بشخصية لا تقاوم.

ـ كوستا... من هذه المرأة التي التقيتها في القاعة. سؤال وقع كالصاعقة «إنها عاملة في أحد المؤسسات التابعة للمؤسسة الأم... وستنتقل قريباً للعمل في لندن.

ـ حقاً...؟ لكنها ذكرتني بزوجة الطيار الذي أعدم بتهمة قتل زوجته.

ـ لكنه قتلها فعلاً.

عليه أن يكون حذراً فميلينا ذكية جداً، «لم يكن علي الإقتران بها.. كان خطأ لا يغتفر».

قبل عشر سنوات اقترن ديميريس بميلينا لامبرو؛ وتردد صدى هذا الإقتران في أوساط رجال الأعمال كصدى قذيفة مدفعية. لقد أحدث صدمة للكثيرين الذين كانوا على علم بأن ميلينا كانت مخطوبة لرجل آخر.

منذ صغرها وميلينا تميل إلى الثورة على كل شيء. في العاشرة، رغبت أن تكون بحّارة، فهربت من المنزل رغبة في العمل بأحدى السفن، لكن السائق أعادها إلى المنزل، وفي الثانية عشر حاولت الهرب مع فريق سيرك متجول.

مع الأيام، وعند بلوغها السابعة عشر، استسلمت ميلينا لقدرها، كبحت جماح ثورتها، وأدركت أنها ابنة ميخاليس لامبرو، الإنسان الذائع الصيت، صاحبة النظرة الساحرة التي لا تقاوم ومالكة ثروة لا

تقدر. ولكن، كانت تحب أن تكون دائماً محط أنظار الناس، وأن تنشر الصحافة كل أخبارها، حتى التافهة منها. وحده سبيروس، شقيقها الذي يكبرها بعشر سنوات، والذي اهتم بتربيتها بعد وفاة والديها وهي في الثالثة عشر من العمر، وحده يؤثر عليها، لأنها كانت تحترمه، وتقدر ما فعله من أجلها ومستعدة للتخلي عن كل شيء في هذه الدنيا إرضاءً له. كان سبيروس يردد دائماً على سمعها «كوني حذرة... كثيرون هم الطامعون بثروتك.. أنتِ فتاة جميلة جداً وما تزالين في مقتبل العمر، هذا إلى أنك إبنة عائلة عريقة.

ـ وهل تريدني أن أبقى عانساً؟

ـ لا... يا شقيقتي، فالرجل المناسب، سيأتي في الوقت المناسب. ها هو الكونت فاسيلي مانوس. إبن عائلة ثرية ورجل أعمال ناجح. ويحبكِ بجنون.

لم تكن ميلينا متحمسة للقبول بالكونت عريساً لها. فهو في أواسط الأربعينات من العمر ولا يتحدث إلا عن الأعمال والصفقات التجارية... إنه بعيد كل البعد عن الرومنسية.

ـ الرومانسية ليست شرطاً للزواج السعيد. إنه يعبدك وقادر على توفير كل ما تطلبين.

اقتنعت ميلينا بما قاله شقيقها، فجاء رد فعل الكونت واضحاً وسريعاً «لقد جعلتني أسعد الناس يا ميلينا... أنا الآن في طور تأسيس شركة جديدة في لندن، سأسميها «ميلينا أنترناشيونال»».

حتى في هذه اللحظة، لا يتكلم إلا عن تأسيس الشركات والأعمال

والصفقات... وبدأ الإعداد لحفل الزواج، فوضعت لائحة المدعوين التي ضمت ألف شخصية عالمية.

في هذه الفترة، فترة الخطوبة، شاءت الصدف أن تتعرف ميلينا بقسطنطين ديميريس في حفل مخصص للمخطوبين أو الراغبين في الزواج، ومن طريق الخطأ قدمتهما المشرفة عن الحفل على اساس انهما مخطوبان وها هما ميلينا لامبرو وقسطنطين ديميريس».

حدق قسطنطين بالفتاة التي تقف أمامه، فاحتار في أمره، «أمام من أقف أنا؟ أمام إنسانة حقيقية، أم أمام آلهة الجمال؟»).

- عفوك سيد ديميريس لم أسمع جيداً ما كنت تقول.

- كنت اقول، إن الله أرسلكِ إليّ.

- يبدو أنك تجيد الغزل.

- لا... لست كذلك، لكن جمالكِ، يُنطق الأخرس.

تقدم الكونت مايثوس وأمسك بيد خطيبته وخرجا معاً، بعد أن وجه اللوم للمشرفة على الحفل.

لم تنم ميلينا، تلك الليلة، سمعت الكثير عن ديميريس، إنه رجل أعمال ناجح، يحطم كل من يحاول إعتراض طريقه لا يرحم... أرمل، و زير نساء «شكراً لله أني لم أتعرف إليه سابقاً... إنه سيء السُمعة... لكن كلامه جذاب... و... و...».

غير أن الآلهة كانت تصغي إليها ضاحكة منها.

صباح اليوم التالي أبلغتها وصيفتها، أن سائق السيد ديميريس يرغب بمقابلتها.

- ولماذا؟

- إنه يحمل هدية من سيده لكِ يا آنسة ميلينا.

- إذن هاتِ الهدية.

يبدو أنه مجنون، يحاول إغوائي بإهدائي خاتماً ماسياً أو ما شابه، وكأنه لا يدري أن ثروته لا تهمني. فهو لا يعرف من هي ميلينا... مهما كانت هديته غالية الثمن، فسأعيدها له.

فضت ميلينا الهدية، لتجد بطاقة صغيرة «أتمنى أن تتمتعي بقراءته». كانت الهدية كتاب «زوربا» للكاتب اليوناني المشهور نيكوس كازانتزاكي الذي تحب ميلينا قراءة كل كلمة كتبها أو سيكتبها «كيف عرف أني معجبة بهذا الكاتب؟»

صباح اليوم التال، أرسل لها تسجيلاً موسيقياً للموسيقي المفضل لديها «أتمنى أن تستمتعي بالإستماع إلى هذه الموسيقى وأنتِ تقرئين الكتاب».

وتوالت الهدايا الصباحية: باقات ورد، زجاجات عطر، تسجيلات موسيقية، وكتب. لم يترك أحداً إلا وسأله عن ميلينا، حتى بات مطلعاً على كل شيء في حياتها، بات يعرف أي الألوان أحب إليها، وأيُّ الورود تفضل و... و... لكنه لم يرسل لها الجواهر والأحجار الكريمة. لقد أدرك أن هذه لا قيمة لها في حياة ميلينا، الفتاة تعشق الحياة الرومانسية وسماع الكلام الرقيق.

اتصلت به ميلينا هاتفياً لشكره على ما يرسل فكان جوابه أشبه بهدية أعتقد أن كل ما أرسلته، وما قد أرسله، لا يليق بك... فأنتِ تستحقين ما هو أعظم».

ـ هل لي بسؤالك «كم امرأة أسمعتها هذا الكلام؟».

ـ هل توافقين أن نتناول الغداء معاً.

ـ حسناً...

رفض مانوس فكرة اللقاء جملةً وتفصيلاً. حتى ولو لتطلُب منه، عدم إرسال المزيد من الهدايا، اذ بمقدورها أن تفعل ذلك هاتفياً، لكنها أصرت على الذهاب شخصياً.

في أحد أفخم مطاعم أثينا، كان ديميريس ينتظر وصولها، وما إن أطلت حتى وقف.

ـ إذن أتيت...؟ كنت خائفاً ألا تأتي.

ـ أنا لا أقول كلمة وأتراجع عنها.

ـ وأنا كذلك.. أتتزوجينني؟

صُدمت ميلينا. ماذا يقول هذا المغرور؟

ـ لا شك أنك على يقين أني مخطوبة لرجل آخر، وأننا نحضر أنفسنا لعقد القران.

ـ مانوس؟... إنه ليس الرجل المناسب.

ـ فعلاً؟... ولماذا؟ ومن أنت حتى تقول لي هذا؟

ـ لقد تحريت عنه... إنه ابن عائلة، معظم أفرادها مصابون بالجنون، إنه معرض للإصابة بالنزيف الدموي، مطلوب للعدالة في بروكسل بتهمة الاغتصاب، وتزوير نتائج مباريات التنس.

ضحكت ميلينا ملء شدقيها «وماذا عنك أنت؟».

ـ أنا لا ألعب التنس.

ـ وهل هذا سبب كافٍ لأتزوج منك.

ـ لا... بل ستتزوجينني، لأني سأجعل منكِ أسعد امرأة في العالم، القديم منه والحديث.

ـ سيد ديميريس...

ـ كوستا... كوستا... وأمسك يدها، لكنها سحبتها من بين يديه.

ـ سيد ديميريس، أتيت إلى هنا، لسبب واحد، هو الطلب إليك عدم الاستمرار بإرسال الهدايا، وإني أتمنى ألا أراك ثانية.

ـ لا أعتقد أنكِ إنسانة عدائية. ولستِ مجرمة.

ـ أتمنى أن أبقى هكذا.

ـ إذن لماذا تحطمين قلبي؟

ضحكت ميلينا.

ـ أنا جاد فيما أقول، منذ صغري وأنا أتابع أخبارك في الصحف والمجلات. كنتِ ثرية جداً، وأنا كنت ما أزال أبحث عن لقمة عيش تسد جوعي. أبي كان حمّالاً في المرفأ، لي

أربعة عشر شقيق وشقيقة. كان خبزنا لا يكفي قوت يومنا.

ـ لكنك، الآن ثري!!!

ـ نعم، ولكن ليس كما أتمنى.

ـ ما الذي أثراك؟

ـ الجوع... أنا في حالة جوع دائمة.

اكتشفت ميلينا الصّدق في حديثه.

ـ ولكن كيف كانت البداية؟

ـ أحقاً ترغبين بذلك؟

ـ نعم.

وروى ديميريس قصة شرائه الأرض في السعودية بمساعدة أحد الجيولوجيين الإنكليز دون ذكر لسيبيل زوجة هنري بوتر. وكيف أنه بعد امتلاكه لآبار النفط، صار صاحب اسطول ناقلات البترول، وصاحب عدد من الطائرات الخاصة.

كان هو يتكلم وهي تصغي إليه باهتمام كلي. لقد بدأت تشعر أنه الرجل المناسب، ولكن دون أن تفصح عن ذلك؛ وتوالت اللقاءات، إنما بسرية تامة. وكان هو يتعمد حضور جميع الحفلات التي من المحتمل أن تكون ميلينا مدعوة إليها.

المفاجأة الكبرى، كانت حين أهداها لوحة «صيادون على الثلج» للرسام الفنلندي بروغل. تعجبت وتساءلت «كيف يدري هذا الإنسان ما يدور في رأسي؟» بالفعل كانت هي تسعى لشراء هذه اللوحة.

ـ أعتذر عن تقبل هذه الهدية الباهظة الثمن.

ـ ومن قال إنها هدية؟... أنت ستدفعين ثمنها.

ـ كيف؟

ـ بقبول دعوتي للعشاء.

أدركت ميلينا أنه رجل لا يقاوم، وأنها مغرمة به، مما أجبرها على فسخ خطوبتها من الكونت فاسيلي مانوس، رغم معارضة شقيقها سيبروس الذي وجد نفسه عاجزاً عن فعل شيء لثنيها عن الزواج من قسطنطين ديميريس.

في البدء، عاشت ميلينا أسعد اللحظات إلى جانب زوجها كوستا الذي لم يترك فرصة سانحة، إلا وعبر لها عن حبه مادياً وعاطفياً، كان يحلم أن تلد له طفلاً يرث امبراطوريته، لكنه حين علم أن زوجته أجهضت الطفل قسرياً وهي في الشهر الثالث، تحول إلى إنسان آخر. انقلب الحب كرهاً وحقداً. اعتقد أنها تعمدت ذلك، أو أن ما حصل هو نتيجة إهمال مقصود، وإلا لماذا أجرت عملية استئصال الرحم؟ فأهملها وراح يتنقل من امرأة إلى أخرى. من نجمات السينما، إلى زوجات أصدقائه، غير آبه لسمعته، وما قد تسبب رغباته من انهيار لعائلات أخرى، وغير مكترث لما تكتبه الصحف والمجلات عن مغامراته العاطفية.

ذات يوم دعاه أحد المصرفيين إلى عشاء في منزله. وطلب إليه الحضور مع زوجته ميلينا وليس مع واحدة من عشيقاته، فالمدعوون ديبلوماسيون، ورجال أعمال، وصناعيون، إضافة إلى عدد من مشاهير النجوم. لكن ديميريس، لم يحترم صاحب الدعوة، ولا زوجته التي كانت تجلس قبالته

إلى الطاولة، إذ أخذ يغازل وبصوت مسموع ممثلة شابة كانت إلى جانبه، ويدعوها لقضاء عطلة نهاية الأسبوع على يخته الخاص. لم يكتفِ بهذا القدر من الوقاحة، بل أخذ يلعق أصابع يدي تلك الممثلة واحداً بعد الآخر، مما حدا بميلينا مغادرة المكان متذرّعة بصداع أصابها، مع أن الجميع أدرك السبب الحقيقي. أما هو، فلم يعد تلك الليلة إلى منزله ولا الليلة الثانية.

عند الخامسة والنصف صباحاً، كانت كاترين تتناول طعام الفطور مع قسطنطين ديميريس على الشرفة المطلة على البحر، بناء على طلبه.

ـ أعتذر، لإيقاظك باكراً... ولكن عليّ الذهاب باكراً إلى عملي.. وأحببت أن نتحدث قليلاً وبهدوء.

ـ لا عليك...

كانت كاترين تجلس قبالته إلى الطاولة، والشمس تشرق رويداً رويداً، وأخذ يحدق إليها دون إثارة انتباهها،فاحتار أيهما أجمل: كما هي قبالته الأن أم عارية في سريره.

كان الخادم يسكب القهوة لها، حين بادرها كوستا قائلاً «هل فكّرتِ بما عرضته عليكِ؟».

ـ الحقيقة، أن كاترين لم تفكر بشيء على الإطلاق. نامت بسبات عميق، على سرير مريح وفي غرفة فسيحة، بعد أن حسمت أمرها ألا تعود إلى الدير... إذن ما عليها إلا قبول عرض قسطنطين ديميريس.

ـ يسرني ذلك... قال قسطنطين وتابع «هل سبق لكِ وزرتِ لندن؟».

ـ لا... لا أعتقد ذلك.

ولكن لماذا لا تعتقد؟ لماذا لا تكون متأكّدة؟ قد تنتظرها في لندن مفاجآت كثيرة، تفوق بأهميتها كل ما اكتشفته في أثينا.

ـ إنها واحدة من أجمل مدن العالم... ستحبينها كثيراً.

ـ سيد ديميريس... لماذا تفعل كل هذا من أجلي؟

ـ إحساساً بالمسؤولية... أنا من عرّف نويل بايج على زوجك.

أحبت كاترين أن تلقى أجوبة على العديد من تساؤلاتها.

ـ وكيف تم تنفيذ حكم الإعدام بهما؟

ـ رمياً بالرصاص.

ـ يا إلهي؟... أحست كاترين بشيء من الألم وهي تتخيل تلك الرصاصات التي اخترقت جسد لاري الذي أحبته بكل جوارحها.

ـ دعيني أقول لكِ شيئاً مهماً. لا تفكري بالماضي، فالذي مضى قد مضى...

ـ سأحاول ذلك...

ـ هناك طائرة ستقلع هذا الصباح إلى لندن، فهل ترغبين بالسفر اليوم؟

استعادت كاترين ذكريات رحلاتها مع لاري، حينها كان عليها الإستعداد، أما الآن فلا شيء عندها تهتم به سوى توضيب الثياب التي قدمها ديميريس.

ـ نعم...

حسناً.. والآن وبعد أن استعدت ذاكرتكِ. لربما هناك من ترغبين بالاتصال به.

فكرت كاترين ملياً، إنها لا تتذكر أحداً على الإطلاق، سوى وليام فريزر، ولن تتصل به، قبل مرور فترة على استلامها عملها الجديد في لندن.

ـ لا... لا أحد.

لقد أحسنت بعدم قول الحقيقة، لأنها أنقذت حياة وليام فريزر دون أن تدري. في الأساس، لم تكن تدري، أن تذكرها لأي إنسان، يعني وضعه على لائحة الذين يرغب قسطنطين ديميريس الانتقام منهم.

ـ بعد قليل سيكون جواز السفر بين يديكِ... في لندن يمكنكِ اختيار شقة من تلك التي تمتلكها الشركة هناك. كذلك سيأتي المحاسب، ليدفع لك راتب شهر مسبقاً.

ـ هذا كرم منك...

أمسك يدها «سيأتي يوم تعلمين فيه أني...» وصمت لئلا يفصح عن حقيقة مشاعره، فيزرع الخوف في صدرها. ثم تابع «تعلمين فيه أني خير صديق».

ـ أنت كذلك.

بعد ساعتين كانت الرولس رويس تقل كاترين إلى المطار، وبعد دقائق. اتصل بلندن هاتفياً «إنها في الطريق إليكم».

الفصل الخامس

لم تدري كاترين كم استغرقت الرحلة من أثينا إلى لندن. كانت تحاول الإجابة على تساؤلات لا حصر لها ولا عدّ. من أين جاءت نويل بايج هذه؟ كيف تمكنت من الإستيلاء على قلب لاري؟ كيف نسي لاري، كل لحظات الحب التي عشناها معاً؟ كيف وكيف؟ لماذا ولماذا؟ لم تجد كاترين مبرراً لما حدث، لقد أعطت ما لا يعطى.. كانا في حالة حب، يصعب وصفها، لم يعرف الناس مثيلاً لها، حتى في الأفلام.

تساؤلات أغرقتها في الذكريات. عام 1940، وقبل دخول أميركا الحرب العالمية الثانية إلى جانب دول الحلفاء. تخرجت كاترين من جامعة فورت ويسترين، في شيكاغو وقصدت العاصمة واشنطن طلباً للعمل، حيث أخبرتها إحدى رفيقاتها أن هناك وظائف شاغرة في شركة فريزر، وما أن بزغت شمس الصباح، حتى كانت في قاعة الانتظار في شركة فريزر، مع العديد من الفتيات اللواتي جئن للغاية ذاتها.

فجأة، انفتح باب، وأطل منه رجل طويل القامة، أشقر الشعر، أزرق العينين، قوي البنية، وتوجه لعاملة الإستعلامات طالباً منها إيجاد عدد قديم من أعداد مجلة لايف وصورة ستالين على غلافه، وبأسرع وقت ممكن، حتى ولو اضطرت للذهاب إلى مكاتب المجلة.

خمس دقائق ليس أكثر، وكانت كاترين، تضع العدد المطلوب على مكتب سالي عاملة الاستعلامات، وبعد ثلاث دقائق كانت تجلس على مقعد جلدي وثير قبالة وليام فريزر.

ـ أخبرتني سالي، أنكِ أنتِ من أحضر العدد المطلوب.

ـ نعم سيدي.

ـ ولكن... كيف فعلتِ هذا، وبهذه السرعة، شخصياً، لم أكن أتوقع الحصول عليه قبل أسبوعين أو ثلاثة. إنه عدد قديم.

ـ أعرف هذا.

ـ ولكن كيف حصلتِ عليه بهذه السرعة؟

ـ إثنان تجد عندهما الكثير من أعداد المجلات القديمة، الحلاقون، وأطباء الأسنان.

ـ وماذا يعني هذا؟

ـ يعني أني قصدت أقرب محل للحلاقة وعدت والعدد المطلوب بيدي.

ـ أهكذا هي حياتكِ؟ نباهة وتحدٍ للمصاعب؟

ـ لا أعتقد سيدي.

ـ حسناً سنرى، أمامك أعمال كثيرة لإنجازها.

لم تصدق كاترين ما سمعت. إنه لأمر مثير أن تتمكن فتاة متخرجة للتو من الجامعة أن تتوظف عند وليام فريزر

الذائع الصيت الذي اختارته مجلة التايم ليكون «رجل العام».

بعد ستة أشهر، لم تعد علاقتهما، علاقة عمل، بل تخطت ذلك لتصبح علاقة حب جارف، انما دون ممارسة الجنس لأنها ما تزال عذراء. وانطلاقاً من حبه لها، واستناداً الى ثقته بها، أوفدها إلى شركة مترو غولدن ماير، لتكون مشرفة عامة على إنتاج فيلم عن معارك جوية.

ـ أنا؟... وماذا أعرف عن العسكر والطائرات الحربية؟

ـ هناك مخرج يهتم بهذه الأمور إنه آلان بنيامين وهناك مساعده توم أوبريان.

كانت قاعة الاستديو تعج بالشباب والصبايا. وكل يغني على ليلاه.

في إحدى الزوايا رجل في مقتبل العمر، يرتدي زي ضابط طيار برتبة نقيب، وبضعة أوسمة تزين صدره، تتحلق حوله عدة فتيات.

ـ أنت... أنت!!!

ـ أتوجهين الكلام لي يا آنسة؟

ـ نعم.. ما هذه الأوسمة التي على صدرك والنجوم التي على كتفك؟

ـ أرأيتِ آنسة ألكسندر، ما من أحد يريد القيام بدور الجندي. كلهم يريدون القيام بدور الضباط؟ قال توم أوبريان، وتابع يقول «أرأيت جيشاً من دون جنود؟ أرجوك ساعديني».

ـ إنزع هذه النجوم عن كتفك، والأوسمة عن صدرك. قالت كاترين موجهة كلامها لذاك الرجل.

ـ ولكني أردت إضفاء سمة من الأبهة على الفيلم.

ـ أميركا لم تدخل الحرب بعد..

ـ أعلم ذلك... لك الأمر، سأنزع بعض الأوسمة.

ـ لا... كلها.

صباح اليوم التالي، كانت كاترين تتناول فطورها في مطعم الاستوديو، وإذا بالرجل ذاته يقف أمامها «كيف ترينني الآن؟».

ـ أمسرور أنت بارتداء تلك البزّة العسكرية، والفتيات متحلقات حولك؟

ـ أعتقد ذلك.

ـ أتعرف... أنت إنسان حقير.

ـ لماذا؟

ـ إذا كنت لا تدري لماذا، فلست مستعدة لتبرير اعتقادي أنك حقير.

ـ حاولي ذلك... دعينا نلتقي مساءً ونتناول العشاء معاً.

ـ عد إلى حيث يجب أن تكون... وسأطلب من السيد أوبريان، أن يدفع لك أجرك.. ما اسمك؟

ـ دوغلاس... لاري دوغلاس.

صممت كاترين ألا تبقي هذا الممثل الشاب ضمن عديد فريق الفيلم. اعتبرته متعجرفاً حقيراً.

انتهت مهمة كاترين في هوليود وعادت إلى واشنطن، إلى حيث وليام فريزر ينتظر على أحر من الجمر... وقبل الذهاب إلى موافاته في أحد

المطاعم، غمرها شعور أنه سيعرض عليها الزواج... إنهما في حالة حب حقيقي. وتمكنت من إقناعه، أنها ليست قادرة على ممارسة الجنس معه بسبب عدم رغبتها بفقد عذريتها قبل الزواج.

كانت تجلس قبالة وليام إلى الطاولة، محدقة بوجهه الذي يشع نوراً، لكنها، دون أن تدري لماذا؟ أدركت أنه لا يرغب بالزواج بها، إنه الحدس الأنثوي...

ـ أسعدت مساءً سيد فريزر...

إلتفتت كاترين نحو الرجل الذي يحيي السيد فريزر، غير آبه لوجودها. لكن وليام، وقف مرحباً.

ـ كاتي إنه النقيب لاري دوغلاس.

كادت كاترين تفقد صوابها، أحقاً؟

ـ لاري... هذه الآنسة كاترين ألكسندر. والتفت وليم نحو كاترين وتابع يقول «لاري أحد الطيارين الذين انتدبتهم أميركا للعمل في سلاح الجو الملكي في بريطانيا، لكنه عاد إلى هنا لتدريب الطيارين الأميركيين».

ضحكت كاترين وهي تتذكر كيف أصدرت له أوامرها بنزع النجوم عن كتفه، والأوسمة عن صدره. لم يكن يقوم بدور سينمائي، بل كان يرتدي بزّته الرسمية، ورغم هذا فقد استجاب لأوامرها ونزع الأوسمة عن صدره.

حاول لاري الإتصال بها في مكتبها، دون جدوى. كانت تمر في فترة ألم نفسي. لقد خذلها فريزر... تأكد لها أنه لا يرغب بها زوجةً بل

عشيقة، وهذا ما لا ترتضيه لنفسها. مر أسبوع بكامله ولاري يحاول الإتصال بها هاتفياً، لكنه لم يفلح. عند انتهاء الدوام، كان بانتظارها عند مدخل الشركة، وهو يرتدي بِزّته العسكرية إنما من دون أوسمة على صدره.

ـ أيعجبك هذا؟

دُهِشَت كاترين لوجوده بانتظارها.

ـ لماذا أنت هنا؟ وأين الأوسمة.

ـ أنا هنا بانتظارك... أما الأوسمة فقد نزعتها بناءً لطلبك.

ـ لكن هذا مخالف للقانون.

ـ أعرف.. لكنكِ أنتِ المسؤولة، أنا أنفذ الأوامر.

ـ وماذا تريد مني؟

ـ ما يريد الرجل من المرأة...

تعجبت كاترين من جرأته وصدقه. إنه يتمتع بكل مواصفات الرجولة، إنه وسيم جداً، صادق، ومن الصعب مقاومة سحر نظراته.

ـ تعالي... هيا بنا، نتناول العشاء معاً.

ـ أين؟ أجابت دون أن تفكر بأي شيء آخر. لم تكن قادرة، على مقاومة جاذبيته.

ـ في شقتي...

ـ في شقتك؟...

ـ نعم في شقتي... أنا أكره المطاعم والأماكن العامة، إنها تقيدني، تمنعني من أن أكون مرحاً.

في شقته الخاصة، وجدت كاترين نفسها أمام رجل يمنح الدفء والحب، أمام رجل واضح، لا يعرف المراوغة. ولا يلجأ إلى أساليب الاحتيال. كان يحاول نزع ثيابها. فأخبرته بأنها ما تزال عذراء.

لم يسمح لها أن تكمل حديثها، بل عاجلها بالسؤال، ولماذا أنا هنا؟

ـ ماذا تقصد؟

ـ كلامي واضح، وضوح ضوء الشمس. أنا هنا لأفقدك من عذريتك، لأجعل جسدك يرتعش ويطلب المزيد من اللذة الحقيقية. أنت لا تعرفين ـ حتى الآن على الأقل ـ معنى ممارسة الجنس الفعلي. فلا القبل تكفي ولا الملامسات الخارجية، لإشباع جسدك، لتفجير طاقة الروح عندك.

كان يتكلم وهو يتابع نزع ثيابها قطعة بعد قطعة، وهي مستسلمة لكلامه، ودون أن تحاول منعه أو إبداء أية مقاومة. في السرير، وجدت أنه فعلاً، تمكن من إشعارها بلذة، لم تعرفها من قبل، اكتشفت جسدها. واكتشفت معنى ممارسة الجنس بحب وحنان، حتى تمنت لو يطول الليل حتى تبقى عارية إلى جانبه. لكن الشمس ستشرق، أبت أم شاءت، وعليها العودة إلى عملها، لكن وبدلاً من ذلك، اصطحبها إلى القاضي المدني في ميريلاند ليعلنهما زوجاً وزوجة.

الذكريات تتزاحم وتتدافع، والطائرة تحلق باتجاه لندن، «محق ديميريس فيما قال.. الماضي هو للماضي، وعليّ التفكير بالأيام الآتية».

ـ آنسة كاترين... لقد انتهت الرحلة... إننا الآن في لندن، قالت المضيفة؛ ثمةً سيارة ليموزين تنتظرها لتقلها إلى شقتها؛ حيث آنا بانتظارها.

ـ أهلاً بكِ آنسة ألكسندر... أنا مدبرة المنزل... آنا.

ـ شكراً آنا... كيف حالك؟

ـ أنا بخدمتك آنستي.

دخلت كاترين، وراحت تتجول في غرفتها. أصابتها الصدمة... «ما هذا الذي أراه؟ ما هذه المقاعد، ما هذا السرير؟... ما...ما...؟»،

على السرير ارتمت «إنه بوسع غرفتي في الدير» وغرقت في الأحلام.

إنها تصرخ مستغيثة، لاري يسبح نحوها، يقترب منها، لا لإنقاذها، بل لإغراقها. إنها في كهف مظلم، الحشرات من كل الأنواع حولها، والأفاعي تحاول ابتلاعها. إنها تصرخ مستغيثة وما من أحد يمد يد المساعدة، فاستفاقت مذعورة. أخذت نفساً عميقاً، «كفى كاترين، كفى تفكيراً بالماضي... فكري باليوم وغداً...أنتِ الآن في مأمن من كل الأخطار. لا أحد يهدد حياتكِ، ولا أحد يعترض طريق المستقبل». لم تكن تدري أن عيون قسطنطين ديميريس تلاحقها، أينما تكون، حتى في غرفة نومها. تلاحق كل حركاتها، وتراقب حتى أحلامها. حتى آنا، هي عين من عيون قسطنطين، وكذلك سائق سيارة الليموزين الموضوعة تحت تصرفها.

إنه لا يتصرف عبثاً. بل بتأنٍ وترو وبناء لخطة. إنه لا يريد كسب ثقتها المطلقة وحسب؛ بل يريدها في أحضانه أيضاً، ولهذا حوّل حياتها إلى

مفاجآت. أخرجها من الدير، أمن لها الشقة التي لم تكن تتخيلها حتى في الأحلام؛ وكذلك العمل مساعدة لإيفلين كاي المدير العام للشركة الهيلينية للتجارة، في مبنى أثري بالقرب من ساحة البيكاديللي وسط لندن.

ـ أنا جد واثقة أنه لن يمضي أسبوع، إلا وتكونين تمكنت من القيام بالمهام المطلوبة منك على أكمل وجه. ولكن، هل أعجبك المكتب؟ قالت ايفلين كاي.

المكتب؟... لم تكن كاترين في حالة نفسية تسمح لها بالتفكير. المكتب... إنه أمر لا يصدق... «إنه كريم جداً، ولكن لماذا يقدم لي كل هذه الأشياء؟... فقط لإحساسه أنه السبب فيما حصل لي؟... يا لهذه الفخامة... حتى أنه لم ينسى أن يرسل باقة الورد».

ـ مهمتنا هنا واضحة ومحددة... قالت إيفلين.

ـ وما هي؟ تساءلت كاترين.

ـ التنسيق بين جميع مؤسسات وشركات السيد ديميريس، ووضع التقارير لإرسالها إلى المقر الرئيسي في أثينا. أما التقارير المالية، فهي من اختصاص ويم فاندين القادر على احتساب نسب الأرباح أو الخسائر بثوان ودون الإستعانة بالآلة الحاسبة.

إنه إنسان ذكي إلى حدود العبقرية، وخجول حتى حدود الإنطواء. يختزن في رأسه معلومات لا تتسع لها صفحات الموسوعات. فما إن سمع إسم كاترين، حتى استرسل بسرد تاريخ هذا الإسم، إنطلاقاً من حياة القديسة كاترين، إلى الإمبراطورة كاترين العظمى، زوجة القيصر

بطرس الثالث، الذي غدرت به بعد عام واحد على زواجهما، واستولت على تقاليد حكم روسيا؛ وشنت حربين على الدولة العثمانية.

يوماً بعد يوم، راحت كاترين تتكيف مع حياتها الجديدة في لندن. فزارت المتاحف، وحضرت العروض المسرحية، وتمتعت برؤية المعالم التاريخية، وتجولت في المعارض الفنية التي يقيمها الفنانون التشكيليون في الهواء الطلق على ضفة نهر التيمز، ويوماً بعد يوم، توطدت علاقتها بإيفلين فصارتا تمضيان عطلة نهاية الأسبوع معاً.

هذا الأحد،قالت ايفلين، سنزور سوق الرعاة الأثري، حيث تجدين كل متناقضات الحياة. من المتاجر التي تبيع أحدث الأشياء، إلى تلك المتخصصة بما هو قديم وأثري، ومن المطاعم والمكتبات الرصيفية إلى الفنادق وما شابه.

أمام مدخل أحد الفنادق، توقفت كاترين، وراحت تقرأ الأسماء على العلب البريدية جاندارك.. دروس في الفرنسية. روزي، دروس في اليونانية... سلمى... دروس في العربية.

ـ أهذا مركز لتعليم اللغات؟

ضحكت إيفلين «يمكنك قول ذلك... ولكن هؤلاء الفتيات يعطين دروساً في لغات لا تعطى في المدارس والجامعات... هنا لا كلام يقال. بل...».

وضحكت كاترين، «فهمت».

كانت كاترين تستغل كل دقيقة. في عمل شيء، أيّ شيء يبقيها بعيدة عن الماضي، أو التفكير فيه. لم تعد تكترث لما حدث، بل تخطط

للمستقبل. زارت قصر وندسور، وكاتدرائية كانتربري، أما أيام الآحاد والأعياد فتكون، برفقة إيفلين، أوتقوم برحلة إلى الريف الإنكليزي.

ما من أحد وُلِد سعيداً. السعادة، لا تُعطى ولا تُهدى... السعادة هي نتيجة إرادة ذاتية... ها أنا ما أزال حية، في مُقتبَل العمر... جميلة... أتمتع بصحة جيدة... إذن عليّ فعل شيء... شيء مُهِم.

لم تعرف كاترين إنساناً كويم فاندين. بدون آلة حاسبة يستطيع أن يقارن بين إنتاج هذا الشهر والشهور الماضية. هناك عشرون موظفاً في مقر الشركة بلندن، وهو قادر على إعطاء المعلومات الصحيحة عن كل موظف منهم، الراتب، رقم بوليصة التأمين، تاريخ الولادة، عدد الأولاد... دون العودة إلى الملفات. إنه يتذكر كل ما يسمع أو يقرأ. قد تطرح عليه سؤالاً بسيطاً، فإذا الجواب أطروحة. إنه نبع معرفة متدفق.

ـ إنه يحيرني. قالت كاترين مخاطبة إيفلين.

ـ إنه إنسان غريب الأطوار. عليكِ أن تتقبليه كما هو: يهتم بالأرقام ويهمل الناس.

ـ هل لديه أصدقاء؟

ـ لا أعتقد ذلك.

ـ هل كان له علاقة بفتاة ما؟

ـ أبداً....

إنه إنسان غير سوي.. يستحِقُّ الشفقة. لقد شكت كاترين يوماً من ألم في أذنها، فأوصاها بمراجعة الطبيب، وراح يتحدث عن الأذن

وأقسامها ومِمَ تتألف وكأنه طبيب.

كان ذات مرة، يتناول طعام الغذاء في مطعم الشركة. برفقة إيفلين وكاترين التي أحبت أن تعرف المزيد عن حياته. فتجرأت وسألته، عما إذا كان يهتم بالرياضة، كالبيسبول مثلاً.

وجاءها الجواب معلومات دقيقة جداً عن هذه اللعبة وقوانينها وقواعدها. وأبطالها العالميين والمحليين.

ـ وهل سبق لك يا ويم أن مارست أي نوع من أنواع الرياضة، كرة السلة مثلاً؟.

ـ لا.. كرة السلة، لعبة شعبية جداً في أميركا، ويجب أن تكون أرض الملعب مغطاة بالخشب الصقيل، إخترعها جيمس نيزميث عام ..1891. و.... و...

كانت كاترين تبدي اهتماماً بجميع العاملين في الشركة، لكنها في الوقت ذاته، تبدي اهتماماً خاصاً بويم فاندين. إنه إنسان فذ، بحاجة إلى من يخرجه من وحدته.

ـ ألا تعتقدين أن عليه الخروج من وحدته هذه؟... أن يحب ويتزوج؟ تساءلت.

تنهُدت إيفلين «كما أخبرتك... لا أحاسيس عنده ولا مشاعر... ويصعب عليه إقامة أية علاقة حب... فلا حب بلا مشاعر».

لكن كاترين لم تكن تشاطر إيفلين الرأي «إنه يعرف كل شيء. لكنه

غير قادر على التعبير... أما سمعته كيف كان يتحدث عن رقصة الفالس، ومن ثم عن السامبا؟».

كانت كاترين تستعد للنوم، حين رن جرس الهاتف جانب السرير.

ـ «أعتذر منك وأتمنى ألا أكون أزعجتك». قال ديميريس على الطرف الآخر من الخط.

ـ أبداً... أبداً... سيد ديميريس.

بالفعل لم تكن منزعجة، بل شعرت بنوع من السعادة. صوته أدخل الدفء إلى جسدها. إنه الإنسان الوحيد الذي يعرف كل شيء عنها، ويمد لها يد العون والمساعدة.

ـ إني قلق عليكِ... أنت في لندن لا تعرفين أحداً... يعني قد تكونين تعانين من الوحدة.

ـ لكني أتبع نصيحتك، إنس الماضي وفكري في المستقبل.

ـ رائع... غداً سأكون في لندن... ما رأيك لو نتناول العشاء معاً؟

ـ يسرني ذلك....

ـ إلى اللقاء إذن...

أعاد ديميريس السماعة إلى مكانها وهو يردد «(بدأ العصفور يدخل القفص... لن أكون على عجلةٍ من أمري...».

الفصل السادس

كان قسطنطين ديميريس، يمتلك أضخم أسطول لناقلات البترول، والعديد من الصحف والمجلات، شركات الطيران، حقول النفط، معامل الحديد، ومناجم الذهب. في المقابل، كان سبيروس لامبرو، يمتلك ثاني أضخم أسطول لناقلات البترول، شركات التأمين، كالمصارف، والعقارات الشاسعة المساحات في العديد من دول العالم.

غريب أمر هذين الإثنين... إنهما الأكثر ثراء في العالم، وأفضل صديقين. هذا ما كان يتردد على ألسنة الناس. في الواقع، كانا غير ذلك. كانا، كل ينافس الآخر، ليس على الثروة والنفوذ وحسب، بل وحتى في امتلاك وسائل الترفيه والتسلية. حين أوصى سبيروس على يخت بطول مئة قدم، أسرع قسطنطين على شراء يخت بطول مئة وخمسين قدماً مع حوض سباحة، وحين بلغت قدرة ناقلات بترول سبيروس تقل مايتي ألف طن، زاد ديميريس عدد الناقلات في أسطوله حتى بلغت أربعاً وعشرين بقدرة نقل ستماية وخمسين ألف طن.

في الوقت ذاته، ورغم علاقة النسب، فإن الواحد منهما يشكل

نقيض الآخر، قسطنطين ابن عائلة فقيرة، لم تعرف معنى الرفاهية يوماً، كان يكد و يكافح من أجل لقمة عيشه، وشق طريقه بنفسه حتى وصل إلى ما هو عليه الآن، لا يتوانى على فعل أي شيء للحصول على ما يريد، فالغاية عنده تبرر السبل والوسائل، بغض النظر عن أخلاقية هذه السبل والوسائل أو لا أخلاقيتها. أما سبيروس فهو سليل عائلة أرستقراطية، تعود في جذورها إلى حكام بافاريا أواخر القرن الميلادي الأول، وإلى سلالة ملك اليونان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ورث عن والده المال والشهرة والمؤسسات التجارية والسفن، والأهم ورث اللياقة وحسن التعامل مع الآخرين. رغم هذا التناقض، كانا يسعيان جاهدين للحفاظ على علاقة صداقة وودٍ، وفي الوقت ذاته، كلٌ يحاول تدمير الآخر، قسطنطين يسعى لتدمير شقيق زوجته لا لشيء، إلا لأنه يحب تدمير منافسيه على مراكز النفوذ والشهرة الواسعة. أما سبيروس لامبرو فكان يسعى لتدمير صهره، بسبب سوء معاملته لشقيقته ميلينا.

كان سبيروس لامبرو ذكياً مؤمناً بالله، خلوقاً، يكثر من فعل الخير، وفي الوقت ذاته يؤمن بتوقعات الفلكيين، وخاصة بتوقعات السيدة بيريس التي توقعت أن تجهض ميلينا طفلها.

كان ديميريس، يذهب إلى مكتبه الفخم الذي تزينه لوحات الرسامين التكعيبيين وبيكاسو خاصة، قلائل جداً الذين يتصلون به على هاتفه الخاص. فقط عيونه في مؤسساته، وفي المؤسسات المنافسة يفعلون ذلك.

ذات صباح، رن جرس هاتفه الخاص.

ـ كاليميرا... سيد ديميريس. إنها نيكوس فيريتوس السكرتير الخاصة لمنافسه سبيروس لامبرو.

ـ كاليميرا...

ـ أعتذر عن إزعاجك باكراً.

ـ هات ما عندك من أخبار يا نيكوس.

ـ يرغب السيد لامبرو بشراء أسهم شركة أوروورا انترناشنال المدرجة في بورصة نيويورك. وعلمت من مصادر سرية وموثوقة أن الشركة على وشك توقيع عقد مع الحكومة الأميركية، يمنحها حق إنتاج الطائرات المقاتلة. مما يعني إرتفاعاً قوياً في أسعار الأسهم.

ـ شكراً نيكوس... إني غير مهتم حالياً بشراء الأسهم. ولا تتصلي بي، إلا لأمر أكثر أهمية.

وضع ديميريس سماعة الهاتف مكانها، واستدعى مساعده الخاص «إفهمني جيداً. أريد من جميع الصحف والمجلات التركيز على أن شركة أورورا أنترناشينال هي على وشك الإفلاس والاستمرار في ذلك حتى هبوط أسعار أسهمها إلى أدنى مستوى.

ـ وماذا أيضاً؟

ـ عندئذٍ، نشتري جميع الأسهم المعروضة في الأسواق، ونبدأ حملة إعلامية جديدة، مناقضة للأولى، التي نصفها بالإشاعات المغرضة التي حاول سبيروس لامبرو بثها، بهدف الإساءة إلى سمعة الشركة والاستيلاء عليها.

ـ لكن هذا مخالف لقانون البورصة في الولايات المتحدة الأميركية.

ـ أعرف ذلك.

منذ سنوات، لم ترى ميلينا شقيقها مسروراً هكذا.

ـ أتعرفين يا ميلينا، كلما مر يوم، كلما زاد اعتماد العالم على البترول، ولكن المشكلة تكمن في ارتفاع أسعار النقل، وفي النقص بعديد ناقلاته.

ـ وهل ترغب في بناء المزيد منها؟

ـ نعم... ولكن سأبني ناقلات عملاقة... منذ شهور وأنا أفكر بالأمر، فوجدت، أنه بواسطة الناقلات العملاقة، أزيد من أرباحي وأرباح شركات النفط في آن.

ـ وكيف يكون ذلك؟

ـ إن كلفة نقل البرميل، حالياً، من الخليج العربي إلى أقرب مرفأ في أوروبا، تقدر بسبعة سنتات، بينما، بواسطة الناقلات العملاقة، تتدنى هذه الكلفة لتصبح بحدود ثلاثة أو أربعة سنتات ليس أكثر.

ـ ومن أين لك المال لبناء مثل هذه الناقلات؟

ابتسم سبيروس، «لن أكون بحاجة إلى المال».

ـ ماذا...؟

ـ نعم شقيقتي... سأذهب إلى الولايات المتحدة، وأبرم عقوداً لنقل النفط مع كبريات شركات النفط، ولآجال طويلة.

ـ ولكنك لا تمتلك هذه الناقلات.

ـ أعرف، ولكن المصارف، وإستناداً إلى تلك العقود، ستمول المشروع.

ـ فعلاً، إنك عبقري يا سبيروس.

معجبةً بأفكار أخيها، راحت ميلينا تروي لزوجها ما سمعت. لكن قسطنطين، لم يعر الفكرة اهتماماً، بل وصف أخاها بالحالم الأكبر الذي قد يضع نفسه تحت عبء الديون.

ـ لماذا يا كوستا... إنها فكرة رائعة.

ـ فكرة غير واقعية، ولا تستند إلى التوقعات العلمية. لأنه لن يكون هناك طلب على النفط كما يتوقع أخوك، وهذا يعني أن ناقلاته العملاقة ستمخر عباب البحار فارغة؛ ولأن الشركات لن تتعاقد معه على نقل ما تريد من بترول بواسطة ناقلات غير موجودة أصلاً. إذ من يضمن لها التمكن من بنائها. والأهم، ما من مصرف، يقرض زبائنه على أساس الأفكار.

انذهلت ميلينا لما سمعت من زوجها. «مسكين سبيروس، من الأفضل ألا يفعل ذلك».

ـ دعيه يحلم يا حبيبتي حتى لا يقول أني أحبط من عزيمته.

ـ حسناً لن أناقش الأمر معه ثانية.

صباح اليوم التالي، كان ديميريس يعبر المحيط الأطلسي متوجهاً إلى الولايات المتحدة الأميركية، حيث المركز الرئيسي لشركات النفط السبع العملاقة، توجه أولاً إلى شركة ستاندارد أويل في نيوجرسي، والتقى بأحد مديريها النافذين، وشرح له الفكرة «هكذا أستطيع مدكم بأكبر كمية من النفط وبأسعار رخيصة نسبياً، مع ما تتكبدونه حالياً.

ـ ولكن أين هي هذه الناقلات العملاقة؟ تساءل المدير.

ـ سأبدأ قريباً في بنائها.

ـ أسف سيد ديميريس، فلسنا على استعداد للإستثمار في هذا المجال.

ـ ليس هذا ما أطلبه منك. كل ما هو مطلوب، عقد إتفاقات طويلة الأمد.

وهكذا كانت البداية، وانهالت طلبات الشركات الأخرى للتعاقد مع ديميريس على نقل البترول بواسطة الناقلات العملاقة، حتى أن سبيروس لم يتمكن من التعاقد إلا مع بعض الشركات الثانوية.

ـ لقد سبقني زوجك يا ميلينا... أقسم لكِ يا شقيقتي، سأجعله يندم على ما فعل.

شعرت ميلينا بالأسى الشديد، وبالندم، وحين رغبت بمناقشة زوجها حول الموضوع، جاء رده مختصراً وحاسماً، «أنا لم أذهب إليهم، بل هم أتوا إليّ... فهل أرفض؟».

ـ عفواً سيد لامبرو... هناك من يريد مقابلتك.

ـ من؟

ـ أنطوني ريزوللي.

ـ حسناً دعه يدخل يا فيريتوس.

أنطوني ريزوللي، رجل في الأربعين من العمر، لا أحد يعلم، من أين جنى ثروته. الكل يُجمع أنه يتاجر بالممنوعات، إنما لا دلائل دامغة على ما يقال.

ـ أهلاً سيد ريزوللي... تفضل إجلس.

ـ شرف كبير لي أن أكون في مكتبك.

ـ كيف لي أن أخدمك؟

ـ حسناً، سبق لي وشرحت للسيد فيرتوس... أرغب باستئجار إحدى سفنك... كما تعلم، أنا أملك مصنعاً في مرسيليا، وعلي شحن بعض المعدات إلى الولايات المتحدة الأميركية، وأتمنى أن نتعاون معاً...

ـ أهذا كل ما تريد شحنه سيد ريزوللي؟ قال سبيروس لامبرو وهو ينظر إليه بعين الشك والريبة.

ـ ماذا...؟ لم أفهم ما تقول سيد لامبرو.

ـ أعتقد العكس... لست مستعداً للتعاون معك.

ـ لماذا؟ ثُمَّ ماذا تقصد بقولك «أهذا كل شيء؟».

ـ أقصد أنك لن تشحن معدات صناعية فقط.

ـ ماذا إذن؟

ـ مخدرات... أنت تاجر مخدرات معروف سيد ريزوللي.

انتفض أنطوني «أمجنون أنت؟... ومتى كنت تصدق الإشاعات التي يطلقها الحاسدون وأولهم قسطنطين ديميريس. أعني زوج شقيقتك؟».

كان سبيروس لامبرو، على ثقة، أن أنطوني ريزوللي، واحد من كبار مهربي المخدرات في أوروبا، وهو عضو فاعل في المافيا.

ـ أعطيتك جوابي سيد ريزوللي. هناك كثيرون غيري يمتلكون سفناً

للشحن.

مد أنطوني ريزوللي يده وتناول بطاقة تعريف من جيبه ووضعها على الطاولة أمام سبيروس لامبرو «هذا هو عنواني... يمكنك الإتصال بي، ولكن ضمن يومين ليس أكثر» وخرج من المكتب غاضباً.

أمسك سبيروس البطاقة وقرأ «أنطوني ريزوللي... استيراد وتصدير. مع رقم الهاتف وعنوان الفندق الذي يقيم فيه في أثينا».

ـ ماذا تقول سيد لامبرو؟ تساءل نيكوس فيريتوس.

ـ ما سمعته... إنه يتاجر بالهيروين. وإذا تعاقدنا معه، فهذا يعني أن سفننا ستصبح مشبوهة.

كان أنطوني ريزوللي، يعبر الشارع منذهلاً مندهشاً «من يحسبني هذا اليوناني اللعين؟ عابر سبيل، أم متسولاً في شوارع أثينا؟. كيف عرف بأمر المخدرات؟... عليّ تأمين هذه الشحنة بأسرع ما يمكن... إنها تساوي عشرة ملايين دولار».

لم يسبق أن ضبطت الجمارك أيُّ شحنة من شحنات أنطوني ريزوللي... لكنه الآن خائف... ولهذا يبحث عن شركة فوق الشبهات. لم يسبق لها أن عرفت معنى الخسارة...

ولد أنطوني ريزوللي في أحد أحياء نيويورك الفقيرة، حيث لا قانون إلا قانون العصابات وقطّاع الطرق، وحيث لا بنى تحتية ولا وسائل ترفيه سوى اللعب بألعاب الحروب والمعارك، لا ملاعب سوى الشوارع والأزقة. ولا رائحة سوى رائحة المجارير والعوز والفقر.

منذ السابعة تعود أنطوني على السرقة، لا لهدف، إلا بهدف إشباع جوعه. وفي الخامسة عشر، أصبح الآمر الناهي على أترابه ورفاقه لما يتمتع به من جسد رياضي وقدرة على القتال. يوماً بعد يوم طور الشباب بزعامة أنطوني علاقات العراك فيما بينهم بما يشبه جولات الملاكمة، وكان رؤوساء العصابات يراقبون كل تحركاته، حتى أنهم بدأوا يراهنون عليه، وذات يوم، فيما هو يبدل ملابسه في غرفة تغيير الملابس سمع فرانك كاستيلو يخبر لاكي لوسيانو أنه ربح اليوم خمسة آلاف دولار «هذا الفتى هو أشبه بمزراب الذهب».

ـ أتراهن عليه دائماً؟ قال لاكي لوسيانو.

ـ نعم ومستعد للمراهنة بنسبة 15 مقابل 5.

ـ حتى ولو تصارع مع لو دومينيك؟

ـ نعم حتى لو تصارع مع لو دومينيك.. إن ريزوللي فتى لا يقهر.

لم يفهم أنطوني شيئاً مما سمعه، لكنه نقله إلى أخيه الأكبر الذي أصيب بالدهشة.

ـ يا إلهي... إنهم يراهنون عليك ويجنون الأرباح.

ـ لماذا؟ فأنا لست مصارعاً محترفاً.

ـ هل سبق لك يا أنطوني وخسرت مرة؟

ـ لا...

ـ إذن... هذا هو السبب... إنهم يراقبونك وصاروا متأكدين من قدراتك القتالية والفنية ولهذا يراهنون عليك وكأنك مصارع محترف.

ـ لكن هذا لا يعنيني.

ـ لكنه سيعنيك... من الآن وصاعداً سيعنيك... إصغ إليّ أيها الفتى... عليك تنفيذ ما سأقوله.

ـ حسناً.

بعد ظهر يوم الجمعة، كان أنطوني على موعد لملاكمة لو دومينيك، وكان كبار رؤوساء العصابات موجودين؛ فرانك كاستيللو، جو أدونيس، ألبرت أنستازيا، لاكي لوسيانو ومايير لانسكي، يراقبون الملاكمين ويمنون النفس بجني الأرباح من خلال مراهناتهم.. كان لو دومينيك أكبر سناً من أنطوني ويزيده وزناً، لكنه لم يكن يتمتع بقدرات أنطوني الجسدية ولا بمهارته في الملاكمة.

وتبعاً للخطة المرسومة بين أنطوني وأخيه، تغلب أنطوني على خصمه في الجولات الثلاث الأولى من أصل خمسة. وهكذا راح فرانك كاستيلو يفكر بما سيجني، فقد راهن بالكثير. إنما، وفجأة في منتصف الجولة الخامسة الأخيرة، تمكن لو دومينيك من إيقاع أنطوني أرضاً، وبدأ الحكم يعد. على مهل، وعيناه تراقبان المشاهدين وهم يصرخون «إنهض يا أنطوني... إنهض» أما جو أدونيس وفرانك كاستيلو فقد نعتاه بابن العاهرة. تابع الحكم العدّ، وأنطوني طريح على الحلبة لا يبدي حراكاً. وهكذا أعلن فوز لو دومينيك بالضربة القاضية.

ـ ابن العاهرة.

ـ الخسيس النذل..

وبدلاً من أن يفرح رؤوساء العصابات، أخذوا ينهالون عليه بالشتائم

واللعنات. فقد تسبب لهم بخسارة كبيرة.

أبقى أنطوني عينيه مغمضتين حتى وصل إلى البيت.

ـ أتعرف كم جنينا اليوم؟ بحدود الألف دولار.

ـ ماذا؟ صاح أنطوني، وكأنه لم يسمع ما تفوه به شقيقه.

ـ نعم ألف دولار.

ـ لم أفهم قال أنطوني.

ـ لقد استدنت مبلغاً من المال وراهنت على لو دومينيك.. إننا نملك المال الوفير.

ـ لا شك سيصابون بالجنون... وماذا سيحل بي إن اكتشفوا الخطة.

ـ لن يتمكنوا من ذلك.

بعد أيام قليلة، كان أنطوني يغادر مدرسته عائداً إلى بيته، حين شاهد لوسيانو بسيارته الليموزين ينتظره عند مدخل المدرسة.

ـ إصعد أيها الفتى.

ـ أعتذر سيد لوسيانو. فأنا....

ـ قلت إصعد وإلا...

ارتعب أنطوني، وأدرك أن لعبة شقيقه قد انكشفت، لكنه ارتاح حين أمر لوسيانو السائق أن يقف خلف المبنى؟

ـ كم تقاضيت لقاء خسارتك أيها الفتى؟

ـ لا شيء سيدي... أنا....

ـ لا تحاول خداعي.. كم تقاضيت.

ـ قلت لك...

ـ كم تقاضيت؟ قل الحقيقة وإلا...

ـ ألف دولار سيد لوسيانو.

ضحك لوسيانو «ألف دولار؟... يا له من مبلغ سخيف؟ كم عمرك يا فتى؟».

ـ ستة عشر عاماً.

ـ أتعرف، أنك تسببت بخسارة فادحة لي ولرفاقي.

ـ أنا آسف سيدي.

ـ دعنا من الماضي، فلنفكر بالمستقبل...

بعد أسبوع، كان أنطوني يعمل لحساب لوسيانو، وشيئاً فشيئاً تمكن من كسب ثقته وثقة عائلته، حتى أنه صار واحداً من الذين يديرون عمل المؤسسة بعد اعتقال لوسيانو.

كانت عائلة لوسيانو، تتعاطى الكثير من الأعمال الممنوعة، من المقامرة، إلى البغاء، باستثناء تجارة المخدرات ولكن كان هناك بعض الأفراد الذين يتعاطون هذا النوع من الأعمال إنما ليس بصورة منظمة. وهذا ما لفت إنتباه أنطوني ريزوللي، وراح يتساءل عن الأرباح التي تجنى من المتاجرة بالهيروين الذي يباع الكيلوغرام الواحد منه بمايتين وخمسين ألف دولار في أسواق نيويورك.

إذن لا بد من فهم كل شيء. هكذا تعود، ألا يقوم بأي عمل غير مدروس. سافر إلى تركيا، التي تعتبر المصدر الأساسي للنباتات التي تصنَع وتتحول إلى أنواع مخدرات عدة، وتعرف على كبار المهربين الأتراك والسوريين واللبنانيين وكسب ثقتهم. ومن بيروت سافر إلى تايلاند حيث تعرف إلى العديد من تجار الهيروين في منطقة الشرق الأقصى. هذه، كانت بداية مسيرة أنطوني ريزوللي... منذ سنوات عشر. وهو يتاجر بالممنوعات... لكن الأمر مختلف اليوم... البوليس الدولي، يلاحق الجميع، خاصة أولئك الذين تحوم الشبهات حول تجارتهم، أو يتساءل الناس عن كيفية جنيهم الثروات خلال فترة قصيرة من الزمن. وما من باخرة تقلع من ميناء يشتبه به، إلا وتتابع خطوة فخطوة وتخضع للتفتيش الصارم، حتى في عرض البحر.

«تباً لهذا اليوناني اللعين.. سفنه فوق كل الشبهات، إنها تدخل جميع المرافىء دون تفتيش دقيق... لكنه رفض التعاون. عليّ الإتصال بصقلية ومارسيليا لتأمين إيصال الشحنة إلى نيويورك بأسرع وقت ممكن، فما تعودت أن أخلف بالمواعيد.. لعنة الله عليك يا سبيروس لامبرو».

ـ كاترين... أتمنى ألا أكون مزعجاً؟.

كان الليل قد انتصف منذ قليل «لا... أبداً كوستا.. على العكس يسعدني سماع صوتك».

ـ هل كل شيء على ما يرام؟

ـ إنه كذلك. وأنا مسرورة جداً بعملي هنا.

ـ حسناً.. بعد أسابيع قليلة، سأكون في لندن وسنناقش معاً بعض الأمور المتعلقة بالعديد من الفروع.

ـ سيكون ذلك.

ـ إلى اللقاء إذن.

ـ إلى اللقاء. قالت كاترين وألقت رأسها على الوسادة واستغرقت في التفكير به وبكرمه، دون أن تكون تدري ما يحيك لها من مؤامرات، وما ينتظرها من مصاعب.

مدت يدها ورفعت السماعة.

ـ عفواً كوستا، هذه أنا كاترين، نسيت أن أشكرك. على هديتك الثمينة...

ـ أخبرتني إيفلين عما تبذلينه من جهد.. ولهذا أردت التعبير عن تقديري لك ولتفانيك في العمل...

ـ شكراً جزيلاً.

ـ هناك الكثير من المفاجآت بانتظارك كاترين.

ـ ماذا؟

ـ نعم.. أنا أقدر جهد العاملين في شركاتي.. تصبحين على خير يا عزيزتي...

ـ وأنت بألف خير...

ـ فقط...؟

ـ يا عزيزي.. قالت كاترين.

دقائق قليلة، وعاد كوستا وأمسك سماعة الهاتف ليتكلم مع المحامي

الذائع الصيت نابليون كوناس.

ـ إسمع نابليون... هناك فيللا باسم نويل بايج.

ـ نعم.

ـ أريد شراءها، إنما ليس لي شخصياً.

ـ ولمَ لا...؟ سأكلف أحد المحامين العاملين في مكتبي القيام بهذه المهمة.

ـ لا.. أريدك أنت شخصياً أن تتولى الأمر، لا أحد سواك.

ـ حسناً سيكون ذلك...

أعاد نابليون كوتاس السماعة إلى مكانها «إنها الفيللا التي شهدت اللقاءات السرية بين نويل بايج ولاري دوغلاس، فيها عاشا أجمل لحظات حياتهما، فيها مارسا الحب حتى الثمالة. ترى ما الذي يريده قسطنطين دميريس؟».

الفصل السابع

كل من في القاعة، كان يترقب سماع صوت مطرقة القاضي؛ معلناً البدء في محاكمة أنستازيا سافالاس بتهمة قتل زوجها البالغ من العمر خمساً وستين عاماً. إنها جلسة المواجهة بين المدعي العام بيتر ديمونيدس والمحامي الذائع الصيت نابليون كوتاس الذي لم يسبق له أن خسر دعوى.

التهمة دامغة، فكيف قبل نابليون، أن يتولى الدفاع؟ سؤال، ردده الكثيرون، والجواب عليه، لن يكون قريباً. وحده المدعي العام، كان فرحاً، إنها فرصته الأولى للتغلب على «هذا المحامي المدّعي القدرة على تبرئة موكليه... فماذا سيفعل بهذه القضية؟» جميع الشهود، حتى العشيق، اتهموا آنستازيا، وكذلك الوقائع المستند إليها.

«سيدي القاضي...» هكذا استهل بيتر ديمونيدس مرافعته الأولى وتابع «كلنا نعرف، أن محاكمة أي متهم في القتل، قد تطول شهوراً، للاستماع إلى شهود الإدعاء وشهود الدفاع، وجمع الدلائل والقرائن التي، إما تدين المتهم أو تبرئه. لكن الدعوى التي ننظر فيها اليوم ، لا أعتقد أنها ستطول، كل الأدلة موجودة، وكذلك الشهود الذين ما من أحد منهم، إلا وشهد أن هذه المرأة الجالسة خلف القضبان، الرائعة

الجمال، والتي لم تتجاوز الثلاثين من عمرها، أقدمت، عن سابق تصور وتصميم، على دس السم لزوجها المسكين البالغ من العمر خمساً وستين عاماً، بعد اكتشافه لعلاقتها بسائق العائلة جوزف باباس ورغبته في تطليقها، وهذا يعني، فقدانها حق وراثته، ولا شك أن حضرتكم يا سيدي القاضي، تعرفون، كما يعرف الجميع، أن المغدور، من أصحاب الثروات الطائلة، فماذا فعلت؟ أعطت جميع الخدم إجازة، مدعية أنها ستحتفل تلك الليلة بعيد زواجهما، وحدها مع زوجها، تريد استعادة ذكرى شهر العسل. هكذا خلا لها الجو، وبدلاً من الدواء المضاد للسعال، أعطته مبيداً حشرياً سامّاً، اشترته في اليوم ذاته كما سيثبت شاهد الإثبات. إنه الطمع يا سيدي القاضي... وكيف لامرأة لها عشيق من عمرها، وتعرف أن زوجها سيلغي وصيته التي يوصي بها لها بما يملك من أموال منقولة وغير منقولة. وأنه سيرفع عليها دعوى طلاق بتهمة الزنا، أن تفكر بالإحتفال بعيد زواجها وتستعيد ذكريات شهر العسل؟

سيدي القاضي أيتها السيدات والسادة.

كل الخدم والأصدقاء، كانوا يعرفون أن علاقة المتهمة بزوجها المغدور، لم تكن يوماً، علاقة حب وود. فمن أين جاءها هذا الحنان، تلك الليلة؟ أهكذا تفجر نبع حبها لزوجها وهي التي دأبت على معاملته وكأنه عبد لها، فتوجه له الإهانات على مسمع من الجميع، وتقدم على صفعه وضربه ضرباً مبرحاً، على مرأى الخدم والأصدقاء.

سيدي القاضي، لن أطيل الحديث، ولن أسترسل في توجيه التهم. فالتهمة دامغة، حتى هي لم تتمكن من نفيها أو من مواجهة الشهود.

لذلك أطالب سيادتكم جعلها عبرة لمن يعتبر.. وشكراً.

جلس المدعي العام مكانه وعينه على محامي الدفاع نابليون كوتاس: «لن يتمكن هذا اللعين من إثبات براءة موكلته... إنها المرة الأولى التي سأتفوق فيها عليه».

نظر القاضي إلى نابليون كوتاس «فليتفضل محامي الدفاع للإدلاء بمرافعته الأولى».

بتثاقل وقف كوتاس، وحدق قليلاً بالمدعي العام، ثم بموكلته.

«سيدي القاضي...

أسهب حضرة المدعي العام في تعداد القرائن التي تثبت إدانة موكلتي. ولكني أستعيد قولاً لأحد كبار علماء النفس «العين مرآة الروح البشرية» فانظروا يا سيدي القاضي، وأنتم أيتها السيدات والسادة، بعيني موكلتي واحكموا عليها».

لم يضف نابليون أية كلمة، بل عاد إلى مقعده وجلس وهو ينظر إلى المدعي العام الذي بدا عليه الإندهاش والفرح في آن. كان مندهشاً لعدم قدرة المحامي المخضرم من الرد على ما جاء في مرافعته. وكان فرحاً، لأنه، للمرة الأولى، منذ نيف وعشرين سنة، سينتصر عليه. وسيثبت للعالم أن نجم نابليون كوتاس، أخذ بالأفول. كذلك سرت الهمهمات بين مئات المتواجدين في قاعة المحكمة، والذين جاءوا في أغلبيتهم، للاستماع إلى مرافعة كوتاس. لكنه خذلهم، هكذا اعتقدوا.

ـ هل يرغب المدعي العام بالإستماع إلى شاهد الإثبات الأول؟ قال القاضي.

ـ نعم سيدي القاضي، إنه ليزا ليكورغوس.

تقدمت ليزا ابنة الخمسين عاماً، نحو منصة الشهود وأقسمت اليمين، على ألا تقول إلا الحق كل الحق.

ـ ما هي طبيعة عملك سيدة ليزا؟ تساءل المدعي العام.

ـ مدبرة منزل السيد جورج سافالاس.

ـ ومنذ متى؟ أتذكرين؟

ـ نعم.. منذ خمس وعشرين سنة تقريباً.

ـ هذا يعني أنكِ كنتِ مدبرة منزله أيام زواجه الأول.

ـ نعم.. وكنت إلى جانبه أثناء دفن المرحومة زوجته الأولى.

ـ هل كانا على علاقة حب؟

ـ أكثر مما يتصور أي إنسان.

توقع بيتر ديمونيدس، أن يثور محامي الدفاع، معترضاً على سؤاله هذا. لكن بدا واضحاً أن السيد كوتاس، كان يفكر بأمور أخرى. تابع المدعي العام استجواب الشاهدة، فرحاً جزلاً.

ـ وتابعت عملك في منزل السيد جورج سافالاس بعد زواجه من السيدة أنستازيا؟

ـ بالطبع نعم.

ـ هل كانا سعيدين في حياتهما؟... ثانية رمق نابليون كوتاس بنظرة

خبيثة، ليتعرف على ردة فعله، لكن نابليون كان في وادٍ آخر، أو هكذا اعتقد المدعي العام.

ـ أبداً... لم يكونا سعيدين... كانا على خلاف دائم، يتشاجران، ويتعاركان بالأيدي. ونادراً ما ضربها، لكنها هي من كانت تضربه، وقد رأيت ذلك بأم العين... مراراً وتكراراً.

ـ اعترفت أثناء التحقيق، أن السيدة سافالاس، أبلغت الجميع ليلة الجريمة، أنها تريد الإحتفال بعيد زواجهما، وحيدة مع زوجها، ويمكنكم الإنصراف إلى منازلكم... أصحيح هذا؟

ـ نعم... وكان المسكين يشكو من الرشح والسعال.

ـ هل سبق للسيدة سافالاس وقامت بإعداد الطعام ولو لمرة واحدة؟

ـ ماذا؟... أبداً... حتى نادراً ما كانت تدخل المطبخ.

ـ شكراً سيدة ليزا ليكورغوس.

تأكد المدعي العام أن لشهادة السيدة ليزا تأثيراً كبيراً على قناعات القضاة والمحلفين، لكنه كان خائفاً من أسئلة محامي الدفاع الذي لم يشأ أن يوجه أي سؤال.

ـ هل من شاهد ثانٍ حضرة المدعي العام؟

ـ نعم سيدي القاضي... إنه السائق جورج باباس الذي اعترف بأن علاقته بأنستازيا. تعدت حدود الممارسات الجنسية، إن في المنزل أو خارجه، إلى حدود التفكير بالزواج، الأمر الذي جعل جميع من في القاعة، ينظر إلى المتهمة نظرات تساؤل واستغراب. هل يعقل لامرأة متزوجة أن تفكر بالزواج من آخر؟

- إني في حيرة من أمري، سيد باباس، قال المدعي العام بيتر ديمونيديس، فالذي أسمعه يدفعني إلى التساؤل، هل خططتما للزواج بعد وفاة السيد سافالاس طبيعياً، أو بحادث ما، يبدو وكأنه قضاء وقدر؟ هل لك أن تشرح لنا ذلك؟

توقع الكل، حتى القضاة، أن يضرب كوتاس يده على الطاولة محتجاً على هذا السؤال، لكنه لم يحرك ساكناً وبقي مكانه ملتزماً الصمت.

تململ جوزف باباس مكانه. لم يتوقع سؤالاً كهذا..

- لا أدري.. كل ما أدريه أننا كنا ننوي الزواج وبناءً لاقتراحها.

- إن كنت لا تدري، فدعني أنا أقول لك. كانت السيدة سافالاس تدرك أن زوجها سيلغي الوصية التي بموجبها تستحوذ على ثرواته وأنه سيطلقها. لذا أقدمت على التخطيط للقضاء عليه... إنها...

- أعترض...

لم يكن نابليون كوتاس هو من رفع صوته معترضاً، بل القاضي وتابع «إنك توحي للشاهد بالإجابة التي تثبت قناعاتك».

- آسف سيدي قال بيتر ديمونيدس.

كانت الدهشة بادية على وجه رئيس المحكمة ومساعِدَيه.

- هل من أسئلة ترغب بطرحها على الشاهد، سيد كوتاس؟

- لا... سيدي.

الشاهد الثالث كان مدير الفندق الذي كان يقصده العشيقان، مراراً وتكراراً لقضاء الليل، وحتى عطلة نهاية الأسبوع، أما الرابع فكان

الطبيب المعالج الذي أدلى بأن المغدور كان يعاني من ارتفاع بضغط الدم وضيق في التنفس لإصابته بنوع من الربو وأفاد أنه استدعي إلى المنزل السيد سافالاس لمعالجته من كسور في أضلاع الصدر وكدمات على جسده، نتيجة عنف جسدي مارسته عليه زوجته كما أخبره المغدور.

كل هذا ولم يحرك محامي الدفاع ساكناً، مما أثار دهشة القضاة والمحلفين والحضور الذين، راحوا يتساءلون «أهذا هو نابليون كوتاس الذي كان صوته يدوي مرافعاً عن موكليه؟...» والسؤال الأكبر كان «لماذا ارتضى كوتاس القيام بمهمة الدفاع عن متهمة لا مجال لتبرئتها؟».

شعر بيتر ديمونيدس، أنه ربح الجولة، وتمكن من القضاء على أسطورة المحامي الذي لا يُقهر، المحامي الذي منذ ثلاثين عاماً ولم يخسر أية دعوى.

الشاهد الأخير كان نيقولا مينتاكيس صاحب مشتل الزهور والنباتات.

- ما هي مهمتك الأساسية سيد مينتاكيس؟ قال المدعي العام.

- الإهتمام بتغذية النباتات والحؤول دون إصابتها بالأمراض.

- هذا يعني أن هناك إمكانية استعانة الزبائن بخبرتك للحفاظ على النباتات في بيوتهم؟

- نعم سيدي... هذا جزء من عملي.

- هل السيدة سافالاس واحدة من زبائنك؟

- نعم... إنها مولعة بالزهور والنباتات.

- سيد ديمونيدس، قال رئيس المحكمة، هذه أسئلة لا ضرورة لها

ولا تؤثر بسير القضية التي ينظر بها.. أرجوك أدخل في صلب الموضوع، إلا إذا كنت لا ترغب بالإنتهاء سريعاً من هذه القضية.

ـ أعرف سيدي القاضي، ولكن أتمنى أن يتسع صدركم لأسئلتي.

نظر القاضي بالسيد كوتاس «أما من تعليق سيد نابليون كوتاس؟».

ـ لا... سيدي القاضي.

ـ إذن... قال القاضي موجهاً كلامه إلى المدعي العام، يمكنك المتابعة.

ـ شكراً سيدي القاضي... سيد مينتاكيس، متى كانت آخر زيارة قامت بها السيدة سافالاس لك؟

ـ خلال كانون الأول الماضي، أخبرتني أن بعض النباتات لا تنمو بشكل طبيعي بسبب وجود حشرات مضرّة.

ـ هل طلبت إليك معاينة النباتات؟

ـ لا.

ـ وماذا فعلت إذن؟

ـ أعطيتها مبيداً حشرياً سامّاً، يشبه سُمَّ الأرسينيك. وسرت همهمة في القاعة، اضطر رئيس المحكمة على إثرها تهديد الحاضرين بإخراجهم من القاعة، إذا لم يلتزموا الصمت.

ـ إذن بعتها مبيداً حشرياً سامّاً ؟

ـ نعم سيدي.

ـ قلت إنه سامّ... فهل يؤدي إلى الوفاة؟

ـ نعم سيدي.

ـ وهل هذا مسجل في سجلاتك؟

ـ نعم، ولدي نسخة الفاتورة الموقعة من السيدة سافالاس إقراراً باستلام المبيد وبالإرشادات التي أعطيتها، حفاظاً على الصحة العامة.

ـ حسناً لا مزيد من الأسئلة.

كاد رئيس المحكمة أن ينفجر غضباً من صمت محامي الدفاع.

أخذ المدعي العام نفساً عميقاً. ووقف مزهواً بنفسه «والآن سيدي القاضي. أتسمح بإحضار زجاجة الدواء التي من المفترض أنها تحوي دواء لمعالجة السعال؟».

ـ لا مانع.

أمر المدعي العام أحد موظفي المحكمة إحضار الزجاجة التي كان رجال الشرطة قد تحفظوا عليها، على أساس أنها أداة الجريمة ووضعت الزجاجة أمام القضاة، تبين للجميع أنها ناقصة قليلاً.

ـ سيدي القاضي، أتسمح لي بسؤال أخير للشاهد مينتاكيس؟

ـ لا مانع إلا إذا كان لدى محامي الدفاع أي إعتراض.

ـ لا.. فليتفضل حضرة المدعي العام. قال نابليون كوتاس.

ـ شكراً... سيد مينتاكيس، هل من الممكن أن تلقي نظرة على الزجاجة الموضوعة أمام السادة القضاة؟

تقدم نيقولا مينتاكيس «نعم إني أراها جيداً».

ـ هل الكمية الناقصة كافية لقتل إنسان؟

ـ كافية لقتل أكثر من إنسان لكنها ليست مبيداً حشرياً.

ـ شكراً سيد مينتاكيس، يمكنك العودة إلى مكانك. والآن أيها السيدات والسادة، هذا هو سلاح الجريمة أمامكم. إنه زجاجة دواء مضاد للسعال، هكذا يفترض أن يكون، لكن السيدة سافالاس أفرغت الزجاجة من محتواها الأساسي، ووضعت المبيد الحشري مكانه. المبيد الحشري الذي تسبب في وفاة الضحية.

ـ أعترض سيدي القاضي... قال كوتاس وأضاف «لا يملك حضرة المدعي العام أي إثبات على أن السيد سافالاس تناول جرعة من محتويات هذه الزجاجة».

ـ كان حريّ بالزميل محامي الدفاع أن يتذكر، أن السيدة سافالاس اعترفت أكثر من مرة، أنها أعطت زوجها، تلك الليلة، جرعة من هذا الدواء لإراحته من نوبات السعال كما ادعت. وقد تحفظت الشرطة الجنائية على هذه الزجاجة التي أمامكم، وبقيت تحت الحراسة، حتى لحظة أحضارها إلى هنا. وكلكم تعلمون، أن السيد سافالاس توفي مسموماً بمبيد حشري كما جاء في تقرير الطبيب الشرعي.

نظر المدعي العام إلى محامي الدفاع، نظرة تحدٍ «لقد أفلت من يدك أيها المحامي العجوز».

ـ إذن أيها السيدات والسادة... هل بعد هذه الوقائع، وإفادات جميع الشهود، هل بعد من مجال للشك أنها إنسانة مجرمة قاتلة؟ لذا فإني أناشدكم يا حضرة الرئيس ويا حضرات المستشارين

جعلها عبرة لمن يعتبر، وإنزال أشد العقوبات عليها وشكراً.

تنهد رئيس المحكمة قبل أن يلتفت إلى السيد نابليون كوتاس.

ـ والآن يا سيد كوتاس، ستبقى صامتاً، أم ترغب بالمرافعة عن موكلتك؟

أحس كوتاس، أن صمته طيلة فترة استجواب المدعي العام للشهود، أثار الدهشة والإستغراب. فابتسم وهو يقف على رجليه وتقدم أمام منصة القضاة.

ـ سيدي القاضي، حضرات المستشارين، أيها السادة المحلفون. أعتقد أنكم دُهِشتم لعدم طرحي أي سؤال على الشهود... فالحقيقة، أن السيد ديمونيدس أبلى بلاءً حسناً، لذا لم أجد ضرورة لطرح أي سؤال.

حدّق كوتاس قليلاً بزجاجة الدواء المضاد للسعال، ثم عاد ليركز نظره على القضاة «إن الحقيقة التي لا تقبل ردعاً ولا حجباً، هي أن كل الشهود، كانوا صادقين وشرفاء، لكنهم لم يثبتوا أي شيء... أعني.. عفواً سيدي القاضي، من خلال كل ما سمعناه، توصلنا إلى أن هناك امرأة رائعة الجمال، ما تزال في مقتبل العمر زُوِّجت إلى رجل عجوز عاجز عن إشباع جسدها «إلتفت نحو جوزف باباس» فتعرفت إلى هذا الشاب الذي لم يشبع جسدها وحسب، بل ومنحها الحب والحنان، وما من أحد إلا وكان يعرف أن هناك علاقة حب تربطهما، لكن السيدة آنستازيا سافالاس، ليست هنا لتحاكم بتهمة الزنا، بل بتهمة القتل».

صمت نابليون كوتاس، وهو ينظر إلى الزجاجة الموضوعة على المنصة مما أثار غضب المدعي «ما لهذا العجوز يتباطأ؟... إما يريد الإنتهاء من

مرافعته، قبل الساعة الثانية عشر؟ أتراه يتعمد هذا الصمت ولكن لماذا؟... تباً لك بيتر ديمونيديس، لماذا أنت خائف منه؟ حتى هو اعترف أني أبليت بلاءً حسنا».

استطرد نابليون كوتاس، وقد حدّق إلى عيني القاضي قائلاً:

«دعونا سيدي القاضي نستعرض ما جاء على لسان الشهود»: السيدة سافالاس، تهتم جداً بالنباتات والزهور. قصدت مشتل السيد مينتاكيس بصفته خبيراً في تغذية النباتات المنزلية ووقايتها من الأمراض، وأخبرته أن بعضاً من نباتاتها مُصابٌ بالامراض، فنصحها باستعمال مبيد حشري، فهل اتباع تعليماته، يعتبر جريمة؟ بالطبع لا... ومن ثم نأتي إلى شهادة مدبرة المنزل السيدة ليزا ليكورغوس التي أفادت أن السيدة سافالاس، منحت جميع المستخدمين إجازة تلك الليلة، لتستعيد ذكريات شهر العسل مع زوجها، فهل هذا دليل كافٍ على أن السيدة سافالاس كانت تنوي الغدر بزوجها؟ أنا لا أعتقد ذلك... فهل منكم من يعتقد؟».

سعل كوتاس قليلاً ثم أكمل «دعونا نفترض ـ ولو على سبيل الافتراض ـ أن هذه المتهمة ـ وأشار بيده إلى السيدة سافالاس ـ تكن حباً لزوجها، وترغب القيام بما يتوجب عليها كزوجة، فماذا عليها أن تفعل؟ ما من شك أن إعداد الطعام هو أولى واجبات الزوجة، وأعتقد، ولا شك أنكم تشاطرونني الاعتقاد، أن إعداد الطعام للزوج هو نوع من أنواع التعبير عن الحب، «نظر إلى الزجاجة» وكذلك الإهتمام بصحته والتقيد بمواعيد تناول الدواء في حال كان الزوج مريضاً، أو يشكو من علة ما، فكيف إذا كان كالمغدور، يشكو أمراضاً وعللاً.

الساعة الثانية عشر إلا دقيقة واحدة... القلق يسيطر على المدعي العام.

«سيدي القاضي حضرات المستشارين» تابع كوتاس «أنظروا إلى هذا الوجه الملائكي ـ وأشار إلى وجه موكلته ـ وإلى هاتين العينين البراقتين، أنظروا إلى هذا الجمال الذي لو كان معاصراً لليوناردو دافنشي لكان رسمه ولم يرسم الموناليزا، فهل تجدون أن صاحبة هذا الوجه، وهاتين العينين وهذا الجمال، هل تجدونها مجرمة قاتلة.. أنا شخصياً لا....».

سحب كوتاس منديلاً من جيبه ووضعه على فمه قليلاً ثم تابع «أرجو أن تتأكدوا من أن حضرة المدعي لم يثبت إلا شيئاً واحداً، شيئاً واحداً فقط، ألا وهو أن السيدة سافالاس أعطت زوجها جرعة من الدواء الموجود في الزجاجة هذه «عاد وسعل مجددا»، وبطريقة عفوية جداً، تناول الزجاجة عن المنصة، أزاح غطاءها وقربها من شفتيه وأخذ جرعة من الدواء، فيما الكل، كل من في القاعة، ينظر إليه مستغرباً فعلته مما حدا بالقاضي إلى تحذيره مما يفعل، لكنه، بدلاً من أن يعيد الزجاجة إلى مكانها، أعادها إلى شفتيه وأخذ جرعة ثانية.

ـ عفواً سيدي القاضي، إن اتهام المدعي العام لموكلتي هو محض افتراء. فالمغدور لم يمت بسبب تناوله جرعة من محتويات هذه الزجاجة التي وصفها السيد ديمونيديس بأنها السلاح الذي استعمل لتنفيذ الجريمة.

دقت الساعة معلنة الثانية عشر ظهراً، فرفعت الجلسة إلى الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم ذاته. ديمونيديس كان قلقاً على كوتاس، إنه يريد الانتصار، لا القضاء عليه.

عند الساعة الثانية، عاد كلٌ إلى موقعه في قاعة المحكمة، لاستئناف محاكمة السيدة سافالاس، وكوتاس لم يعد. «لعنة الله قتل نفسه بنفسه». قال ديمونيدس، لكن مخاوفه لم تكن في موقعها، إذ ما هي إلا لحظات، حتى دخل السيد نابليون إلى القاعة وهو بحالته الطبيعية وبصحة جيدة. وراح يجيل النظر بهيئة المحكمة والمحلفين، وبالمدعي العام خاصة.

أعلن رئيس المحكمة افتتاح الجلسة موجهاً كلامه للمدعي العام.

ـ هل من شيء تريد قوله حضرة السيد ديمونيدس.

ـ لا سيدي.

ـ أنت سيد نابليون كوتاس؟

ـ أبداً سيدي، ولكنني أذكركم وأذكر السادة المحلفين أن حضرة المدعي العام، شدّد في مطالعته، على أن المغدور، توفي بعد عشرين دقيقة من تناوله جرعة من محتويات هذه الزجاجة التي تحفظت الشرطة عليها، كأداة للجريمة، وها أنا تناولت، ومنذ ساعتين ونيف، جرعتين من محتواها، وما أزال حياً، أخاطبكم بكامل قواي العقلية.

لذا، ألتمس منكم يا سيدي القاضي، اعتبار هذه الجلسة هي الجلسة الأخيرة وشكراً.

تداول القاضي همساً مع مستشاريه ثم توجه إلى هيئة المحلفين.

ـ هل توصلتم إلى قرار موحد.

ـ نعم حضرة القاضي، قال الناطق باسم هيئة المحلفين.

ـ وإلى ماذا توصلتم؟ هل السيدة آنستازيا مجرمة أم لا؟.

ـ بعد الإستماع إلى الشهود، ومطالعة حضرة المدعي، ومطالعة حضرة محامي الدفاع، تبين لنا بالإجماع أنها غير مذنبة.

كاد يغمى على بيتر ديمونيدس الذي كان يمنى النفس أن يتغلب على نابليون كوتاس ولو لمرة واحدة في حياته كمدعى عام.

الفصل الثامن

كان مكتب نابليون كوتاس للمحاماة، واحداً من أشهر مكاتب المحاماة شهرة في اليونان، وكان نابليون المحامي الأغلى أجراً، حتى أنه تقاضى مليون دولار أميركي لقاء توليه الدفاع عن آنستازيا سافالاس. كان يعرف من أين تؤكل الكتف، ولا يتوانى عن فعل أي شيء، باستثناء القتل، لكسب أية قضية يتولاها.

بعد خروجه من الجلسة الصباحية لمحاكمة آنستازيا سافالاس، كان هناك عدد كبير من مراسلي الصحف، بانتظاره في ردهة المحكمة الخارجية لسؤاله «كيف تجرأ وشرب الدواء المفترض أن يكون مبيداً للحشرات؟ هل كنت تعرف سيد كوتاس أنه فعلاً علاج للسعال؟ وإلى ما هنالك من الأسئلة التي رفض الإجابة عن أي منها، متذرعاً بحجج واهية. لكن الكل لاحظ أنه أسرع بدخول أحد المراحيض وأغلق الباب خلفه ومكث ساعة من الزمن وأكثر.

تعمد نابليون، عدم ابتلاع أيّ جرعة من الدواء قبل الساعة الثانية عشرة المحددة لارفضاض الجلسة الصباحية، وإن كان جميع من في القاعة، أصيب بالذهول مما فعل، لكن أحداً لم يلاحظ أن السيد كوتاس، كان يضع منديلاً على فمه بعد ابتلاع الدواء، فبصق ما دخل فمه بحيث لا يبقى فيه إلا أثر قليل، ولكن أحداً، لم يعرف، أن داخل المرحاض، كان

هناك فريق طبي كامل بانتظاره، لإجراء غسل لمعدته، قبل بدء سريان مفعول المبيد الحشري. كان نابليون مستعداً لخسارة حياته بدلاً من خسارة القضية.

كان يفترض به، لما يملك من أموال منقولة وغير منقولة في اليونان والعديد من دول أوروبا، أن يكون أسعد الناس، لكنه لم يكن كذلك. كان يشعر أنه السبب في مقتل المحامي فريدريك ستافروس، بتدبير من قسطنطين ديميرس.

كان ستافروس يعيش بهدوء وسلام، يمنح عائلته الحب والحنان، نادراً ما رآه أحد غير مبتسم، لكنه، بعد الإنتهاء من محاكمة لاري دوغلاس ونويل بايج، تحولت حياته إلى جحيم نفسي كان، يعتبر نفسه شريكاً لنابليون كوتاس في خداع موكليهما، وإقناعهما بالاعتراف بارتكاب جريمة كاترين الكسندر، على أساس أنهما يحملان جنسية أجنبية، مما يعني أن الحكم سيكون بإبعادهما عن اليونان، لكن الحكم جاء ـ بتدخل من قسطنطين ديميريس، وبمشاركة نابليون كوتاس ـ جاء بالإعدام رمياً بالرصاص. لم يكن سافالاس يعلم بالخديعة التي نصبت للمتهمين، فأخذ يلوم نفسه إلى درجة الإحساس بالذنب، ولم يعد قادراً، على النوم، أو الأكل.

ـ فريدريك عليك استشارة الطبيب، ألا ترى الشحوب على وجهك والهزال في جسدك؟ قالت زوجته.

ولكن ما من طبيب قادر على إعطائه العلاج، إنه بحاجة إلى طبيب من نوع آخر، إلى طبيب يخلّصه من عذاب الضمير.

وحتى نابليون كوتاس لاحظ هذا التغير عليه.

ـ اسمع يا عزيزي فريدريك... لماذا لا تستفيد من إجازة مدفوعة الأجر لمدة شهر، تزور خلاله دول أوروبا، وأنا مستعد لتحمل كامل المصاريف.

ـ ولماذا هذا الكرم سيد كوتاس؟

ـ لأنك واحد من أنجح المحامين العاملين في هذا المكتب، ولا يمكنك العطاء طالما أنت متعب.

ـ إني جد شاكر لك، ولكني أرغب بإجازة طويلة الأمد.

فوجيء نابليون بمثل هذه الرغبة، «عما تتكلم، فأنت محام ناجح».

ـ لا... أنا أتمزق داخلياً سيد كوتاس.

ـ تتمزق داخلياً؟... لماذا يا صديقي؟

ـ وتسألني لماذا؟.. عما فعلناه بلاري دوغلاس ونويل بايج. ألا تشعر بالذنب يا نابليون؟ لقد خدعناهما وتسببنا بإعدامهما.

ـ اسمع يا عزيزي، نحن، أنت وأنا، نعرف أنهما كانا مجرمين. وللعدالة وجوه متعددة.

ـ لكننا خدعناهما... متأسف يا صديقي، ليس بمقدوري الاستمرار بالعمل في مكتبك؛ إني أعطيك مهلة شهر لتدبير بديل لي.

ـ هل تدرك خطورة كلامك... إنك تدمر نفسك كمحام، وتدمر حياتك، أنت هنا مكرم معزز، تتقاضى أجراً لا يحلم به أحد.

ـ لا يا عزيزي... أنا لا أدمر حياتي... بل أُنقذ نفسي. وأعدك وعداً قاطعاً، أني سأرحل عن أثينا، ولن أخبر أحداً بما فعلنا، إنه سرّ سيدفن معي.

عند الرابعة، بعد ظهر اليوم ذاته، كان نابليون في مكتب ديميريس ليخبره بقرار فريدريك ستافروس.

ـ ستافروس؟ المحامي الذي تولى الدفاع عن لاري دوغلاس، أليس كذلك؟

ـ نعم... إنه يشعر بعذاب الضمير.

ـ يشعر بعذاب الضمير... هكذا إذن؟

ـ نعم... لكنه وعد أن يرحل عن أثينا وألا يبلغ أحداً بما حصل.

ـ وهل تثق به يا كوتاس؟

ـ كل الثقة.

ـ حسناً، لا داعي للقلق إذن؟

بعد ظهر يوم الجمعة، أي بعد ثلاثة أيام على تقديم إستقالته، كان ستافروس، يركع أمام كرسي الإعتراف بكنيسة القديسة كاترين وسط أثينا، طالباً من الكاهن منحه الغفران الإلهي عن الذنب الذي ارتكبه.

خرج من الكنيسة مرتاح البال والضمير، وراح يتمشى في شوارع أثينا «سأبدأ حياة جديدة... سأرحل إلى مدينة أخرى، أو إلى دولة أخرى... سأسعى جاهداً للتكفير عما فعلت.. شكراً لك يا رب،

منحتني غفرانك، وهبتني رحمتك، أشعر وكأني اليوم ولدت، فأنا الآن، بفضل وسع رحمتك يا رب طاهر نقي».

مسكين ستافروس، لم يكن يدري، أن مشواره هذا، هو آخر المشاوير، وأن زوجته المشتاقة لرؤية ابتسامته، لن ترى هذه الإبتسامة إلى الأبد.

صباح اليوم التالي، وكعادته، كان نابليون كوتاس، يتناول فطوره ويقرأ صحيفة الصباح المفضلة لديه وإذ به يقرأ «ليل أمس. تعرّض السيد فريدريك ستافروس المحامي الناجح في مكتب نابليون كوتاس للمحاماة، إلى حادث أدى إلى وفاته. وفي التفاصيل، أن المغدور، كان يتمشى في شوارع وسط أثينا، حين صدمته سيارة ليموزين سوداء مجهولة لوحات التسجيل. والجدير ذكره أن المغدور هو أحد المحامين الذين دافعوا عن لاري دوغلاس».

إنه قسطنطين ديميريس. قال نابليون، ولا شك سيكون أول المعزين، وأشدّ المستنكرين للحادث والمطالبين بإنزال أشدّ العقوبات، بالسائق الأرعن.

بدأت الهواجس تقض مضجع نابليون. «ما الذي يفعله ديميريس؟ يرتكب الجريمة ويمحو كل آثارها، يزيل من الوجود كل من اشتم لها رائحة. أمس كان دور فريدريك ستافروس، متى سيأتي يومي أنا؟... إذن، الذي تعرض لي في مرآب السيارات لم يكن لصاً.. ومتى كان اللص يحمل مسدساً مزوداً بكاتم للصوت؟»،

بعد ظهر يوم الجمعة التالي، وعند الساعة الرابعة تحديداً، كان نابليون في مكتب بيتر ديمونيدس.

ـ أتمنى أن تصغي إلى سيد ديمونيدس. كُتب لنا أن نتنافس على الفوز... أنت تريد إثبات أن المتهم مجرم، وأنا أريد إثبات براءته... هذا لا يعني أبداً، أنك لست رجل قانون، أنك مدع عام مؤتمن على تنفيذ القانون وحماية المواطنين.

ـ أعرف هذا يا نابليون...

ـ إذن، أرجو أن تحتفظ بهذا التسجيل الصوتي، فلا تسمعه إلا إذا تعرضت لحادث ما أدى إلى وفاتي.

ـ أتشعر أن حياتك في خطر؟

ـ نعم.

ـ ممن؟

ـ حين تسمع الشريط تعرف كل شيء.

ـ أتريد تأمين حمايتك.. إني على إستعداد لذلك.

ـ لك الشكر، كل الشكر.

عند العاشرة من صباح اليوم التالي، كان ديميريس، يتسلّم شريطاً صوتياً من نابليون كوتاس.

«إني جد آسف يا صديقي كوستا، إنك إنسان لا يؤتمن له. فأنت من قتل فريدريك ستافروس، مخافة أن يفشي بأسرار محاكمة لاري دوغلاس ونويل بايج. وأعرف أنك تنتظر الفرصة السانحة للانقضاض عليّ، وجعل كل شيء يبدو وكأنه قضاء وقدر. لن تتمكن من ذلك. أتعرف لماذا؟ لأني أودعت المدعي العام شريطاً

بصوتي، أتهمك فيه بموتي، في حال تعرضي لأي حادث»

ارتاح نابليون، أو هكذا اعتقد، لن يتجرأ كوستا من إيذائه، فانصرف إلى ملاحقة أمور مكتبه، وكتابة المرافعات، ودراسة ملفات القضايا؛ هكذا مرت الأيام، غير خائف من أحد، يعمل بجد ونشاط، هو أيضاً يريد أن يبدأ حياة جديدة، وكثيراً ما كان يبقى في مكتبه حتى بعد منتصف الليل.

لم يعد خائفاً... هذا ما أراده قسطنطين ديميريس... أن يجعله يشعر بالراحة، وبأن لا خوف على حياته.

كان غارقاً في نومه، رأى نفسه أمام قوس المحكمة، يقارع الحجة بالحجة، واللامنطق بالمنطق، كان يستجوب، شاهدة إثبات. فإذ بها تبدأ بالتعري، تبدأ بخلع ثيابها قطعة بعد أخرى. تعجب نابليون «ماذا تفعلين؟».

ـ إنه الحر الزائد.

أجال نابليون نظره، على هيئة المحلفين والحاضرين في القاعة... كلهم عراة، حتى القضاة، وبيتر ديمونيدس.

حتى هو أحسّ بالحر، إنه لا يستطيع أن يتنفس... دخان نار مستعرة تلف قاعة المحكمة... الدخان يتكثّف، فلا أحد قادراً على الرؤيا.

استفاق نابليون مذعوراً من كابوس نومه، ليجد نفسه أمام كابوس واقعي... النار تلتهم غرفة نومه والدخان الكثيف يمنعه أن يرى حتى إصبعه. حتى السقف بدأ يتساقط بفعل قوة الحرارة. عبثاً حاول فتح باب الغرفة، ولكن أين هو الباب؟ النار تحاصره من الجهات الأربع..

إنه ديميريس يمهل ولا يهمل... إنه ديميريس الذي، لم يبزغ شمس صباح اليوم التالي، حتى كان يستقبل بيتر ديمونيدس.

ـ أين الشريط.

ـ هذا هو سيد ديميريس... صدق، لم أتمكن من سماعه..

ـ حقاً.

ـ نعم... في مطلق الأحوال لم يكن لدي وقت لسماعه. القضايا كثيرة ومعقدة. سيد ديميريس.

ـ منذ زمن وأنا متابع أخبارك ومعجب بكفاءاتك وتفانيك في حب العمل. ما رأيك لو تعمل في إحدى مؤسساتي؟

ـ أكون شاكراً.

ـ إذن نتناول الفطور معاً، ونناقش الموضوع.

الفصل التاسع

ما مر أسبوع، إلا وإتصل، قسطنطين ديميريس بكاترين ألكسندر؛ أو وصلتها منه هدية ثمينة، والتبرير هو واحد، هذه ليست هدية شخصية، بل هي تعبير عن «تقديري لما تقومين به من مهام وأعمال... إنك تبلين البلاء الحسن، أخبرتني إيفلين أنك اكتشفتِ مزاريب هدر كثيرة، فأوقفتِ هذا الهدر. وجعلت المؤسسة تحقق أرباحاً إضافية».

الحقيقة، لم تكن إيفلين كاذبة، بل كانت، تقول ـ أحياناً ـ نصف الحقيقة. لقد أثبتت كاترين جدارتها وكفاءتها، فعرفت كيف تتعامل مع الموظفين وجعلهم أكثر إندفاعاً للعمل، دون ممارسة أي ضغوط عليهم.

«أنا جد ممتن لك...» جملة طالما رددها ديميريس على مسمع كاترين، جملة طالما أثلجت صدرها وجعلتها تعتبره أروع إنسان تعرفه.

حان وقت تنفيذ الخطة. هذا ما قرره ديميريس. لم يعد هناك أحد مطلع على سر محاكمة لاري دو غلاس ونويل بايج إلا كاترين ألكسندر، إذن، وحتى تطمئن نفسه، لا بد من أن تلحق بستافروس وكوتاس. ولكن ليس قبل قضاء بعض الوقت معها في الڤيلا في رافينا. «مسكينة كاترين، إنها فعلاً إنسانة رقيقة وجذابة». ويتمنى ممارسة الحب معها في هذه الفيلا بالذات، كما مارسه لاري مع نويل.

يوماً بعد يوم، كان الماضي يتكشف لكاترين. في التايمز اللندنية، قرأت خبر وفاة فريدريك ستافروس ونابليون كوتاس اللذين كانا موكلين الدفاع عن لاري دوغلاس ونويل بايج، الأول بحادث سيارة، والثاني، إثر حريق شب في شقته. فلم تعر هذا الخبر أي اهتمام، مع أنه يشكل جزءاً من ماضيها، كذلك، علمت أن وليام فريزر يرافق الرئيس الأميركي هاري ترومان في زيارته للمملكة المتحدة، فتذكرت أيامها الحلوة معه، تذكرت تلك الليالي الحميمة، وتذكرت أيضاً كم استاء من رفضها ممارسة الحب معه، بسبب رغبتها ألا تخسر عذريتها إلا بعد الزفاف.

لا أحد ينكر، أن الوحدة قاتلة، فما من إنسان، إلا وهو بحاجة لإنسان آخر، يشاطره أفراحه ومعاناته، يبوح له بمكنونات صدره، لإنسان، يبادله الأحاسيس والمشاعر. هذا ما كان يزعج كاترين. إنها تعيش وحيدة، وسط أناس غرباء، لا هم يعرفون عنها شيئاً، ولا هي. ترى العشاق يتبادلون القبل، والأصدقاء يلهون ويمرحون، بينما هي، ما من أحد يمدّ لها يد عونٍ أو مساعدة. اللهم إلا قسطنطين ديميريس. هذا ما كانت تعتقده. لولاه ما من أحد يتصل بها أو يقدم لها هدية. رغم هذا، لم تسمح كاترين للسأم أن يدخل حياتها. لقد عرفت كيف تستفيد من أوقات فراغها، فزارت الأماكن الأثرية في لندن، وكذلك المعالم التاريخية. والمتاحف، والحدائق العامة، أمّت المسارح، دور السينما، وكل مكان يدخل البهجة إلى قلبها، ويبعد الملل عن حياتها «ولماذا أخاف الوحدة، فأنا لست المرأة الوحيدة في العالم، التي لا صديق لها ولا عشيق. كثيرات غيري في مثل وضعي... الماضي هو الماضي... ومن يدري ماذا تخبىء الأيام الآتية؟»،

صباح الاثنين، وصلت متأخرة إلى عملها، لتجد إنساناً في الأربعين من العمر، طويل القامة. ينتظرها في مكتبها.

ـ أنا كيرك رينولدز... إني أنتظرك.

ـ عفواً، ومن تكون؟

ـ أنا أحد الخبراء القانونيين لدى قسطنطين ديميريس. وأنا هنا للتعاون معك في أمور كثيرة.

ـ يسعدني ذلك سيد كيرك.

وتوالت اللقاءات، والمواعيد العملية، إن داخل الشركة أو خارجها، وتخطت العلاقة حدود الرسميات. أشعرها أنها امرأة... امرأة من لحم ودم.

ـ لست أدري.. علقت إيفلين... عليك أن تكوني حذرة يا كاترين، فلا تندفعي وراء المشاعر والعواطف.

لكن، على من تقرأ مزاميرك يا داود؟ اندفعت كاترين وراء المشاعر والأحاسيس. إنها أنثى... أو استعادت أنوثتها. إنه إحساس يفرحها.

لم يترك كيرك مكاناً في لندن إلا واصطحبها إليه، حتى إلى أحياء الفقراء، والمطلوبين للعدالة. حيث لا وجود للشرطة ولا لرجال القانون. كذلك لم يترك موضوعاً إلا وحدثها عنه. كان مثقفاً واسع الإطلاع «هكذا يجب أن يكون المحامي، ملماً بالمعرفة، شغوفاً بالمطالعة».

ـ فعلاً إنك كذلك يا كيرك... إنك تثير دهشتي، أميركي، يعرف أزقة

لندن وكأنه ابن لندن. أميركي يتحدث عن الأدب الفرنسي، عن تاريخ إسبانيا، عن الهند، عن روما القديمة.

ـ أهذا ما يدهشك؟

ـ نعم.

ـ كيف لو عرفتِ أني أحفظ مئات قصائد الحب والعشق لشعراء من جميع دول العالم؟

ـ سأعرفكَ إلى ويم فاندين، أحد موظفي الشركة، إنه مثلك واسع الإطلاع والمعرفة.

كان الثلاثة معاً، في أحد مطاعم لندن الراقية. ويم شارد الذهن، عيناه سارحتان في البعيد، وكأن لا أحد يشاطره الجلوس إلى الطاولة. إنه يفكر بالشركة وحساباتها. بينما كيرك ينظر إليه بازدراء، فمال إلى كاترين هامساً «أهذا من أحببت أن يكون رفيقاً لنا... إنه إنسان غير موجود يُضجر ولا يسلي».

ـ هذا ما تعتقده... إنه بحاجة لمن يخرجه من وحدته النفسية التي فرضها على حاله... لكنه عبقري... حاول أن تتحدث إليه...

استدار كيرك بوجهه نحو ويم.

ـ أتعجبك لندن يا ويم؟

ـ رائعة.

ـ هل تفضل مدينة على أخرى؟

ـ لا.

ـ وهل تحب عملك؟

ـ أكثر مما تتصور.

تبين لكاترين، إن كيرك مستعد لقذف ويم في نهر التايم... فرجته، أن يتابع التحدث إليه.

تنهد كيرك.

ـ يوم الأحد سألعب الغولف، فهل تأتي معي يا ويم؟

لم يجب ويم، لا سلباً ولا إيجاباً، بل استرسل في الحديث عن تاريخ لعبة الغولف، وعن الملاعب والمضارب، وكيفية تصنيعها وأيها الأفضل، كذلك عن أبطال لعبة الغولف وسيرهم الذاتية.

ـ إذن أنت لاعب ماهر يا ويم.

ـ أنا؟

ـ نعم أنت.

ـ صدقني، لم أدخل ملعب غولف يوماً بحياتي ولا أمسكت بمضرب.

تعجب كيرك...

ـ إنه قادر على إجراء أية عملية حسابية دون آلة حاسبة. قالت كاترين.

ـ حقاً يا ويم؟ تساءل كيرك.

لم تنتظر كاترين جواب ويم «تخيل أنه يحفظ أسماء جميع الموظفين العاملين في الشركة، مع أرقام هواتفهم وبطاقات تأمينهم

وتواريخ ولاداتهم ورواتبهم ومتى تستحق علاوة كل موظف منهم.

ـ فعلاً؟...

ـ نعم إنه لكذلك.

ـ إذن هل بإمكانك إعطائي نتيجة ضرب 57 ثلاث مرات ببعضها؟

ـ ما هي إلا ثوان حتى جاء الجواب 185793 مئة وخمسة وثمانون ألفاً ومئة وثلاثة وتسعون.

ـ فعلاً؟

ـ ألديك آلة حاسبة للجيب؟

ـ نعم أنا معي. قالت كاترين.

ـ إذن تأكدي من صحة الجواب.

حسناً سيد ويم، ولكن ما هي نتيجة قسمة 24110 على 33؟

ـ سبعماية وثلاثون، والباقي عشرون. جاء الجواب، بعد خمس وعشرين ثانية فقط.

ـ أتعرف سيد ويم، أنا بحاجة لموظف مثلك. فما رأيك لو تتعاون؟

ـ أعتذر سيد كيرك... أنا مسرور بعملي هنا.

ابتسمت كاترين وهي تنظر إلى كيرك؛ وهو يحدق بويم مندهشاً. منذ نصف ساعة ونيف كان ينظر إليه بازدراء، أما الآن فهو معجب به، ولكن، كما قالت كاترين إنه بحاجة لمن يخرجه من وحدته النفسية. إنه بحاجة لامرأة.

فجأة وقف ويم معتذراً لاضطراره للذهاب.

ـ هل أنت على موعد مع صبية يا ويم؟ تساءل كيرك.

ـ صبية؟... أبداً... تذكرت شيئاً... أعتقد أن هناك خطأ في حسابات منجم الذهب بجنوب إفريقيا لا يتعدى العشرين دولاراً أميركياً.

ـ ماذا؟ صاح كيرك.

غادر ويم، وعينا كيرك تلاحقه.

ـ كيف رأيت؟ تساءلت كاترين.

ـ دعينا منه الآن... إني أدعوكِ إلى سان موريتز، فما رأيك؟

ـ للتزلج؟

ـ نعم... فهناك توجد أفضل حلبات التزلج.

ـ لست أدري...

ـ ولكن... عديني أن تفكري بالأمر.

ـ أعدك...

أحست بارتعاش في جسدها، تذكرت أيامها مع لاري، فهل يمكن أن تعيشها ثانية مع كيرك...

حسناً أعدك بذلك.. سأدرس الأمر.

لم يكد ينتصف الليل، حتى رن جرس الهاتف قرب سرير كاترين «إنه كوستا» قالت بفرح عظيم... أخبرته عن كل شيء إلا عن كيرك

رينولدز، ولماذا عليها أن تفعل ذلك، فهناك إيفلين تخبره كل شي.

أطفأت المصباح جانب سريرها، وغرقت في بحر من التفكير، «من أين جاء كيرك، أعاد إليّ الإحساس بأني أنثى، أنثى ناضجة».

في أثينا، كان كوستا يقول «حان موعد قطاف العنب».

الفصل العاشر

منذ أن قرأ خبر وفاة فريدريك ستافروس، والأب قسطنطينو، يحاول أن يجد تفسيراً لذلك. «جاءني ليعترف بما ارتكب من إثم وليطلب الغفران من الله وكان له ما أراد... فكيف حصل ما حصل له بعد خروجه من الكنيسة مباشرة؟... كثيرون غيره اعترفوا بذنوبهم ولم يتعرض أحد لهم».

فعلاً إنه أمر محيّر. كان الأب قسطنطينو مشوش الذهن، غير قادر على القيام بأي شيء.

ـ ما بك... ما الذي يزعجك؟

مال الأب قسطنطينو بنظره إلى الفتى العاري الممدد إلى جانبه على السرير.

ـ لا شيء... حبي... لا شيء.

ـ إذن... ما بك... لماذا أنت شارد الذهن وكأنك لست إلى جانبي... بحق المسيح ما بك؟

ـ أرجوك لا تذكر المسيح الآن.

ـ حسناً ولكني أتساءل لماذا لم تضاجعني حتى الآن... لطالما

كنت تشتاق إلى مضاجعتي، أم أنك وجدت فتى غيري؟

ـ لا... لم أجد أحداً، ولن أبحث عن غيرك... إنك تثيرني جداً...

ـ إذن لماذا أنت هكذا؟ صدقني أنا بحاجة لمن يضاجعني، وقد أتيت إليك، لأنك الوحيد القادر على إشباع جسدي.

ـ المعذرة يا صديقتي... إنها مسألة تتعلق بإنسان جاء واعترف إليَّ، وما إن غادر الكنيسة، حتى صدمته سيارة وتوفي...

ـ كلنا معرضون لذلك...

ـ أعرف، ولكنه كان يمتلك سراً خطيراً... سر يثقل كاهله.

ـ وما هو هذا السر؟

ـ أنت تعرف تمام المعرفة، ليس بمقدوري البوح بما يعترف به الآخرون أمامي...

ـ أعتقد أن لا أسرار بيننا.

ـ فعلاً... لا أسرار بيننا يا جورج.

ـ إذن.. صاحب السر قد مات... فإن بُحت لي به أو لم تبح، فالأمر سيان.

ـ لا... لا...

مدّ جورج لاتسو وراح يداعب جسد الأب قسطنطينو «أنا بحاجة إليك، فهلاّ تضاجعني؟».

ـ توقف يا جورج... لست بقادر.

ـ أخبرني إذن...

ـ حسناً... سأفعل شرط ألا تخبر أحداً.

ـ أعدك ألا أفعل.

منذ صغره، وجورج لاتسو يبيع جسده للرجال الذين يرغبون مضاجعة الغلمان، كان يفعل ذلك، تأميناً للقمة العيش وثمن الدواء لوالدته. حين بلغ السابعة عشر، تعرف إلى نيكوس فيريتوس المساعد الخاص لرجل الأعمال المعروف سيبروس لامبرو فغيّر له مجرى حياته.

ـ إسمع يا جورج... ما رأيك لو تكون لي وحدي.

ـ لا مانع عندي... أتمنى ذلك.

لم يكن نيكوس بخيلاً مع جورج، ففضلا للمصروف اليومي، استأجر له شقة صغيرة، وكان يغدق عليه الهدايا، وفوق هذا كله، أمّن له وظيفة متواضعة في الشركة حيث يعمل، ليبقيه تحت أنظاره.

لم يكد جورج لاتسو يغادر سرير الأب قسطنطينو، حتى أخذ يفكر، كيف يستفيد من هذا السر؟ لماذا لا يطلع عشيقه نيكوس فيريتوس عليه؟... لا... لماذا لا أبلغ السيد سيبروس لامبرو مباشرة، فهو المعني الأول بهذا الأمر، ولا شك في أنه سيكون كريماً معي؟

صباح اليوم التالي، كان جورج لاتسو يقف أمام السكرتيرة الخاصة للسيد لامبرو، يستأذنها مقابلة رئيسها.

ـ فعلاً... وماذا تريد منه يا جورج؟ أم أن لديك أفكاراً تريد إطلاعه عليها؟

ـ لا... يا آنستي... جلّ ما في الأمر، أني جئت لشكره على معاملته لي، لأني مجبر على ترك العمل بسبب وفاة والدتي، لذا فلن يطول لقائي له أكثر من دقائق معدودات... أما إذا كان مشغولاً...

لم يكمل جورج، بل استدار متظاهراً بالعودة من حيث أتى.

ـ إنتظر يا جورج... متأكدة من أنه لن يرفض استقبالك.

وبالفعل، وبعد عشر دقائق ليس أكثر، كان جورج لاتسو، يقف وجهاً لوجه مع سيبروس لامبرو.

ـ أنا جد آسف أيها الفتى لموت والدتك، أعتقد أنك بحاجة للمال.

ـ شكراً سيدي. ليس لهذا السبب أنا هنا...

ـ نعم...؟ لماذا إذن؟

ـ أمتلك سراً قد يكون مهماً لك.

ـ حقاً...؟ ولكني مشغول الآن... و...

ـ إنه يتعلق بقسطنطين ديميريس...

لم ينتظر جورج جواب سيبروس لامبرو، بل أكمل حديثه وروى على مسمعه ما سمعه من الكاهن.

فوجيء سيبروس بما سمع.

ـ أمتأكد أنت مما تقول؟

ـ نعم... لقد اعترف للكاهن قسطنطينو بذلك، وقبل وفاته بنصف ساعة تقريباً.

منذ سنوات وميلينا ليست على ما يُرام مع زوجها قسطنطين ديميريس، إنها تعيش في الجحيم، وهو ما يزال على حاله، إنساناً ماجناً، لا هم عنده إلا ملاحقة النساء، دون اهتمام لمكانته الإجتماعية، وغير مكترث لمشاعر وأحاسيس زوجته. حتى أنه صار يلجأ إلى العنف الجسدي، فلا يتوانى عن صفعها وشتمها ونعتها بأبشع النعوت، الأمر الذي اضطرها إلى مغادرة المنزل والذهاب إلى جزيرة آتيكوس التي يملكها شقيقها سيبروس. أمضت هناك أسبوعاً كاملاً، لكنها عادت، إلى منزلها الزوجي، معتقدة أنها المخطئة، فهي تستفزه دائماً وتثير غضبه، فيضربها.

كان قسطنطين في مكتبه حين عادت ميلينا إلى المنزل.

ـ عدت إذن؟

ـ نعم... عدت إلى بيتي يا قسطنطين، فأنت زوجي وأنا أحبك... ولكن، إياك ومحاولة صفعي بعد الآن... لأني لن أتوانى عن قتلك... أفهمت؟

أدرك قسطنطين أنها تعني ما تقول: فصار يتجنب إغاظتها والدخول في النقاش الحاد معها. كان هذا لفترة من الزمن لم تدم طويلاً... فذات مساء أحد، كان يهم بالخروج من المنزل خلسة، لكن ميلينا فاجأته بسؤالها.

ـ إلى أين أنت ذاهب؟

ـ لدي موعد.

ـ أنسيت أننا مدعوّون لتناول العشاء عند شقيقي؟

ـ لا... لم أنسَ... ولكن هناك ما هو أهم.

فقدت ميلينا صوابها... فإن كانت تتحمل إهاناته، فأخوها ليس مضطراً على التشبه بها، ولن تسمح له باهانته أو احتقاره.

ـ ما هو هذا الأهم؟ موعد مع عاهرة؟

ـ إحفظي لسانكِ وإلا....

ـ وإلا ماذا يا زوجي العزيز... إسمع لن أسمح لك بالخروج هذه الليلة.

ـ حقاً...؟ ولماذا....؟

ـ أما يعني لك هذا التاريخ شيئاً؟ إنه ذكرى إسقاطي للطفل الذي كان في أحشائي...

ـ عاهرة... أهذه ذكرى يحتفل بها؟

ـ نعم لأني لم أنجب أطفالاً منك.

فقد قسطنطين صوابه، فانهال عليها ضرباً ولطماً، حاولت الخروج من الغرفة، فمضى خلفها «سأجعلك ترقدين إلى جانب طفلك»، تعثرت في نزولها الأدراج، زلت قدمها وراحت تتدحرج على الأدراج حتى استقرت عند الأسفل وهي تصرخ متضرعة، أن ينقلها إلى المستشفى.

ـ سأطلب من الخادمة فعل ذلك... فلست على استعداد للتأخر عن موعدي.

قبيل موعد العشاء، رن جرس الهاتف في منزل سبيروس لامبرو.

ـ سيد لامبرو.. أنا الدكتور ميتاكيس... وشقيقتك عندي في المستشفى.

أقسم سبيروس أن يدمر صهره، ولكن كيف... إنه يربأ على نفسه أن يلجأ إلى الأساليب التي يلجأ إليها كوستا. إنه بحاجة للنصيحة. لا بد من زيارة السيدة بيريس، ولكن ماذا سيقول الناس عنه... «يستشير بصارة؟ ولم لا... فهي توقعت أن تجهض ميلينا طفلها».

إلى طاولة في زاوية معتمة من زوايا أحد المقاهي، كان سبيروس يجلس قبالة السيدة بيريس، حائراً من أين يبدأ كلامه.

ـ لا شك سمعت بمحاكمة قتلة امرأة تدعى كاترين دوغلاس؟

ـ لا.. لم تمت.

ـ ماذا... لقد قتلت منذ عامين تقريباً.

ـ إن الأرواح تقول عكس ذلك... تقول ستقتل.

ـ لكنها قتلت... وقتلها...

قاطعته السيدة بيريس... إنها ما تزال حية.

كاد سبيروس يفقد صوابه «إنها ميتة».

ـ لا... لقد زارتني هنا... منذ ثلاثة أشهر ليس أكثر، أما فيما قبل فقد كانت في أحد الأديرة.

بانت الدهشة واضحة على وجه سبيروس «هكذا إذن... أخفاها في دير، وتسبب في إعدام اثنين لذنب لم يرتكباه... كلام جورج لاتسو

مطابق لما تقولة السيدة بيريس... الضحية ما تزال حية ترزق... لا بد من القضاء عليه».

ولكن كيف؟... طوني ريزوللي.

الفصل الحادي عشر

لم تكن الرياح تجري بما تشتهي سفن طوني ريزوللي. فبعد تمكنه من إدخال شحنة الهيروين إلى أثينا، وجد نفسه عاجزاً عن إيصالها، في الوقت المحدد، إلى نيويورك، حيث القلق أخذ يساور شركاءه الذين اعتبروه مسؤولاً عن التأخير، ولم يتقبلوا أعذاره. تجار المخدرات لا يقدرون الظروف ولا يعترفون بالأعذار.

كان من المفترض، أن يقوم أحد العاملين في طائرة مغادرة أثينا إلى نيويورك بنقل الحقيبة، لكنه، وقبل أربع وعشرين من موعد إقلاع الطائرة، ضبط يقود سيارته مخموراً، فأودع السجن، وفيما كان يخضع للاستجواب، كانت الطائرة تحلق فوق أوروبا متجهة نحو نيويورك.

هكذا، وجد طوني ريزوللي، نفسه، يبحث عن إنسان آخر. «لعنه الله على سبيروس لامبرو... لولا عناده، لكنت الآن مرتاح البال، ولكانت البضاعة قد وصلت».

في أحد المقاهي الرصيفية تعرف إلى امرأة أميركية عجوز ستعود إلى نيويورك بعد يومين. وبعد جهد جهيد. وإغراءات مالية، أقنعها أن تنقل له الحقيبة، على أساس أنها تحتوي بعض الهدايا لوالدته المريضة بمناسبة عيد ميلادها الخامس والستين «صدقيني سيدتي... لو لم تتكرمي بإسداء

هذه الخدمة لكنت مضطراً على ترك أشغالي هنا والسفر شخصيا».

انحنى طوني، وطبع قبلة على يد المرأة العجوز «غداً، في الموعد المحدد ستكون سيارتي الخاصة، بانتظارك أمام الفندق، لنقلك إلى المطار».

ـ لا ضرورة لذلك أبداً...

ـ أما يكفي ما وفرت عليّ من تعب وعناء؟ وهناك سيكون أخي في انتظارك بالمطار... وسيكون هو أيضاً بخدمتك.

عاد طوني إلى غرفته في الفندق، ألقى جسده على السرير، والابتسامة على شفتيه، يومان ليس أكثر، ويكون كل شيء على ما يرام.

ـ أحقاً ما تقول؟ تساءل شريكه على الطرف الآخر من الهاتف.

ـ نعم... كن على ثقة من ذلك... لا تنسَ أن تقبل يدي أمي نيابة عني... ـ قال هذا لاعتقاده أن هناك احتمالاً أن هناك من يراقب مخابراته ـ وتمنّ لها عيد ميلاد سعيد.

عند الساعة السابعة صباحاً، رن جرس الهاتف.

ـ السيد ريزوللي؟

ـ نعم... إنه صوت غير مألوف. فمن يكون هذا.

ـ أنا الطبيب المناوب في قسم الطوارىء بمستشفى أثينا المركزي.

ـ نعم وماذا تريد؟

ـ أنا لا أريد شيئاً سوى إبلاغك أن السيدة سارا مدريسون التي كانت ستغادر اليوم إلى نيويورك، قد زلت بها القدم فانكسرت رجلها،

وطلبت مني الإتصال بك للإعتذار، فهي مضطرة لتأجيل سفرها.

أعاد طوني السماعة إلى مكانها «اللعنة... ألف لعنة... ما العمل؟».

ما العمل؟ تساءل طوني... إنه خائف، من ردة فعل شركائه وخائف أن تتمكن الشرطة اليونانية من ضبط الكمية المخزنة في أحد المستودعات. فوفقاً لما رواه أحد اللصوص المحترفين عناصر شرطة مكافحة المخدرات اليونانية، يعاونهم عدد من الخبراء الأميركيين ناشطون جداً، هذه الأيام. إنهم يداهمون جميع الأماكن المشبوهة وفي الوقت ذاته يراقبون كل المشتبه بهم، والمشكوك في تصرفاتهم.

ما العمل؟... سؤال يقلق ولا جواب له... عليه أن يكون حذراً جداً، وبالوقت ذاته، عليه إقناع شركائه بالأسباب التي تحول دون تنفيذ التزاماته في المواعيد المحددة.. «ليتهم مكاني هنا... فكيف سيتصرفون؟».

باكراً، غادر طوني ريزوللي غرفته واتجه نحو مركز الهاتف في وسط أثينا، حيث هاتف شركاءه في نيويورك، منتحلاً إسم طوم براون، موضحاً لهم ما يواجه من صعوبات.

ـ حسناً سيد توم قريباً جداً سنكون إلى جانبك. وأقفل الخط.

في قلب أثينا، وفي مقر قيادة الشرطة اليونانية. كان عدد من كبار ضباط الشرطة مجتمعاً إلى الكولونيل والت كيلي أحد كبار ضباط مكتب مكافحة المخدرات الأميركي.

ـ إننا نملك معلومات أكيدة، على أن طوني ريزوللي؛ يعمل لتهريب كمية من الهيروين إلى أميركيا... قال الكولونيل كيلي.

لم يكن الضباط اليونانيون يثقون جداً بمصادر معلومات الأميركيين. كانوا يعتبرونهم مجرد أناس متعجرفين، يعتقدون أنهم يمتلكون معلومات دقيقة سرعان ما يتبين أنها مجرد تكهنات.

ـ حسناً حضرة الكولونيل... إنه تحت المراقبة الدائمة... منذ قليل أجرى مكالمة هاتفية مع نيويورك، ونحن الآن نتأكد من ذلك

ـ ومع من تكلم؟ قال المفوض اليوناني تينو.

ما إن أنهى حديثه، حتى دخل أحد معاونيه وأبلغه أن الرقم الذي طلبه طوني ريزوللي، لم يكن خاصاً، بل أحد الأرقام المتواجدة في شوارع باليرمو.

ـ إنه إنسان بارع... قال ضابط آخر.

ـ على كل سنبقيه قيد المراقبة. قال تينو. وتابع دعونا نبقى على تواصل كولونيل كيلي.

قسطنطين دميريس، يتجول في الفيلا التي أهداها لكاترين، كل شيء على حاله، حتى رائحة عرق جسد نويل بايج ما تزال تعبق في غرفة النوم التي كانت تمارس الحب فيها مع لاري دوغلاس.

لاري... لماذا فعلت هذا؟ لما اتخذت نويل عشيقة لك؟ ألم تعرف أنها ملكي أنا؟ لم يسبق لأحد أن تجرأ على سلبي ما هو لي، فمن أنت يا لاري دوغلاس حتى تفعل ذلك، ومن أنتِ يا نويل بايج، حتى تخونين كوستا؟ لم تكوني أكثر من ممثلة ثانوية تافهة، أنا صنعتك، أنا أعطيتكِ ما لا يعطى.

أعرفتما ما هو قدر كل من يحاول المساس بي...؟

كان كوستا يحدق بالسرير ذي الأغطية الزهرية اللون التي انتقتها نويل. كان ذلك منذ سنوات. الآن جاء دور كاترين. إنما ليس قبل ممارسة الحب معها، وعلى هذا السرير بالذات.

تخلى كوستا عن التفكير في الانتقام، ليستغرق في تخيل كاترين، واقفة قرب هذا السرير وهي تتعرى أمامه. تخيل نهديها تدعوانه لملامستهما، تخيل جسدها، يلح عليه أن يطفيء لهيب ناره، «لن أنتقم منكِ يا أيتها اللعينة، قبل ممارسة الحب معك، هنا، في هذه الفيلا، وعلى هذا السرير بالذات، على هذا السرير الشاهد على خيانة نويل ولاري».

من غرفة النوم، توجه إلى غرفة الجلوس. في الزاوية مقعد وثير، عليه كانت تجلس نويل عارية الساقين، كما أخبرته الخادمة، من هنا كانت تبدأ بإغرائه... «كنت أنا أشتري الثياب الداخلية، ويسبقني هو برؤيتها على جسد نويل... إنها عاهرة...»).

أمسك سماعة الهاتف، وضعها إلى جانب أذنه وأدار القرص.

ـ مساء الخير يا أحلى صبية؟

ـ من كوستا... صدقني كنت أفكر بك...

ـ وأنا كذلك. إني دائم التفكير فيك يا كاترين...

يبدو أنك كنتِ نائمة، أليس كذلك؟

ـ لا عليك كوستا... حتى ولو كنت نائمة.

ـ لا أرغب أن أكون مزعجاً.

ـ على العكس... وشكراً على الهدية ولكن...

ـ ولكن... ماذا؟

ـ الثياب الداخلية هي من خصوصياتي...

ـ أعتذر إن كنت سمحت لنفسي أن...

قاطعته كاترين... أتمنى ألا تتكرر...

ـ وإن تكررت؟ تساءل بأسلوب المازح وتابع «هل يعني أنك سترفضينها؟».

احتارت كاترين بماذا تجيب.

ـ على كل تصبحين على خير.

لم ينتظر ردها، بل أعاد السماعة إلى مكانها، وعاد يتخيلها تتعرى أمامه، أما هي، رغم استغرابها من نوعية الهدية، لكنها اعتبرتها نوعاً من اهتمامه الزائد بها... مسكينة كاترين لم تكن تدري بما يخطط له كوستا.

فيما كان كوستا، ما يزال غارقاً في تخيلاته، كان طوني ريزوللي، يستقبل في غرفته بالفندق حيث يقيم، موفدين من قبل بيتر لوقا، زعيم العصابة.

لم يكن طوني بحاجة إلى من يخبره عن سبب زيارتهما المفاجئة هذه... إنهما يريدان إما الحقيبة الملأى بالمخدرات، أو ثمن البضاعة فوراً.

ـ إسمع يا طوني... بدأ الزعيم يرتاب بتصرفاتك... أتفهم معنى هذا؟

ـ نعم أفهم... ولكنني أواجه بعض المتاعب... الشرطة في كل مكان... تراقبني ليل نهار.

ـ نحن هنا لمساعدتك... أين الحقيبة؟

ـ إنها في مكان آمن... ولكن لا يمكننا الوصول إليها... أعني الآن.

ـ ولماذا؟

ـ المخبرون في كل مكان... حتى مكتب مكافحة المخدرات الأميركي، أرسل بعضاً من مخبريه إلى هنا.

ـ لديك مهلة أسبوع واحد ليس أكثر... فإما أن تكون الشحنة، قد وصلت إلى نيويورك، وإما تعيد المبالغ، وإلاّ... أتفهم معنى وإلاّ؟

وبهدوء كلي خرج الموفدان، تاركين طوني ريزوللي في حيرة من أمره، غارقاً في تساؤلاته.

لا بد من إيجاد وسيلة ما... لا بد من إيجاد من يوصل الحقيبة إلى نيويورك... ماذا عن المقامرين في الكازينو؟ هناك... قد أجد ضالتي.

لم يكن طوني بحاجة لمن يرشده، أين يجلس في الكازينو. مباشرة، قصد طاولة الروليت، راقب اللاعبين قليلاً «إنه السمكة التي ستأكل الطعم وتعلق بالصنارة».

جلس إلى جانب الرجل أو السمكة المحتملة. رصيده نفذ كليا، ورفض مدير الطاولة أن يقرضه المزيد من المال... وضع الرجل رأسه بين يديه وراح يتألم بصمت.

مد ريزوللي يده ووضعها على كتفه...

ـ تعال معي إلى المقصف...

ـ ولماذا أذهب معك، فأنا لم أعد أملك حتى ثمن كأس نبيذ معتق.

أمسك طوني يد الرجل، أنهضه من مكانه ومضى به نحو المقصف معرفاً عن نفسه: طوني ريزوللي... وأجاب الرجل فيكتور كورونتزيز.

ـ زجاجة ويسكي...

ـ ماذا؟... قال الرجل... زجاجة ويسكي..

ـ نعم، سنشرب معاً، أتفهمني؟

ـ أسائح أنت؟

ـ نعم... قال طوني... إني أمضي عطلتي هنا... في هذه البلاد الجميلة.

ـ أعتقد أنها جميلة.

ـ لماذا تعتقد؟... إنها بلادك.. قال طوني.

ـ فعلاً إنها جميلة، ولكن الحياة لا تطاق... الأسعار في ارتفاع دائم.... لم يعد الفقراء قادرون على إطعام عائلاتهم.

ـ وماذا تعمل سيد فيكتور؟

ـ مراقب في متحف أثنيا الوطني.

ـ وما هي مهمة هذه الوظيفة؟

استرسل فيكتور كورونتزيز في الحديث عن مهامه في المتحف، وعن القطع الأثرية الأصلية التي تساوي ملايين الدولارات، وعن تلك المزيفة التي يصعب، إلا على بعض الخبراء اكتشافها.

صباح اليوم التالي، أسرع طوني ريزوللي لزيارة صديقه الجديد في

مكتبه في متحف أثينا الوطني؛ وبرفقته قام بجولة على جميع أقسام المتحف.

أمام كل قطعة كان يقف فيكتور، ليشرح لصديقه الأميركي كما يعتقد تاريخها، وما ترمز إليه، وكم تساوي من ملايين الدولارات. كان هو يتكلم، وطوني يصغي بانتباه كلي، «حتى متى سأستمر في تهريب المخدرات؟ تهريب الآثار أكثر فائدة وأقل خطرا».

بعد الإنتهاء من الجولة التي استمرت نحواً من ساعتين، دعا طوني صاحبه لتمضية السهرة معه في أحد المرابع الليلية، حيث الفتيات من كل الجنسيات يجلسن شبه عاريات، وهن على استعداد لإشباع شهوات الزبائن.

ـ لا يا صديقي... هذا عمل يتطلب مالاً كثيراً، وكما تعلم أنا شبه مفلس.

ضحك ريزوللي وهو يربت على كتف صديقه اليوناني، «ومن قال إنك ستدفع؟ أولسنا أصدقاء؟»،

ـ لكنك تغدق علي... وأنا لست بقادر على رد ولو جزء قليل مما تقدمه لي.

ـ على العكس يا فيكتور، إنك تقدم الكثير، أقل ما تفعله هو أنك ترافقني وتمنع الوحدة عني، ومن ثم ألم تشرح لي أهمية تلك القطع الأثرية من يدري...؟ لولاك لكنت وقعت ضحية أحد المحتالين الذين حاولوا بيعي قطعة أثرية مزيفة على أساس أنها أصلية، لولا شروحاتك لكنت دفعت الملايين مقابل قطعة لا تساوي المئات.

ـ أحقاً ما تقول؟

ـ نعم... أي جنس من الفتيات تفضل؟ الإيطاليات، الفرنسيات، أم العربيات؟ أنا أفضل العربيات.

ـ ولماذا؟

ـ إنهن أكثر شبقاً، يعطين بلا حدود. أما تعرف أن السمراوات هن أكثر شهوة من الشقراوات؟...

ـ حسناً... نلتقي عند العاشرة...

ـ ليكن ذلك، أمام مدخل المتحف.

عند العاشرة صباح اليوم التالي، كان فيكتور، يجلس وراء مكتبه في متحف أثينا الوطني، وهو يتذكر تلك الفتاة الآتية من صحراء العرب، يتذكر لون جسدها الذي لفحته أشعة شمس الشرق، كان غارقاً في التذكر... وماذا عليه أن يتذكر، كل ما فيها يثير الشهوة، ولولا وقوف طوني أمامه، لكان راح يحلم بها.

ـ أهلاً يا صديقي العزيز... قال فيكتور وهو يقف مرحباً.

ـ كيف كانت ليلتك؟

ـ لا تسلني... أحسست وأني لم أبلغ الثلاثين من العمر. ما أزال أحس بشفتيها على صدري...

ضحك طوني... «كنت أبحث عن وسيلة لنقل الحقيبة، فإذ بي أكتشف منجم ذهب» قال لنفسه.

ـ والليلة أترافقني؟

ـ إلى أين؟ تساءل فيكتور.

ـ الليلة سنلعب القمار في أحد الفنادق الفخمة.

ـ القمار..؟... لا... لا.

ـ أعرف لماذا... ينقصك المال... أنا مستعد...

ـ وإن خسرت ماذا أفعل؟

ـ لن تخسر أبداً... صديقي هو من يدير اللعبة، وهناك مجموعة من السواح الأميركيين الأثرياء.

ـ أتعني أنه سيلجأ للغش باللعب؟

ـ نعم.

ـ لا... أبداً...

ـ أما تريد أن تعود لعائلتك وأنت تملك ألفين أو ثلاثة آلاف دولار؟

ـ ماذا؟... ألفان أو ثلاثة؟ وهل تعتقد أنهم، أي زوجتي وأولادي، سيصدقون، والله قد يصابون بالجنون.

ـ بالمختصر المفيد... أتريد أم لا؟

ـ وهل في الكون من يرفض عرضاً كهذا؟

ـ إذن... أخبر زوجتك أنك ستتأخر الليلة في العودة إلى البيت.

ـ وكيف نلتقي؟

ـ عند العاشرة أمام فندق متروبول.

أدار طوني ريزوللي ظهره لصديقه وخرج والفرحة تكاد تسبب له الإغماء.. فيما فيكتور، نسي الفتاة السمراء والليلة الحمراء، وراح يفكر بآلاف الدولارات.

الفصل الثاني عشر

في الغرفة الثانية والأربعين من فندق متروبول، كان هناك أربعة أشخاص، ينتظرون طوني ريزوللي وصديقه فيكتور الحالم يقطف آلاف الدولارات، كما ولو أنه يقطف الثمار عن الشجر.

ـ أقدم لكم صديقي فيكتور كوروتنتزيز. قال طوني. ثم التفت إلى فيكتور. أقدم طوني. ثم التفت إلى فيكتور. أقدم لك صديقي أوتو دالتون.

ووفقاً للمخطط المرسوم تولى أوتو دالتون تقديم الثلاثة الآخرين، حتى لطوني ريزوللي.

ـ السيد بريسلور من كبار تجار ديترويت، السيد سيمور من هيوستن والسيد بريزي من نيويورك.

ـ تشرّفنا يا سادة. قال طوني.

ـ ما رأيكم لو نبدأ اللعب باكراً؟ قال أوتو دالتون بصفته المضيف ومدير اللعبة.

ـ ولم لا... قال بريزي، ولكن ما هي شروط اللعبة. أعني الحد الأدنى لرأسمال اللاعب؟

اقترح سيمور أن يكون الحد الأدنى ألف دولار. فارتعب فيكتور، ليس معه سوى خمسماية، هذا كل ما تكرم عليه به طوني ريزوللي الذي تدخل «باعتبار أن لقاؤنا الأول، ليكن الحد الأدنى خمسماية دولار».

وهكذا بدأ اللعب. وبدأ فيكتور يربح ويربح، حتى فاق ربحه الستة آلاف دولار. لم يكن مصدقاً ذلك... كان يأمل بألفين، ها هو يربح ستة آلاف. لكن الحظ أخذ يعاكسه أو لنقل، إن أوتو دالتون، جعل الحظ يعاكسه.

بعيد منتصف الليل، لم يكن فيكتور يملك سوى ألفين وخمسماية دولار، فطلب طوني ريزوللي، عدم تمديد وقت اللعب، لارتباطه بموعد جد ضروري.

ـ أموعد حب هو؟ تساءل السيد بريسلور.

ـ يمكنك قول ذلك... إنها تنتظرني في منزلها الخاص.

ارتاح فيكتور لطلب صديقه. ألفان وخمسماية دولار، إنه مبلغ يدخل الفرحة إلى قلوب جميع أفراد العائلة.

ـ حسناً، قال أوتو دالتون. ما رأيكم لو نلتقي غداً؟ هل من مانع سيد ريزوللي، وكذلك أنت سيد فيكتور؟

أسرع طوني ريزوللي، حسناً، غداً عند العاشرة. والتفت نحو صديقه «أيناسبك الموعد؟».

ـ لا مانع عندي...

قبل دخوله منزله، أبى فيكتور إلا أن يعيد لطوني ريزوللي ما أقرضه من مال ويشكره كل الشكر.

ـ وما رأيك بغد؟

ـ لا عليك يا فيكتور، ما يزال اتفاقنا ساري المفعول. وغداً أيضاً، ستعود إلى بيتك وفي جيبك أضعاف ما هو فيها الآن...

ـ شكراً يا صديقي.

ـ إلى اللقاء غداً... في الفندق، أم تريد أن نذهب سوية؟

ـ كما تريد أنت.

ـ حسناً نذهب معاً.

كما في الليلة السابقة، قطف فيكتور ثلاثة آلاف دولار «فعلاً إنه صديق رائع... إنه هبة من الله. ولكن ماذا سأقول لزوجتي؟ وعدتها بعدم المقامرة... فمن أين لي هذا المبلغ الكبير، خمسة آلاف دولار... سأشتري لها ثياباً جديدة. وكذلك للأولاد... ولكن من أين لي هذا المال؟ لا شك ستتساءل؟».

أدرك طوني حيرة صاحبه.

ـ ما بك تخاطب نفسك..؟ أتحن للملهى الليلي، وقضاء بعض الوقت مع فتاة جميلة؟

ـ لا يا صاحبي.. أفكر بماذا سأقول لزوجتي إن سألتني عن مصدر هذا المبلغ.

ـ قل الحقيقة.

ـ لا... وعدتها بألا ألعب القمار... كان ذلك منذ سنتين. وصدقني أنا حريص على شعورها.

ـ حسناً قل لها إنه مكافأة من إدارة المتحف.

ـ ولماذا؟

ـ لتفانيك في العمل. أو قل بسبب حؤولك دون سرقة أحدى القطع التي تساوي الملايين.

ـ فكرة رائعة. ولكن ماذا عن الليالي الآتية؟

ـ لا عليك...

عند العاشرة من مساء اليوم التالي اجتمع شمل اللاعبين، وعند الواحدة بعد منتصف الليل. خرج فيكتور وفي جيبه ألفا دولار.

ـ فعلاً إنك صديق يا طوني... لست أدري كيف أرد لك ما عليّ من أفضال.

ـ المهم، ألا تبّذر هذا المال. وانتبه، قد يلاحظ الآخرون ما يفعله أوتو دالتون.

ـ هذا ما أنا خائف منه.

امتدت استراحة اللاعبين لثلاثة أيام؛ كان فيكتور خلالها، يتساءل عما سيجنيه بعد «فعلاً إنه صديق وفيّ... أخرجني من ورطتي في الكازينو. وها هو يساعدني في الربح، فوق هذا كله، عرّفني إلى تلك الفتاة العربية، التي أعادتني إلى سن الشباب والفتوة».

مسكين لم يكن يدري، ما يخطط له طوني ريزوللي.. لهذا ما إن رفع سماعة الهاتف وسمع صوته، حتى قفز قلبه من مكانه.

ـ أهلاً طوني... اشتقت إليك يا صديقي.

ـ وأنا كذلك... لكنني كنت منشغلاً جداً، فامتنعت عن زيارتك أو محادثتك هاتفياً. ولكن...

ـ ماذا...

ـ أتحب مشاركتنا اللعب هذه الليلة؟

ـ ولماذا لا؟...

ـ ولكن قد تكون هذه الليلة مختلفة عن سابقاتها.

ـ ماذا تقصد؟

ـ إنهم يفكرون برفع الحد الأدنى لرأسمال اللاعب إلى ألف دولار. فهل أنت مستعد؟

ـ طبعاً... ومن سيدير اللعبة؟

ـ أوتو دالتون لا غيره.

ـ حسناً إذن.

ـ إذن إلى اللقاء في الموعد المحدد، العاشرة ليلاً.

أعاد فيكتور السماعة إلى مكانها وراح يحلم بالدولارات أو بالعملة الخضراء كما يحلو له أن يسميها.

أمسك طوني ريزوللي الكأس ورفعها.

ـ بصحتك يا أوتو دالتون.

ـ وبصحتك أيضاً... هل من جديد؟

ـ نضج الثّمر وحان قطافه.

ـ ماذا؟... أجاد أنت فيما تقول؟

ـ إن لم يكن الليلة فغداً.

ـ لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد... إنتبه يا طوني فالزعيم لن ينتظر طويلاً...

ـ أعرف ذلك.

عند العاشرة، اجتمع الشمل مجدداً. إضافة إلى اللاعبين، كانت هناك صبية سمراء، تدل ملامحها على أنها آتية من بلاد الشرق، عينان واسعتان، بلون زرقة السماء، وشعر طويل بلون ليل الصحراء، نهدان بارزان، وساقان تظهرهما فتحة التنورة.

احتار فيكتور أين ينظر... إلى الأوراق التي بين يديه، أم إلى هذه الفاتنة، التي كلما فرغت كأسه، ناولته أخرى. استعاد ذكريات تلك الليلة في الملهى الليلي. فراح يتخيلها عارية أمامه، سمح لخياله، أن يصبح نسراً محلقاً. منذ سنوات لم يمارس الحب، كما مارسه منذ أسبوع...

ـ ما بك يا فيكتور؟ قال طوني همساً. إنتبه للعب وإلا ستخسر كل ما ربحته سابقاً.

ـ معك الحق كل الحق...

ـ اسمع، ركز الآن على اللعب، وبعدها، سأجعلها تمضي الليلة معك... هنا في هذا الفندق أيضاً... وعلى نفقتي الخاصة.

ـ شكراً يا طوني... إنها جميلة... إنظر إلى ساقيها.

كانت الفتاة، تنفذ ما طلب منها، تجلس قبالة فيكتور. إما تتظاهر أنها

ترتب حاملة النهدين، وإما تسمح للتنورة أن ترتفع لتكشف عن جمال، أخذ عقل الحالم بقطف آلاف الدولارات فنسي أحلامه المادية، واستغرق في المقارنة بين ما يرى، وبين ساقي زوجته ونهديها. وبدلاً من الربح، بدأت الخسارة.

خسر كل ما ربح. إلا ألفي دولار أعطاها لزوجته فماذا يفعل؟ إلتفت إلى طوني وكأنه يرجوه أن يرشده إلى ما يجب أن يقوم به.

حانت الفرصة. نظر ريزوللي، إلى أوتو دالتون بطرف عينيه.

ـ أعطه عشرة آلاف على الحساب. ثم التفت نحوه أتكفي أم تريد المزيد...؟

ـ لا بأس.

ـ ولكن عليك نسيان هذه السمراء وإلا ستضطر للاستدانة مجدداً.

وهذا ما حصل. حتى فاقت ديونه الخمسين ألف دولار.

ـ والآن سيد فيكتور... كيف ستدفع؟ تساءل أوتو دالتون.

تجمدت الكلمات في فمه... من أين له هذا المبلغ...؟

ـ أتريد الدفع بشك مسحوب على المصرف؟

ـ لكني لا أتعاطى بالشكات.

ـ حسناً... هذا أفضل... يعني ستدفع نقداً...

ـ لكني لا أملك هذا المبلغ.

ـ ماذا؟ صاح كل من أوتو دالتون وسيمور.

تدخل طوني «يقصد أن المبلغ ليس في جيبه... وغداً سيدفعه». ومد يده ليشد على يد فيكتور وكأنه يدعوه لتأكيد كلامه.

ـ فعلاً كما يقول طوني.

نسي فيكتور الصبية السمراء. اندس في السرير، إلى جانب زوجته. حاول أن يغفو... وكيف يكون ذلك؟ من أين سيتدبر هذا المبلغ؟... خمسون ألف دولار... إنه مبلغ يساوي راتب عشر سنين ونيف... ولكن... هل سيتخلى طوني ريزوللي عنه؟... «نصحني ألا أهتم بالفتاة. ولكن...».

عند التاسعة صباح اليوم التالي، رن جرس الهاتف في مكتب فيكتور بمتحف أثينا الوطني. تصبب العرق على جبينه وهو يمسك سماعة الهاتف... لا شك إنه دالتون... أو لربما سيمور.

ـ صباح الخير سيد فيكتور... أعرفتني؟

ـ نعم... صباح الخير سيد دالتون.

ـ بعد ساعة، ساكون عندك... هل المبلغ جاهز معك؟

ـ حتى الآن لا...

ـ ماذا؟ قال دالتون بصوف عالٍ، لن أمهلك أكثر من ثلاث ساعات. أفهمت؟

أقفل دالتون السماعة، ونظر إلى ريزوللي...

لم يكد عقربا الساعة يلتقيان معلنين الساعة الثانية عشر ظهراً حتى كان أوتو دالتون، يقف في مكتب فيكتور، وعلى وجهه سيماء الغضب

الشديد... بعد دالتون بلحظات دخل طوني ريزوللي، تنفس فيكتور الصعداء... «لا شك أنه آتٍ لمساعدتي». لكن صوت دالتون كان يرتفع أكثر فأكثر، فتدخل طوني طالباً منه أن يخفض صوته.

ـ إسمع سيد دالتون، هنا مكان عمل... والسيد فيكتور موظف محترم، فلا يجوز لك تشويه سمعته... مالك...سيعود لك. ولكن أمهله بعض الوقت...

ـ أريد المبلغ الآن... الآن وليس بعد ساعة.

ـ إنه مبلغ ضخم... خمسون ألف دولار... صدّق، لو كنت أملك هذا المبلغ الآن، لدفعته لك... فيكتور صديقي وأنا أثق به.

ـ أنت حر أن تثق به أو لا تثق. ثُمّ إنه صديقك وليس صديقي...

ـ إسمع أوتو دالتون. قال ريزوللي بصوت حازم، فيما فيكتور جالس خلف مكتبه مرعوباً، لا يدري ماذا يفعل.

ـ نعم كلي سمع...

ـ بعد شهر سيعيد فيكتور المبلغ مضاعفاً...

ـ بعد شهر؟...

ـ نعم... بعد شهر، ومضاعفاً... وأنا الكفيل. والآن إجلس بهدوء، دعونا نتناول شيئاً من القهوة... أليس كذلك يا فيكتور؟

وماذا بإمكان فيكتور أن يقول؟ ليس عليه إلا الموافقة، وهذا يعني تأجيل موته لمدة شهر...

ـ إسمع طوني ريزوللي... أنا موافق، قال دالتون، ولكن. قسماً

بتراب قبر ابنتي ـ لم يكن دالتون متزوجاً ليكون عنده ابنة متوفاة ـ إن لم يدفع المبلغ مضاعفاً، سأقتله. قال سأقتله وهو يحدق بفيكتور ويداه مرفوعتان وكأنه يحاول خنقه.

ـ إتفقنا. والآن، أخبرني يا دالتون، كيف كانت ليلتك؟

عاد الهدوء إلى صدر فيكتور... سكب القهوة لضيفيه وهو يتذكر فتاة ليلة الأمس...

ـ ليلتي... ليس بمقدوري وصف ما حدث.

ـ إنها جميلة... جميلة... قال فيكتور.

التفت دالتون إلى ريزوللي خلسة وهو يبتسم... مسكين أنت يا فيكتور جمالها أغراك، فنسيت أنك تقامر...

بعد تناول القهوة، خرج دالتون وهو يؤكد تهديده.

ـ طوني... ومن أين لي خمسون ألف دولار، ليس بعد شهر، بل حتى بعد سنة.

ـ مئة ألف من فضلك وليس خمسون.

ـ حتى ولو عشرة آلاف، فمن أين لي أن أسدده بعد شهر؟

التفت ريزوللي إلى قطعة أثرية موضوعة داخل غرفة زجاجية...

ـ من هذه؟

ـ ماذا؟...

ـ ألم تقل أن هناك قطعاً مزيفة يستحيل كشف زيفها؟.

ـ بلى.

ـ حسناً، تضع واحدة مزيفة مكانها... هكذا تسدد ما عليك وتصبح من أصحاب ملايين الدولارات.

ـ طوني... منذ عشرين سنة، وأنا أعمل هنا... كنت وما أزال رمز النزاهة.

ـ صدقني يا فيكتور إنه صادق في تهديده...لن يقتلك. بل يطلق النار على رجليك فيجعلك كسيحاً، أو يلقي ماء النار على وجهك. لا خيار أمامك يا صديقي...

ـ ولكن من سيدفع الملايين ثمناً لها؟

ـ هذه مهمتي أنا... أولسنا أصدقاء؟

ـ ولكن...؟

ـ أعرف أنك خائف... ولكن فكر بعائلتك. إنه مجرم فعلاً... هل لديك خيار آخر..؟

ـ أعني لا أملك ثمن التحفة المزيفة.

ـ لا عليك... سأتكفل بالأمر... اتفقنا؟

على مضض أجاب فيكتور: اتفقنا.

ابتسم طوني، ربت على كتف صديقه «إنك منجم ذهب يا صديقي» قالها لنفسه.

الفصل الثالث عشر

فيما كان طوني ريزوللي يضيّق الخناق على فريسته، كانت الشرطة اليونانية ومبعوثو مكتب مكافحة المخدرات الأميركي يتابعون خطواته عن كثب، ويضيّقون الخناق عليه.

في مقر قيادة الشرطة اليونانية، وسط أثينا، كان عدد من الضباط اليونانيين يجتمعون إلى الجنرال الأميركي والت كيلي، إضافة إلى العديد من المخبرين.

ـ نعتقد أنكم كنتم على حق في اعتقادكم أن طوني ريزوللي يحاول تهريب كمية كبيرة من المخدرات إلى أميركا. هذا ما قاله كبير الضباط اليونانيين للجنرال الأميركي كيلي، وأضاف «سنبدأ قريباً بمداهمة جميع المستودعات المشبوهة».

ـ وهل هو تحت المراقبة الدائمة؟

ـ ليس هذا وحسب، بل ضاعفنا عدد الذين يراقبونه.

ـ أتمنى ألا يكون قد فات الآوان. قال الجنرال كيلي.

لاحظ، بل تأكد، ريزوللي أنه مراقب بشكل دائم، فآثر التقوقع في غرفته، حتى يمل مراقبوه من الإنتظار على الرصيف المواجه لمدخل

الفندق، ليس هذا وحسب، بل تمكن من إبلاغ شركائه في عملية التهريب، إن في الداخل أو في الخارج، الإتصال بالغرفة المحاورة لغرفته في الفندق، بعد إقناع هذا الأخير أن مطلقته تلاحقه ليل نهار للعودة إليه.

ـ فعلاً إن النساء لا تطاق... وأنا أيضاً طلقت زوجتي ولهذا السبب أقيم في الفندق.

ـ ولماذا؟ ألم يكن لديك منزل؟ تساءل ريزوللي.

ـ بلى، غير أني تخليت عنه لها...

ـ ومنذ متى وأنت تقيم هنا؟

ـ منذ سنتين تقريباً... ليتني طلقتها منذ عشر سنوات.

ـ أترى... جمعتنا المصيبة. كل ما عليك يا صديقي أن تقرع بابي مرتين فأعرف أن هناك من يطلبني.

ـ منذ يومين وأنت لا تغادر غرفتك...لماذا؟

ـ إنها تلاحقني، عيونها في كل مكان، أينما حللت أشعر أنها تراقبني.

مد ريزوللي، يده ودس مايتي دولار، بجيب جاره الذي سرّ كل السرور. وأبدى استعداده لمساعدته في كل ما يطلب منه.

بعد ثلاثة أيام، كان ريزوللي يشرب قهوة الصباح على شرفة غرفته، حين رن جرس الهاتف. تعجب... ترى من يكون هذا الذي يطلبني إلى غرفتي؟

ـ من المتكلم؟

صوت غير مألوف، ترى من هو؟...

ـ نعم أنا هو.

ـ سبق لك وزرتني في مكتبي سيد ريزوللي، بهدف التعاون في إنجاز بعض الأعمال. ولم أستجب لرغبتك أتذكر؟

صدم ريزوللي لما يسمع. لا شك أنه سبيروس لامبرو. «إذن ها هو نادم على رفضه تأجيري إحدى سفنه».

ـ نعم أذكر ذلك.

ـ ما رأيك لو نلتقي ونناقش الموضوع مجدداً؟

ـ لا مانع عندي... متى؟

ـ عند الثالثة بعد ظهر اليوم...

ـ أين؟

ـ في مكتبي...أنا في انتظارك. إلى اللقاء.

لحظات وكان مقر قيادة الشرطة اليونانية، يتلقى اتصالاً هاتفياً «هناك من اتصل بالسيد ريزوللي. وسيلتقيان عند الثالثة بعد ظهر اليوم».

ـ أين؟

ـ في مكتب المتصل الذي لم نتمكن من معرفة من يكون.

ـ حسناً... تتبعوا خطواته.

عند الثانية والنصف، كان ريزوللي، يخرج من الفندق، وهو يرتدي بذة كحلية اللون، وربطة عنق حمراء، وكأنه ذاهب إلى موعد مع أحد

كبار المسؤولين. هذا ما اعتقده رجال المباحث، دون أن يدروا أنه يقصد مكتب سبيروس لامبرو، الذي منذ أن زار أخته ميلينا في المستشفى، صمم على الانتقام لها من زوجها قسطنطين دميريس. لم يكن يدري كيف، ولكن بعد الذي سمعه من جورج لاتسو، والسيدة بيريس عن عدم موت كاترين دوغلاس، صار يمتلك سلاح الانتقام.

في الوقت المحدد، كان طوني ريزوللي، يقف وجهاً لوجه مع سبيروس لامبرو الذي رحب بضيفه شاكراً له قبول دعوته.

ـ يسعدني ذلك... سيد لامبرو... إذن... ها أنت مستعد لمناقشة الموضوع؟

ـ لا...

ـ تعجب ريزوللي «ماذا تقول؟».

ـ لا...وحتى الآن لا رغبة عندي في العمل معاً.

ـ ماذا؟...ولماذا استدعيتني؟... ألم تقل إن هناك عرضاً ستقدمه لي؟...

ـ نعم... ما رأيك لو نستأجر إحدى سفن قسطنطين دميريس؟

غرق طوني في الكرسي الذي يجلس عليه «قسطنطين دميريس؟ عما تتكلم أنت؟... لا أعتقد أبداً...».

ـ لا تعتقد ماذا؟

ـ أنه سيوافق.

ـ بلى... سيوافق. إني لعلى ثقة كاملة أنه سيفعل.

ـ ماذا؟

ـ لن يوافق وحسب، بل سيكون مستعداً لتلبية كل ما تريد.

ـ ولماذا؟ أو مقابل ماذا؟

ـ مقابل لا شيء.

ـ هذا كلام فارغ. أعتذر سيد لامبرو عن هذا القول. ولكن، ما الذي يجعله يلبي طلباتي؟

ـ سؤال في محلّه. أتريد قهوة سيد ريزوللي؟

ـ أكون شاكراً... إنما بدون سكر.

بعد إحضار القهوة. وخروج السكرتيرة، نظر سبيروس لامبرو إلى طوني ريزوللي وهو يبتسم.

ـ اسمع سيد ريزوللي... سأروي لك حكاية.

ـ ماذا؟ هل استدعيتني لتروي حكاية؟

ـ قسطنطين دميريس هو زوج شقيقتي الوحيدة ميلينا التي هي أغلى ما في وجودي. ومنذ سنوات اتخذ له عشيقة اسمها نويل بايج.

ـ الممثلة؟ أليس كذلك؟

ـ نعم إنها هي... لكنها، في الوقت ذاته كانت عشيقة لاري دوغلاس. ومنذ سنتين ونيف، أعدم الاثنان بتهمة قتل زوجة لاري. أتعرف ماذا فعل دميريس؟

ـ لا...

ـ وكل محامياً للدفاع عن نويل.

ـ أذكر أني قرأت شيئاً عن هذه المحاكمة.

ـ لكن هناك أسراراً لم تكتب في الصحف. إن ما أراده صهري هو الإنتقام من عشيقته لأنها خانته مع لاري دوغلاس، فأقدم على توكيل نابليون كوتاس للدفاع عنها. وقبيل انتهاء المحكمة أقدم هذا الأخير على إبلاغ المتهمين، أنه عقد اتفاقاً مع القاضي بإخلاء سبيلهما وترحيلهما إلى بلادهما، إذا اعترفا بما هو منسوب إليهما. صدقاه. وماذا كانت النتيجة؟ أدينا وحكم عليهما بالإعدام. وبالطبع نفذ الحكم.

ـ وما ذنب دميريس؟

ـ إسمعني.... دعني أكمل سيد ريزوللي... حتى الآن لم يكتشف أحد جثة الضحية المزعومة كاترين دوغلاس. أتعرف لماذا؟

ـ لا...

ـ لأنها ما تزال حية ترزق.

كاد ريزوللي يفقد صوابه لما يسمع. لكن سبيروس تابع حديثه.

ـ نعم إنها حية ترزق. لقد أخفاها السيد دميريس.

ـ لحظة من فضلك سيد لامبرو... هل لي بشربة ماء؟ أرجوك. إن ما ترويه هو أقرب إلى الخيال.

بعد أن شرب كوبين من الماء. عاد طوني ريزوللي وتساءل: أتعني أن السيد دميريس، ترك عشيقته وصديقها يعلّقان على حبل المشنقة، وهو يعلم أن كاترين ما تزال حية؟

ـ تماماً كما تقول... أنا لست قانونياً، لأعرف ماذا تكون عقوبته فيما لو حوكم. ولكن، لا شك سيسجن لسنوات، وهذا يعني تدميره نهائياً.

ـ ولماذا تخبرني سيد لامبرو؟

ابتسم سبيروس لامبرو إبتسامة خبيثة «إنه صهري وأنا مدين له بحسن معاملته لشقيقتي. لذا، فأنا على ثقة أنه سيلبي طلبك».

الفصل الرابع عشر

رغم إزدهار الأعمال، والنفوذ القوي، لم يكن قسطنطين ديميريس سعيداً في حياته ولا مرتاح البال. هناك ذكريات تؤرقه. إنه الماضي، يطل برأسه من حين لآخر، ليكدر عيشه ويعيده إلى التساؤل: «هل أنا مجرم؟. لا... أنا لست مجرماً، أنا منفذ الأحكام، ما جنيتُ على أحد. هم جنوا على أنفسهم، خاصة نويل بايج. ولكن من أين عادت كاترين دوغلاس وكيف؟ أما فقدت ذاكرتها؟ إنها تذكرني بأشياء وأشياء».

إستناداً إلى التقرير الأسبوعي لايفلين، لم يكن لكاترين دوغلاس أية علاقات إجتماعية أو صداقات إلا مع زملائها في العمل. وتمضي ساعات فراغها مع كيرك رينولدز.

«مسكينة كاترين... لا شك أن صحبة كيرك رينولدز، تسبب الملل لها... فهو لا يحسن التحدث إلا في القانون. أنا مدين له بالشكر، فهو يبعدها عن كل ما يذكرها بالماضي».

كانت كاترين تدرك وتعي، أن كيرك مغرم بها؛ وأنها ترتاح لرفقته. ليس جميل الوجه، لكنه جذاب، لم يعد الجمال الخارجي يعني شيئاً لكاترين، ولقد تعلمت درساً لا ينتسى من حبها لزوجها المرحوم لاري دوغلاس. الجميل برأي كاترين هو من يصنع الجمال. وهذا ما

يصنعه كيرك. إنه إنسان يُعتمد عليه. تعلمت الكثير من الحياة... تعلمت أنه من الأفضل لي أن أقترن بإنسان يحترمني ويقدرني، إنسان يهتم بي ويحيطني برعايته، وليس بإنسان، أمضي ليالي وأنا خائفة منه. خائفة من أن يرميني من على سقف بناية عالية أو يحتجزني في كهف معتم.

رغم حبه لها، فهو لم يحاول إغواءها أو استدراجها إلى سريره، على العكس، كان يصطحبها إلى المسارح ودور الأوبرا والحدائق العامة، إلى كل مكان ينسيها تعب يومها في مؤسسة ديميريس. دعاها إلى مرافقته إلى سان مورتيز، حيث من الممكن التمتع بالتزلج على الثلج، وها هو اليوم، يذكرها بدعوته هذه. مالي أتردد في الموافقة على الذهاب معه؟ وعما أبحث في حياتي؟ عن لاري آخر؟ عن رجل يدعي حبي وهو مغرم بأخرى. ويحاول قتلي؟ كيرك، سيكون، بلا شك، زوجاً مثالياً... إذن لماذا أستمر في هذا التردد؟

في تلك الليلة، ليلة توجيه الدعوة ثانية لها لمرافقته إلى سان موريتز، كانا يتناولان العشاء في أحد المطاعم على ضفاف نهر التيمز.

ـ كاترين... سأقولها بصدق وصراحة... أنا أحبك. وأتمنى لو تكونين زوجتي.

كيرك...

ولم تتمكن كاترين من إكمال حديثها. لا شك سيطرأ تغيير جذري على حياتي.. أبهذه البساطة أقول نعم أنا موافقة؟ ولماذا أبقى أحيا الماضي؟ أهو الخوف يشدني إليه؟ لا... ليس بمقدوري أن أستمر هكذا... تردد وخوف.

ـ كاتي.

ـ كيرك... دعنا نذهب معاً إلى سان موريتز.

ـ هل هذا يعني...؟

ـ ربما تغير رأيك... إذا رأيتني وأنا أتزلج.

ـ لا شيء في العالم يجعلني أغير رأي... أنا أحبك والأهم من هذا أني أحترمك. وأقدر معاناتك. على كل... ما رأيك في الخامس من كانون الأول؟

ـ موافقة.

ليل الرابع من كانون الأول رن جرس الهاتف الخاص في غرفة نوم قسطنطين ديميريس.

ـ السيد ديميريس؟

ـ نعم أنا.

ـ غداً صباحاً ستذهب كاترين مع كيرك رينولدز للتزلج على جبال سان موريتز.

غرق ديميريس في صمت مطبق ثم تساءل «سان موريتز؟».

ـ نعم سيدي.

ـ شكراً إيفلين.

أعاد ديميريس السماعة إلى مكانها وغرق في صمت مطبق، قطعته التساؤلات الذاتية كيرك رينولدز؟... كان عليَّ أن

أتحـرك بوتيرة أسرع... عليّ فعل ذلك... لن أدعها تفلت من يدي.

في الليلة ذاتها. كانت كاترين مستلقية على سريرها تفكر بكيرك... لا شك سيمارس الجنس معي... ولِمَ لا؟ منذ زمن لم ينظر رجل إلى جسدي... لا.. لن أتعرى... سأتركه يعريني قطعة قطعة، وأنا بدوري سأعريه قطعة قطعة... ترى... هل بإمكاني إدخال الفرحة إلى قلبه... سأفعل كل ما يريد...

صباح الخامس من كانون الأول؛ كاترين وكيرك متجهان إلى سان موريتز، وقسطنطين في مكتبه غارق في تفكيره... «كان عليّ أن أتحرك بشكل أسرع... ولكن....». وإذ بصوت سكرتيرته يقطع عليه حبل تفكيره.

ـ أمامي السيد طوني ريزوللي وهو يطلب مقابلتك.

ـ هل هو على موعد؟

ـ لا...

ـ فإذن.

ـ يقول إنه يحمل لك رسالة شخصية من السيد سبيروس لامبرو.

ـ رسالة من لامبرو؟ عجباً. تساءل كوستا بينه وبين نفسه.

ـ حسناً دعيه يدخل.

ـ يسعدني لقاؤك سيد ديميريس.

ـ لديك دقيقتان قل ما تريد.

ـ يعتقد سبيروس أنه من الممكن أن نتعاون، أنت وأنا.

ـ وبماذا سنتعاون؟

ـ هل يمكن الجلوس؟

ـ تفضل إجلس.

استرخى طوني ريزوللي في جلسته على المقعد الجلدي.

ـ إني أمتلك مشاريع صناعية وأصدر بضاعتي إلى العديد من دول العالم.

ـ حسناً... وأنت بحاجة لسفينة لشحن البضاعة؟

ـ تماماً هذا ما أريد.

ـ ولماذا لم تتعاون مع سبيروس؟ لديه سفينتان راسيتان في المرفأ.

ـ ربما لأنه لا يحب نوعية البضاعة.

ـ لم أفهم... وماذا ستشحن؟

ـ مخدرات... هيروين...

صعق ديميريس لما سمع «أخرج من مكتبي قبل أن أستدعي الشرطة».

نظر طوني ريزوللي إلى الهاتف «هيا... إفعل... قل لهم ما قلته لك... وأنا أيضاً سأتحدث إليهم، ومن يدري؟ قد أخبرهم عن محاكمة نويل بايج ولاري دوغلاس».

تجمدت يد ديميريس قبل أن تلامس السماعة «عما تتحدث؟».

ـ أتحدث عن اثنين أعدما بتهمة قتل امرأة ما تزال حية ترزق.

تهاوى قسطنطين على مقعده وشحب وجهه حتى أنه لم يتمكن من قول ولو كلمة واحدة. فيما تابع طوني ريزوللي.

ـ أما تعتقد أن هكذا حكاية قد تثير شهوة الشرطة للتحقيق مجدداً؟ دعنا من الشرطة... ما رأيك بالصحافة؟ تخيل سيد ديميريس... على فكرة أتسمح لي بمناداتك كوستا، مثلي مثل بقية أصدقائك. تخيل يا كوستا نفسك تقرأ العناوين الرئيسية للصحف «أعدما بسبب جريمة لم ترتكب» أو «أخفاها قسطنطين ديميريس فأعدم إثنان بسبب قتلها» وما إلى هنالك من عناوين قد يبتدعها خيال الصحفيين.

ـ حسناً ماذا تريد؟ اختصر...

ـ أخبرتك.. وأتمنى أن نصبح أصدقاء لا يحاول أحدنا الإيقاع بالآخر.

ـ ولكن، ماذا لو ضبطت المخدرات... ستلقي الدولة الحجز على كل سفني.

ـ ومن قال إن المخدرات ستضبط؟

ـ في مطلق الأحوال، لن أوافق على هكذا شحنة. ولن أسمح لك بابتزازي... أتعرف من أنا؟

ـ نعم إنك صديقي وشريكي، وإلا سأخرج من هنا إلى دائرة الشرطة ومن ثم سأنتقل من صحيفة إلى أخرى وأروي على المسامع ما لا ضرورة لإعادته حتى لا ترتعب مجدداً. أمامك ستون ثانية لا أكثر... أريد جواباً نهائياً... لا وقت عندي لإضاعته في المماحكات.

بدا قسطنطين ديميريس وكأنه بعمر يفوق عمره بعشر سنين على الأقل. ماذا لو انكشف أمر تلك المحاكمة؟ كلما تخلصت من دليل، يبرز آخر.

ـ لقد انتهت الستون ثانية يا كوستا.. يا صديقي كوستا.

ـ حسناً.

ـ هل أعتبر هذا إتفاقاً رسمياً.

ـ نعم يمكنك ذلك.

خرج طوني ريزوللي مباشرة إلى هاتف عمومي في الشارع. المخابرة الأولى كانت للسيد بيتر لوقا في نيويورك «قريباً ستصل القرود إليك فضعها في حديقة الحيوانات. السفينة ستقلع قريبا».

المخابرة الثانية كانت لسبيروس لامبرو.

ـ جرى كل شي على أكمل وجه... لقد وافق صهرك.

ـ تهانيّ يا سيد ريزوللي.

الفصل الخامس عشر

في سان موريتز، القرية السياحية على أعلى قمم جبال الألب، وقفت كاترين أمام موظف الاستقبال في فندق بالاس أوتيل. مندهشة لما تسمع.

ـ نعم هناك حجز جناح خاص بإسم السيد رينولدز و السيدة قرينته.

تعجبت كاترين.. خبأت يدها اليسرى في جيب معطفها، حتى لا يلاحظ أحد عدم وجود خاتم زواج في إصبعها. «يا له من إنسان محترم».

أمام نافذة غرفة الجلوس، وقفت. جبال مكللة باللون الأبيض. متزلجون أينما كان. أحست أنها قريبة جداً من الخالق. بإمكانها أن تمدّ يداً فتقطف نجمة لتقدمها لكيرك الذي تتمنى لو بمقدورها إدخال السعادة إلى قلبه، كما هو يجعلها تشعر بالسعادة. ولكن، ماذا سيكون موقفه لو عرف من هي. لو عرف من تكون؟

أسدل الليل ستاره، وهي ما تزال أمام النافذة، اختفى المتزلجون. لكن الأضواء ما تزال تتلألأ. ليس على مدارج التزلج والطرقات وحسب، بل ومن نوافذ غرف الفنادق والشاليهات وعلى أبواب الحانات والملاهي الليلية والمطاعم.

منذ هنيهات أطفأت كاترين الضوء في الغرفة، لتستمتع برؤية لون اللهب المتصاعد من المدفأة، ولتصغي إلى صوت النار تأكل الحطب.

ـ كاترين... إنه صوت كيرك آت من غرفة النوم ذات السرير المزدوج الوثير الذي ليس معداً للنوم بل لممارسة الحب، المرايا على كل الجدران، فكيفما تحرك الإنسان داخل هذه الغرفة، سيرى نفسه رباعي الأبعاد. كيف سأتعرى في هذه الغرفة؟ كيف ستعكس المرايا صور جسدي؟ وكيف ستعكس صور جسد كيرك... إنه ليس محترماً وحسب، بل ورومانسياً إلى ما لا حدود. الآن عرفت لماذا انتقى هذا الجناح؟ ترى هل سبق له وأحضر امرأة أخرى إلى هنا؟ هل مارس الحب معها؟

ثانية تسلل صوت كيرك «كاترين».

«يا إلهي... لا شك أنه يناديني لأتعرى وأنام إلى جانبه... رباه ماذا أفعل؟»

وبصوت مرتجف أجابت «نعم كيرك».

ـ ما رأيك لو نخرج لقضاء بعض الوقت في مكان ما؟

ـ مكان ما؟

ـ نعم... في مطعم الفندق؟... في ملهى ليلي؟

ـ فكرة رائعة... ولكن..

«ما بي... إني في أجمل أماكن العالم، ومع إنسان يحبني بجنون... لماذا لا أتخلى عن حزني؟».

ـ ولكن... ماذا؟

ـ ما رأيك لو نتناول العشاء هنا؟

ـ في مطعم الفندق؟

ـ لا، هنا في هذه الغرفة.

ـ كما تريدين.

بعد العشاء، كان كيرك يحدق بعينيها.

ـ يبدو أنك قلقة.

ـ ماذا؟... لا أنا بخير، إنما.

ـ إنما ماذا؟

ـ لا شيء مطلقاً...

رأى كيرك الإبتسامة على شفتيها.

ـ إذن... ما رأيك لو نتعرى ونأوي إلى السرير.

تماماً كما توقعت. وهل كان عليه قول هذا؟ لماذا لم يتركني أفعل ذلك من تلقاء ذاتي؟

ـ ماذا...؟

ـ لا شيء... ولكن، أما ترغبين بنزع ثيابك يا حبيبتي.

منذ زمن لم أتعرى أمام رجل، منذ سنين لم أنم إلى جانب رجل...وما عرفت رجلاً غير زوجي.

ـ كاترين....؟

ـ كيرك...

استدار نحوها نصف عار.

ـ كيرك... أرجو المعذرة.... فأنا قلقة وخائفة... عليك..

بدا الإحباط واضحاً على وجهه. لكنه ابتسم بتصنع «كاتي أنا أتفهم وضعك... أمامنا وقت طويل».

قبلت وجنته بحرارة «آه يا عزيزي... لست أدري كيف أشكرك؟ الحقيقة، لست أدري ما بي؟».

ـ أتفهم أسبابك.

ـ شكراً... يا ملاكي...

ـ إذن، سأنام على المقعد في غرفة الجلوس.

ـ لا... أبداً لن يكون هذا، أنا من ستنام هناك...

ـ كلمة أخيرة، أنا من سينام على المقعد.

استلقت كاترين على السرير وهي تفكر بكيرك رينولدز.

«هل ليس بمقدوري ممارسة الحب معه؟... أو مع أي رجل آخر... ترى هل أطفأ لاري نار جسدي إلى الأبد... لكنه حاول قتلي».

عند منتصف الليل استفاق كيرك مرعوباً... إنها كاترين... تصرخ وتصرخ... أسرع نحو غرفة النوم. كاترين جالسة على السرير مرتجفة الجسد... حدق بوجهها وهو يقترب منها ويضمها إلى صدره.

ـ ما بك حبيبتي؟

ـ أرجوك إبق إلى جانبي... إنهم يحاولون قتلي.

ـ يبدو أنه حلم مزعج.

ـ ليته كان حلماً...؟ فعلاً حاولوا قتلي.

تعجب كيرك لسماع ما تقول «ولكن من هم الذين حاولوا قتلك؟».

ـ زو.... زوجي وعشيقته.

ـ لا شك أن هذا ليس حلماً مزعجاً وحسب، بل كابوساً.

ـ لا هذا ولا ذاك، إني أخبرك الحقيقة يا كيرك... لقد حاولا قتلي... وأعدما بسبب هذه المحاولة.

شحب وجه كيرك، وجحظت عيناه... إنه غير مصدق.

ـ نعم... نعم يا كيرك... لم أخبرك شيئاً عن حياتي السابقة، لأني...

ـ لأنك ماذا؟

ـ إنها مصدر ألمي وقلقي، لهذا أحاول نسيانها وعيش حاضري والتطلع إلى المستقبل.

ـ ولكن... كيف حدث هذا ولماذا؟

ـ رفضت الموافقة على الطلاق....

ـ أكملي.

ـ وكان هو على علاقة بامرأة أخرى. فصمما على قتلي.

ـ وماذا حدث لهما؟

ـ حوكما وأعدما.

ـ مهلاً... تم إعدامهما بسبب محاولة قتلك؟

- نعم...

- إفهميني كاترين، أنا لست متطلعاً كفاية على قانون العقوبات اليوناني، ولكن ما من قانون في العالم، يعاقب بالإعدام على محاولة القتل... هناك شيء غير واضح... هناك خطأ ما... على كل، أعرف محامياً يونانياً. إنه بيتر ساويروس. سأتصل به صباح الغد، واستوضح الأمر... عودي إلى النوم يا حبيبتي... أنا هنا... إلى جانبك...

لم تكد تشرق شمس صباح اليوم التالي، حتى كان كيرك، يتصل هاتفياً بالمحامي اليوناني بيتر ديمونيدس.

- صباح الخير سيد ساويروس... أعتذر عن إزعاجك باكراً أنا كيرك رينولدز أتذكرني؟

- أسعد الله صباحك سيد رينولدز... نعم أذكرك جيداً. أنت تعمل لصالح السيد قسطنطين ديميريس... كيف لي أن أخدمك؟

- مجدداً أعتذر... لكنني مشوش الذهن، بسبب بعض المعلومات عن قانون العقوبات اليوناني.

- كما تعلم، أنا لست متخصصاً بقانون العقوبات. ولكن يسعدني أن أمد يد العون.

- هل في قانون العقوبات اليوناني، نص على الإعدام بسبب محاولة قتل؟

- ماذا؟ إعدام بسبب محاولة قتل؟

- نعم.

- لا أعتقد ذلك... ولكني سأتأكد من الموضوع.

- أرجوك سيد ساويروس... إني أمضي عطلتي مع امرأة تدعى كاترين الكسندر وتدعى أن زوجها السابق وعشيقته أعدما بسبل محاولة قتلها... ولا أعتقد أنها محقة فيما تقول....

- تماماً... على كل سأراجع النصوص القانونية... ولكن أين أنت الآن؟

- أنا في فندق بالاس أوتيل في سان مورتيز على جبال الألب.

- حسناً كما قلت لك. سأراجع النصوص القانونية.

- أكون لك شاكراً... أعتقد أن السيدة الكسندر تخبرني أشياء خيالية... أو أنها تعاني من حالة نفسية معينة.

- أتفهم وضعك سيد رينولدز.... أعدك... سأتصل بك بأسرع وقت ممكن.

بعيد الظهر، كان كيرك. ينتظر عودة كاترين، في مطعم الفندق.

- حسناً... كيف كان يومك يا حبيبتي...

- رائع... إنه مدرب رائع.

- التزلج، رياضة الخطر... إنما...

- يشعر الإنسان بالسعادة... أتدري يا كيرك؟

هز كيرك رأسه دون أن يتفوه ببنت شفة.

- إنها المرة الأولى في حياتي التي أزور فيها مكاناً كهذا،

أحسست اليوم أني إنسانة طليقة... في البدء كنت خائفة، إنما....

كانت هي تتكلم وهو ينظر إليها بشغف وحب، إنه يحاول الإستفادة من كل ثانية... إنه يحبها.

ـ كيرك...

ـ نعم كاتي

ـ أعتذر عن ليلة أمس...

ـ لماذا الإعتذار؟

ـ لا أنكر أني راغبة، لا بل متلهفة، لممارسة الحب معك... ولكن...

ـ دعك من الليلة الماضية، دعينا نفكر بالليالي الآتية... ماذا ستفعلين بعد الغداء؟

ـ سأرتاح في الغرفة وأنت؟

ـ أفكر بالتزلج على المدرج رقم ..6. إنه التحدي.

ـ لماذا؟

ـ لم يسبق لي أن تزلجت عليه، إنه للمحترفين فقط.

ـ ولماذا؟

ـ أحب التحدي.

بدأت الشمس تميل إلى الغروب.... كاترين أمام النافذة في غرفة النوم... توزع نظراتها، بين الخارج، حيث قرص باللون الذهبي، يبدو حزيناً... إنها تودع سان موريتز.... ولكن... ستعود لتشرق غداً. فتبدو

سعيدة... حزن عند الفراق وسعادة عند اللقاء... وبين الداخل حيث المدفأة والسرير... الليلة سأمنحه جسدي.. أو... سأتلذذ بجسده.. سنمارس الحب... اشتقت للإستلقاء إلى جانب رجل، يطوقني بذراعيه، يشدني إليه، إلى رجل يقبلني بشغف... ويداه تداعب كل سنتمتر فيّ... الله... شكراً لك يا رب... أرسلت كيرك ليعيدني إلى الحياة.... ولكن... هل سأتمكن من إسعاده؟

غربت الشمس... وتلألأت الأنوار... كيرك... أين هو؟.... لماذا لم يعد بعد... أما يزال يتزلج؟... ولكن... لا ريب إنه يجلس في مقهى المطعم، يشرب كأس نبيذ فرنسي معتق... ليس من المعقول إنه يتزلج على أنوار الكهرباء... إنها السابعة...

فجأة رن جرس الهاتف... «ها هو يدعوني للنزول إلى المقهى» رفعت السماعة «أين أنت في المقهى أم في المطعم؟»..

لكن صوتاً غريباً أجاب «سيدة رينولدز؟» كانت ستقول لا... لكنها تذكرت أن الحجز باسم السيد والسيدة رينولدز «نعم أنا هي».

ـ متأسف...

ـ لماذا؟ ومن أنت؟

ـ متأسف لإزعاجك... إنما زوجك.

ـ ما به؟ بلهفة تساءلت.

ـ تعرض لحادث أثناء ممارسة التزلج.

ـ وهل الأمر خطير؟... إني آتية... أين هو الآن؟

ـ لست أدري ماذا أقول... فعلاً إنه حادث خطير... وخطير جداً... لقد مات يا سيدتي.

سقطت السماعة من يد كاترين، وارتمت على السرير الذي بللته بالدموع.

الفصل السادس عشر

عند الخامسة فجر الجمعة، سمع طوني ريزوللي طرقاً على باب غرفته فاستفاق مذعوراً.

ـ من الطارق؟

ـ أنا جارك... ولكن أتعرف كم الساعة الآن؟

ـ لا... لاأعرف.

نهض طوني وارتدى ثيابه. فتح باب الغرفة، فإذا بجاره يقف وكأنه مستعد لصفعه، لكن طوني عاجله بنقده مئة دولار، فانشرحت أساريره وبدا سعيداً.

أمسك طوني السماعة.

ـ اسمع سيد ريزوللي... أكلمك نيابة عن سبيروس لامبرو لأخبرك أن قسطنطين ديميريس يحاول الإيقاع بك.

ـ كيف؟

ـ سيغادر صباح الأحد على متن إحدى سفنه «نيل» إلى الولايات المتحدة الأميركية، ويخطط للتخلص منك.

ـ وغد ابن عاهرة... شكراً... وأتمنى أن تشكر السيد لامبرو.

ـ يسعدني ذلك سيدي.

عاد ريزوللي إلى غرفته. وهو يتساءل «ألا يؤتمن لهذا الرجل؟». لكنه حمد الله. فما يزال أمامه يومان يتصرف خلالهما، ويضع خطة للإيقاع بقسطنطين ديميريس.

عند الثامنة صباحاً، تسلل ريزوللي من الفندق. قاصداً أحدى غرف الهاتف العمومي، بعيداً عن عيون مراقبيه.

ـ صباح الخير فيكتور... هذا أنا طوني.

ـ أسعد الله صباحك، كان صوت فيكتور مرتجفاً... استشعر أن هناك أمراً خطيراً. وتابع «كيف لي أن أخدمك سيد طوني؟».

ـ أتذكر تلك المزهرية؟

ـ كامفورا؟

ـ نعم... إنها هي... سأمر ليلاً لجلبها.

صمت فيكتور... اندهش لما يسمع الليلة؟... لست أدري إن...».

ـ حسناً إنسَ الموضوع... أنا أحاول مساعدتك وأنت...

لم يتمكن فيكتور من الإجابة..

ـ إذن ما عليك إلا مواجهة سال بريزي، وإخباره الحقيقة.

ـ أية حقيقة؟

ـ حقيقة أنك عاجز عن إعادة ماله...

أدرك فيكتور مغزى كلام ريزوللي.

ـ طوني... طوني... دعني أفكر بالأمر.... حسناً سيكون لك ما تريد.

ـ أمتأكد أنت يا فيكتور...؟ فكما تعرف، قريباً سأعود إلى الولايات المتحدة... ولن أكون قادراً على مساعدتك.

ـ صدقني طوني... أني أقدر لك ما تفعله... ولكن.

ـ إسمع فيكتور... عند إغلاق أبواب المتحف... تأخذ المزهرية، بعد أن تضع واحدة مزيفة مكانها، وستكون سيارة أجرة بانتظارك في الشارع، تقلك إلى فندق بريطانيا العظمى، حيث تترجل منها، وتبقى المزهرية على المقعد الخلفي....

ـ كيف سأتركها؟

ـ لا عليك...

ـ ولكن، متى... متى أحصل على حصتي من الثمن؟

ـ قريباً جداً... أعدك بذلك... قريباً جداً... إلى اللقاء...

ـ أعاد طوني السماعة إلى مكانها، فيما فيكتور ما يزال يمسك سماعة هاتفه، لا يدري ماذا سيفعل؟ ما عليه إلا شراء تحفة مزيفة، لتحل محل تلك الأصلية التي تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، والتي تعتبر واحدة من أغلى التحف الموجودة في المتحف... لم يسبق لفيكتور أن أخلّ بواجباته، لكنه ما يزال يتذكر قول سال بريزي «إن لم تعد نقودي، فسأجعلك طعماً لسمك القرش... أتفهم أيها النصاب؟».

قبيل السادسة بدقائق. تقدم فيكتور من مكتب بيع القطع المزيفة.

ـ اليوم عيد ميلاد صديق عزيز، فبأي قطعة تنصحينني سيدتي؟

ابتسمت السيدة وهي تنظر إلى فيكتور. «أنت من يسأل؟ لو كنت مكانك لما اخترت سوى هذه». وأشارت إلى مزهرية كا أمفورا «إنها تحفة التحف... أما تعتقد ذلك سيد فيكتور؟».

ـ حسناً... هل لك بإعطائي إيصالاً بالثمن؟

ـ ومن سيسألك أنت...؟

ـ عفواً... أريد إيصالاً رسمياً بالثمن.

ـ أمرك سيدي.

كان فيكتور قد خطط لكل شيء... إنه يريد البقاء بعيداً عن الشبهات... عند السادسة، وبعد خروج جميع الزوار، طلب فيكتور من مساعده، التأكد من تشغيل أجهزة الإنذار، واستغل هذه الفترة، لينفذ ما يريد... فتح الخزانة الزجاجية، تناول التحفة الأصلية، وضعها في العلبة، ووضع التحفة المزيفة مكانها، تأكد من وضعيتها. أقفل الخزانة الزجاجية وعاد إلى مكتبه بانتظار عودة مساعده.

ـ كل شيء على ما يرام سيد فيكتور...

ـ حسناً... ولكن أمتأكد أنت من عمل أجهزة الإنذار.

ـ كل التأكيد... إنه عملي اليومي.

ـ حسناً إلى اللقاء غداً...

ـ أحكم فيكتور إغلاق باب مكتبه، وتوجه نحو مخرج المتحف، حيث أبرز الإيصال بثمن التحفة.

ـ هدية قيمة... لمن يا سيد فيكتور.

ـ لصديق عزيز... أترى، يصعب تمييزها عن الأصلية؟

حدق الموظف قليلاً «ما بك سيد فيكتور... يبدو التزييف واضحاً... ولكن لا أعتقد أن أحداً غيرنا قادر على اكتشاف هذا».

ارتاح فيكتور... «كم هو غبي هذا الموظف؟ لو يدري أنها الأصلية، ماذا كان سيفعل بي؟ لا شك سيقودني إلى السجن مباشرة... لكنه غبي... وقد أستفيد من غبائه... فمن يدري؟»».

وكما وعد طوني ريزوللي، كانت سيارة أجرة في انتظاره، لتنقله إلى فندق بريطانيا العظمى، ولكن عبر شوارع وشوارع، حتى تخيل لفيكتور أنه أخطأ السيارة، لكن السائق طمأنه، معللاً تجواله هذا، للإفلات من مراقبة الشرطة التي قد تكون تراقبه.

في مقر الشرطة كان المفوض فيكوليند، يضرب الطاولة بيده.

ـ كيف تمكن هذا الحقير من الاختفاء، ثلاث دوريات، وعشرة مخبرين... هل لكم أن تشرحوا لي كيف اختفى طوني ريزوللي...

كان المخبرون في حيرة من أمرهم. هم أيضاً، يتساءلون كيف اختفى؟... كانوا يتابعونه كظلّه...

ـ هل تبعتم سيارة الأجرة؟

ـ نعم... كان هناك رجل آخر.

ـ رجل آخر... أين؟ قال المفوّض.

ـ في سيارة الأجرة، ويرتدي الثياب ذاتها التي يرتديها طوني ريزوللي.

ـ ماذا؟... هذا يعني أنكم...

ـ نعم سيدي... بعد نزول أحد الراكبين... اعتقدنا أنه طوني...

ـ رائع... أمضيتم ساعات تلاحقون رجلاً آخر...

ـ نعم سيدي.

ـ والآن... أين هو طوني ريزوللي؟

ساد صمت مطبق. فما من أحد يمتلك جواباً...

ـ تباً لكم... إنكم رجال فاشلون...

قسطنطين ديميريس في غرفته الخاصة على متن السفينة العملاقة «تيلي». مسكين طوني ريزوللي... لا يدري من أنا... أنا...

لم يتمكن ديميريس من إكمال حديثه مع نفسه.. فتح عينيه، غير مصدق «من؟... من؟».

ـ لما التساؤل؟... أما تعرفني... نعم أنا طوني ريزوللي. قررت، أنا وزميلاي، وأشار إلى رجلين يرافقانه، أن نستمتع معاً في هذه الرحلة...

ـ ولكن... كيف... لم أتوقع قدومك.

ـ أعرف هذا... ولكن.

ـ ماذا؟

ـ كيف تسمح لنفسك أن تغادر دون وداعي يا شريكي؟ أولم نعقد إتفاقاً يا سيد ديميريس؟

ـ لا... كنت أنوي الإتصال بك...

ـ ولماذا أنت هنا؟

ـ لأتفقد السفينة، والتأكد من أن البضاعة مخبأة بمكان لا تصل إليه عيون الجمارك.

ـ أخطأت يا كوستا... أنت رجل مخادع، أتعرف عاقبة الخداع في عملنا؟... الموت... الموت...

ـ أعرف هذا، دعنا نتكلم منفردين.

أشار ريزوللي إلى مرافقيه بالإنصراف.

ـ أنا جد محبط يا كوستا...

ـ إسمع طوني... أنا على استعداد لدفع المبلغ الذي تريد.

ـ مقابل ماذا؟

ـ مقابل مغادرتك هذه السفينة وتركي وشأني... أرجوك قد يكون هذا سبب تدميري... سبب مصادرة الدولة لجميع سفني... وهكذا نخسر معاً... كم تريد؟

ابتسم ريزوللي... لا أريد شيئاً... ولن أغادر هذه السفينة، انكشفت اللعبة سيد ديميريس... إنك تخطط للإبحار عند منتصف الليل وسأبحر معك... والآن...

ـ والآن...؟ ماذا... هل من جديد؟

ـ نعم يا شريكي... إضافة إلى الهيروين. هناك تحفة تساوي ملايين الدولارات... إنها مسروقة من متحف أثينا الوطني.

ـ وأين سنضع هذه التحفة؟ تساءل ديميريس.

ـ أنت تسألني؟ هناك مئات الأماكن السرية في هذه السفينة. ثم أن سفنك فوق الشبهات... ضعها في أحد أكياس البطاطا المخصصة لمؤونة الملاحين. في كيس أرز... والآن، إياك ومغادرة هذه الغرفة...

عند الصباح، كانت السفينة تمخر عباب البحر الأبيض المتوسط، وريزوللي ورجاله في غرفة الطعام، متسائلاً عن ديميريس «أما يريد تناول الفطور؟».

ـ إنه ما يزال في غرفته الخاصة... قال النادل، واضاف، أعطانا التوجيهات لتلبية كل طلباتكم.

ـ حسناً... هذا أفضل...

التفت ريزوللي إلى مرافقيه «أريدكما أن تتحليا بالصبر وأن تكونا بغاية التهذيب... نحن ضيوف السيد ديميريس».

ديميريس، حبس نفسه في غرفته. ومع حلول الليل، ازداد قلق ريزوللي «إنه مخادع رهيب» فقصده إلى غرفته.

ـ ما بك يا شريكي، لماذا تسجن نفسك في هذه الغرفة؟ لقد طلبت من النادل أن يأتي بطعام العشاء إلى هنا... أحببت أن نتشارك الطعام.

ـ أرجوك... دعني وحيداً.

ـ ليس قبل تناول العشاء.

عند الصباح، توجه ريزوللي إلى مركز قبطان السفينة.

ـ متى نصل إلى فلوريدا.

ـ بعد ثلاثة أسابيع تقريباً؟

ـ شكراً... أراك لاحقاً.. ولكن أين السيد ديميريس؟

ـ أعتقد أنه ما يزال في غرفته الخاصة...

ـ شكراً... ثانية الشكر لك.

ومرت الأيام... يوماً بعد يوم.. لم يبقَ إلا أسبوع واحد، ونصل إلى أميركا... «رباه... كم أنا سعيد؟».

مساء السبت كان ريزوللي يقف إلى جانب القبطان، حين أخذ البرق يتزايد.

ـ سنواجه طقساً عاصفاً. أتمنى أن تتحمله سيد ريزوللي.

ـ لا عليك... سأحاول التكيف.

وهبت الريح، وراحت السفينة تتأرجح على الموج، أحس ريزوللي بدوار في رأسه، فعاد إلى غرفته لينام وهو يحلم بكل شيء، بالمال، بامتلاك سفن ديميريس، بالمخدرات والتحف الأثرية في متحف أثينا الوطني... «سأستولي عليها واحدة بعد الأخرى... مسكين فيكتور... لا مناص له إلا تلبية طلباتي وإلا...».

العاصفة تشتد، وسرعة الريح تتزايد، والسفينة تتأرجح يمنة

ويسرى... سمع صوتاً مرعباً، نهض من فراشه وراح يركض في الممرات.

ـ ما الذي يحدث؟

ـ إنه انفجار... أجابه أحد طاقم الباخرة. السفينة تغرق... إصعد إلى المتن بأسرع ما يمكن.

ـ ماذا...؟ السفينة تغرق... من أين جاءت هذه المصيبة؟ ليس هماً... عليّ إنقاذ ديميريس... وجوده يفيدني...

صعد طوني ريزوللي إلى متن السفينة. السماء صافية، البحر هادىء الموج، لكن أصوات الإنفجارات تتوالى... البحارة، في حيرة من أمرهم، السفينة تغرق... حتى أنهم باتوا عاجزين عن استعمال قوارب النجاة.

ريزوللي، لا يدري أين يستقر... إنه خائف على ديميريس، وليس قادراً على الوصول إلى غرفته الخاصة، الدخان في كل الأروقة.. فاستدار عائداً إلى متن السفينة، حيث رأى مروحية تحوم فوقها، وتنزل سلالم من حبال «لقد نجونا» لكنه سرعان ما عاد إلى يأسه، السلالم ترفع، والمروحية تبدأ بالإرتفاع... يد ديميريس تلوح له وداعاً... ثم تعود المروحية لتحوم فوق السفينة «عاد كوستا لنجدتي» لكن كوستا لوح له مجدداً بيده التي تحمل التحفة الأثرية.

ـ وغد ابن عاهرة،... كيف تمكن من استدعاء هذه المروحية... أيعقل أن يكون قد خطط لكل هذا؟ حتى الذي أيقظه باكراً ليخبره

بخداع ديميريس لم يكن من قبل سبيروس لامبرو، بل من قبل قسطنطين ديميريس نفسه.

المروحية تحوم... والباخرة تغرق، وريزوللي يلوح بيده طالباً النجدة، حتى اختفت يده في مياه المحيط.

الفصل السابع عشر

تحولت شمس سان موريتز إلى ضباب يغشى عيني كاترين... كانت تقف أمام النافذة لتنتظر عودة كيرك، فمن ستنتظر بعد اليوم.

كان النقيب هانز بيرغمان، يحدثها... وهي لا تسمع شيئاً، وكأن ليس هناك من متكلم. مد النقيب بيرغمان يده وهز كتفها.

ـ سيدة رينولدز؟.... سيدة رينولدز...

ـ عفواً أنا لست السيدة رينولدز... أنا كاترين الكسندر... أنا مجرد صديقة.

ـ أعتذر آنسة الكسندر. كنت أرغب بحث مراسم الدفن.

ـ سأبلغ عائلته وهي ستتولى هذا الأمر، ولكن.

ـ ألديك بعض الأسئلة؟

ـ نعم... أعرف أنه متزلج محترف... فكيف حصل له ذلك؟

ـ سؤال في محله، خاصة وأننا وجدنا الجثمان على مدرج مغلق منذ أسبوع لعدم صلاحياته. إنه أمر محير.

بعد عودتها إلى لندن، امتنعت كاترين عن مقابلة أحد، حتى أنها امتنعت عن تناول الطعام. عاشت وسط دوامة تساؤلات لا عد لها ولا

حصر، إنما دونما أجوبة. لماذا يموت كل من يتقرّب مني....؟ لاري... والآن... الآن مات الإنسان الذي أعادني إلى الحياة، أعاد إليَّ الإحساس بأنوثتي... كنت أفكر بممارسة الحب معه... كنت... يا لها من كلمة لا معنى لها... ولكن.. عليّ فعل شيء... وكيف، وأنا جد محبطة... يغتالني اليأس... لم يعد لي صديق أثق به سوى ايفلين.

ـ لست أدري يا افلين لماذا أعتبر نفسي مسؤولة عما جرى.

ـ لست أنت المسؤولة...

ـ أعرف... لست مسؤولة مباشرة... ولكن أعتبر نفسي نذير شؤم... أتعتقدين أني بحاجة إلى طبيب نفسي؟

ـ أعتقد ذلك... أنا أعرف طبيباً نفسياً مشهوراً، يعالج ويم. إنه الدكتور آلان هاملتون... يمكنني ترتيب موعد معه إذا أردتِ فهل ترغبين؟

«ماذا لو قال إني مجنونة؟ ماذا لو كنت فعلاً مجنونة؟»).

ـ حسناً أتمنى ذلك.

ـ سأتدبر الأمر...

ـ إني أقدر صداقتك يا ايفلين.

في طريقها إلى مكتبها التقت ويم «ويم أتذكر كيرك رينولدز؟... لقد مات».

ـ نعم اذكره. ويستمنستر 471.

ـ ماذا؟

ـ هذا رقم هاتفه.

«كم هو ذكي هذا الإنسان؟ ولكن أيعقل ألا يشعر لا بالحب ولا بالكراهية؟...»

في غرفة الانتظار بعيادة الدكتور هاملتون، جلست كاترين تنتظر دورها. أولم يكن بامكاني حل مشاكلي بنفسي؟ لماذا أنا هنا؟... لن أسمح لهذا الإنسان الذي يعتبر نفسه إلهاً أن يطلع على أسرار حياتي.

ـ آنسة كاترين ألكسندر... تفضلي إنه دورك آنستي قالت عاملة الاستقبال.

ـ لقد... لقد غيرت رأيي... أنا لست بحاجة إلى طبيب ولن أمانع من دفع بدل المعاينة... ولكني لست بحاجة إلى طبيب.

ـ عفوك آنسة؟

ـ ولكن...

لم تنتظر عاملة الاستقبال كاترين حتى تكمل كلامها، بل تركتها ودخلت غرفة المعاينات، وما هي إلا ثوان، وعادت برفقة الطبيب «أهلاً آنسة ألكسندر... يسعدني لقاؤك».

تعجبت كاترين لقول الطبيب، ماذا؟....

ـ لم أكن أدري أني طبيب مشهور... الآن أدركت ذلك... يمكنك الدخول... تفضلي... وأشار لها بيده أن تدخل إلى غرفة المعاينة.

بعصبية أجابت «متأسفة دكتور.... لست بحاجة إلى المساعدة».

ـ يسعدني سماع هذا... وأتمنى لو يكون كل مرضاي مثلك، ولكن،

ما دمت هنا، ما رأيك آنسة ألكسندر لو تتكرمين بقبول دعوتي إلى فنجان قهوة.

ـ شكراً... لا... لا أريد.

ـ أعدك... لن نتحدث عن شيء... حتى يمكنك شرب القهوة وأنت واقفة.

ترددت كاترين... إنها الخبرة «حسناً... ولكن ليس لأكثر من خمس دقائق».

ـ هذا كرم جزيل منك أن تمنحيني خمس دقائق من وقتك... تفضلي.

دخل الدكتور هاملتون، وتبعته كاترين، أجالت النظر بالغرفة، فرأت الجدران مزينة بلوحات فنية تريح النظر. وعلى طاولة المكتب صورة لامرأة جميلة تحتضن طفلاً صغيراً «حسناً... يبدو أن لديك عائلة سعيدة».

ـ تفضلي اجلسي آنسة ألكسندر. لحظات وتكون القهوة جاهزة.

ـ لا أرغب بإضاعة وقتك سدى دكتور.

ـ على العكس، إنك تمنحينني السعادة... وأعرف أنكِ تمرين بفترة عصيبة.

ـ وماذا تعرف أيضاً؟

ـ ليس الكثير... أخبرتني ايفلين عما حصل في سان موريتز... أنا جد متأسف.

«كلهم يتأسفون...».

ـ هل... حتى لو كنت أشهر طبيب؟

ـ هل لي ماذا؟

ـ هل بإمكانك إعادة الحياة إلى كيرك؟ دعني وشأني... دعني وشأني.

لم يعلق الدكتور هاملتون، بل استمر ينظر إليها بهدوء والإبتسامة على شفتيه...

ـ إني جد آسفة دكتور هاملتون... أعتقد أنه عليّ أن أرحل.

وقفت واتجهت نحو الباب.

ـ آنسة ألكسندر... لا أدري إن كنت قادراً على مساعدتك... ولكن دعيني أحاول... وأعدك... بل أقسم أني لن أتسبب بأذيتك.

استدارت نحوه والدموع في عينيها «الحقيقة أنا مشتتة الأفكار... لست أعلم ما أريد... أنا ضائعة..».

ـ إذن دعينا نحاول معاً أن نجد أين أنتِ... تفضلي. عودي واجلسي مكانك لتتناول المزيد من القهوة.

عادت كاترين وجلست على المقعد الجلدي قرب مكتبه «هل هو فعلاً قادر على مساعدتي؟».

نهض هاملتون من خلف مكتبه وجلس على المقعد المواجه. سكب المزيد من القهوة.

ـ علمت أن صديقك توفي بحادث تزلج.

ـ نعم... إنها ذكرى مؤلمة... قيل لي إن الريح قذفته إلى مدرج مغلق.

ـ هل سبق لك وعانيتِ من فقدان إنسان مقرب اليك؟

«بماذا تجيب؟ أتقول له حقيقة لاري ونويل بايج؟».

غرقت في الصمت. «لماذا يسألني؟... لماذا يحاول التدخل في حياتي الشخصية؟».

أدرك الدكتور أن أسئلته سببت إحراجاً لكاترين. فأراد إخراجها من هذا الوضع النفسي «على فكرة.... كيف حال زميلك ويم؟».

سؤال أراح كاترين «إنه بخير... أخبرتني أيفلين أنه كان أحد مرضاك».

ـ نعم.

ـ هل لك أن تشرح لي لماذا هو هكذا؟

ـ جاءني ويم يشتكي من أنه دائماً يطرد من وظيفته... فاكتشفت أنه يكره الناس... وغير قادر على التواصل مع الآخرين.

تذكرت كاترين ما سبق وقالته أيفلين، من أنه إنسان بلا مشاعر ولا أحاسيس.

ـ لكنه إنسان حسابات لا يضاهى. قال الدكتور هاملتون وأضاف «إنه الآن في الموقع المناسب».

ـ فعلاً... لم يسبق لي وتعرفت إلى إنسان بذكائه.

ـ آنسة ألكسندر... لماذا لا تحدثينني عما يزعجك... فقد أتمكن من مساعدتك... أو على الأقل، أحاول ذلك.

ـ لا أعرف... أنا جد متشائمة.

ـ ما دمت هكذا، لماذا... أو ما رأيك لو التقينا مرة ثانية وإن أزعجتك يمكنك عدم المجيء؟

ـ أبداً... إنك لا تزعجني.

ـ حسناً... ما رأيك يوم الإثنين... الساعة الواحدة يوم الإثنين...

ـ لا بأس... الساعة الواحدة ظهر الإثنين.

كان ديميريس ما يزال في سريره حين رن جرس الهاتف.

ـ ماذا؟... ماذا تقول؟ غرقت السفينة «تيلي»؟

ـ نعم سيد ديميريس. ووجد حراس الشواطيء بعضاً من حطامها.

ـ وهل من ناجين؟

ـ للأسف... لم ينج أحد من الطاقم.

ـ كيف حصل ذلك؟

ـ أخشى ألا نتمكن من معرفة السبب...

ـ إنه البحر... يخفي كل شيء...

ـ هل نطالب شركات التأمين بالتعويض سيد ديميريس؟

ـ علينا الآن التفكير بالضحايا وعائلاتهم... ولكن... لا بأس إفعل ذلك.

أعاد قسطنطين ديميريس السماعة إلى مكانها وهو يردد «الآن... جاء دورك يا سبيروس لامبرو».

الفصل الثامن عشر

كان سبيروس لامبرو، قلقاً حائراً... لم يسمع خبر اعتقال صهره بعد... «عجباً ما الذي حدث؟».. لقد أرسل إخباراً للجمارك الأميركية أن السفينة «تيلي» تنقل شحنة من الهيروين.

رن جرس الهاتف الداخلي.

ـ السيد ديميريس على الخط الثاني...

ـ السيد ديميريس أو أن أحداً باسمه؟ تساءل سبيروس.

ـ لا إنه شخصياً... أجابت السكرتيرة.

أمر مستحيل... أيعقل هذا؟

ـ كوستا... أين أنت؟

ـ في أثينا..

ـ أوه....

ـ ما رأيك لو نتناول الغداء اليوم...؟

ـ لماذا لا...؟ وافق لامبرو رغم ارتباطه بموعد آخر.

ـ حسناً، نلتقي عند الثانية في النادي.

تعمد ديميريس التأخر في الوصول إلى النادي... إنه يريد إرهاق أعصاب ابن عمه.

ـ عفواً سبيروس... لقد تأخرت نصف ساعة...

ـ لا عليك يا كوستا.

ـ فعلاً أنا جد جائع... وأنت؟ ما رأيك ببعض المحار كبداية؟

كان كوستا يتكلم وسبيروس ينظر إليه بعين المتفحص المدقق في تعابير وجهه، الملاحظ لأدق الحركات من يديه... كان يدرك، أن هذه الدعوة، تخفي وراءها ما تخفي، حتى أنه فقد شهيته لتناول أي طعام.

ـ كما تريد.

ـ دعوتك لأشكرك يا سبيروس.

ـ تشكرني؟ لماذا؟

ـ لماذا؟... أرسلت لي زبوناً... طوني ريزوللي.

تيبست شفتا سبيروس «وهل التقيته؟».

ـ نعم... وأكد أن التعاون بيننا سيكون مستمراً ولمدة طويلة... تنهد ديميريس قبل أن يتابع «ولكن أخشى ألا يكون السيد ريزوللي قادراً على ذلك. بعد اليوم... أخشى ذلك».

ـ ماذا تقصد بقولك، بعد اليوم.

ـ تعرض لحادث يا سيد سبيروس لامبرو... نعم وهذا جزاء كل من يحاول ابتزازي.

ـ لا أدري... الحقيقة، لا أفهم ما تقول...

ـ أنت؟... أنت يا ابن عمي... حاولت تدميري... لكنك فشلت... ولكن...

حدّق سبيروس بعيني صهره محاولاً استشراف ما بعد «ولكن» هذه، وفي الوقت ذاته حاول جاهداً الاستمرار في السيطرة على أعصابه.

ـ ولكن... كنت أتمنى لو نجحت يا سبيروس.

ـ لا أعرف عما تتكلم.

ـ فعلاً يا سبيروس؟... سأقضي على ميلينا أولاً... ابتسم ديميريس ابتسامته الخبيثة «ما بك؟ أولست جائعاً؟ الطعام هنا شهي. نعم هذا ما سأفعله».

كان ديميريس، يعي كل الوعي، مدى تعلق سبيروس بشقيقته ميلينا، إنه يحبها حتى حدود العبادة، ومستعد للتخلي عن كل ثروته إكراماً لها.

وقف ديميريس، وهو يحدق بسبيروس... أفهمت الآن يا ابن عمي العزيز؟ واستدار ومضى خارجاً، تاركاً السيد لامبرو في حيرة من أمره، قلقاً خائفاً على شقيقته.

الأولية الآن هي القضاء على كاترين... هذا ما يشغل بال كوستا... لا بد من تغيير المخططات... يجب عدم التفكير بممارسة الحب معها ولا بفيللا رافينا... إنها الوحيدة التي تذكره بخيانة نويل بايج. قُضي على الجميع... وحدها كاترين ما تزال حية.

أمسك سماعة الهاتف، أدار القرص.

ـ ظهر الإثنين سأكون في كولون...

أعاد السماعة إلى مكانها دون انتظار أي جواب.

معاً جلس الرجلان في منزل ديميريس في مدينة كولون المسورة.

ـ أريد كل شيء وكأنه قضاء وقدر. فهل تستطيع؟

تجاهل الرجل إهانة ديميريس. «من يحسب نفسه هذا المغرور؟ أيعتقد أني مجرم هاوٍ التقى به على قارعة الطريق؟» كان بوده لو يجيب «نعم سيكون لك ما تريد، ولكن... أتريد الحادث داخل المنزل؟ كالسقوط على الأدراج مثلاً؟ أم وكأن الضحية تناولت جرعة زائدة من الهيروين؟ أم تريد أن يكون خارج المنزل: حادث سير أو الإختفاء في البحر مثلاً؟»، كان قد سمع الكثير عن الذي يجالسه ويعرف أن لا مجال لتحديه، فاكتفى بالقول «نعم سيكون لك ما تريد... ولن يعرف أحد كيف حصل الحادث» وتنبه الرجل فقال لنفسه «كيف لا أحد إطلاقاً؟ فأنا سأعرف... ترى هل يأتي دوري لإخفاء معالم الجريمة؟».

كان ديميريس يحدق بعيني محدثه، والإبتسامة على شفتيه، كأنه يطلب إليه شراء كيس بطاطا.

ـ حسناً سأترك الأمر لك... تصرف كما تشاء.

ـ وأين هي الضحية المرتقبة، هنا في كولون؟

ـ إنها في لندن... اسمها كاترين ألكسندر... تعمل في شركتي بلندن...

ـ حسناً، ولكن كيف سأتعرف عليها؟

ـ غداً سأرسل بعض المندوبين إلى هناك، وستكون بينهم ولكن... يبقى أمر مهم.

ـ وما هو سيدي؟

ـ لا أريد أن يتمكن أحد من التعرف على هويتها...

الفصل التاسع عشر

ـ صباح الخير يا كاترين... كيف أنتِ اليوم؟

ـ أسعدت صباحاً سيد ديميريس... أنا بخير.

ـ شكراً لله... سأرسل مندوبين لدراسة الوضع في لندن، أتمنى عليك الاهتمام بهم.

ـ يسعدني ذلك. ومتى يصلون؟

ـ غداً صباحاً.

ـ سأفعل كل ما بوسعي.

ـ إني أعتمد عليك كاترين... فعلاً أنا عاجز عن شكرك.

ـ هذا واجبي سيد ديميريس.

ـ إعتنِ بنفسك كاترين.

جلس ديميريس خلف مكتبه.. قريباً يقضى عليها... والآن جاء دورك يا ميلينا... يا زوجتي الغالية يا شقيقة سبيروس لامبرو.

على مائدة العشاء كان هناك ثلاثة رجال، انهال ديميريس عليها مديحاً، وأشبعهم مجاملات كاذبة، أخبرهم قصصاً وقصصاً. لم يسمح

لميلينا أن تتفوه ولو بكلمة واحدة. تعمد مقاطعتها، فارتأت أن تلتزم الصمت، وهي تتساءل «إذن لماذا أنا موجودة هنا؟ لتلقي الإهانة، ولماذا أرادني مشاركتهم المائدة؟» تساءلت ميلينا.

ـ غداً تغادرون إلى لندن... توجه ديميريس بالقول إلى ضيوفه الثلاثة وهم يغادرون وتابع «إني لعلى ثقة أنكم ستكونون هناك، أكثر إفادة».

الثلاثة، هم الأميركي جيري هالي، الفرنسي إيف رينارد والإيطالي ديفيد ماتوسي، الذي بادر كاترين بالقول «يبدو أن السيد ديميريس معجب جداً بأدائك».

ـ لا شك أنه يغالي.

ـ قال إنك وحدك ستهتمين بنا هنا في لندن، ومعكِ وحدك سنتعامل. ومن ثم قدم لها هدية فاخرة، هي عبارة عن شال حريري.

ـ شكراً جزيلاً سيد ماتوسي... هذه بادرة طيبة منك... والآن، دعونا نرى مكاتبكم... لقد أعددت كل شيء، وأتمنى أن تنال إعجابكم.

خلف الرجال الثلاثة، كان فتى، يبدو، وكأنه في الخامسة عشر من العمر، يحمل الحقائب الثلاثة العائدة إلى المندوبين فوقعت إحداها.

ـ بحق الله، إنتبه أيها الفتى، صاح المندوب الفرنسي إيف رينارد.

ـ آسف سيدي أجاب الفتى... أين تريدون أن أضع هذه الحقائب.

ـ في أي مكان.. مؤقتاً... في أي مكان.

نظرت كاترين إلى الفتى بإشفاق... وتساءلت من يكون هذا؟

إنه يعمل في مكتب أثينا كخادم... ونحن هنا بحاجة لخادم فأرسله إلينا. قالت إيفلين.

ـ ما اسمك أيها الفتى؟

ـ أناناس ستافيتش سيدتي.

ـ إذن أناناس، ضع الحقائب في الغرفة المجاورة. قالت كاترين، والتفتت إلى المندوبين الثلاثة «حسناً يا سادة، أوضح لي السيد ديميريس، طبيعة عملكم هنا... إني على استعداد للتعاون الكلي معكم... والآن تفضلوا لأقدمكم إلى ويم وبقية الموظفين».

ـ ويم... قالت كاترين «إنهم مندوبون من قبل السيد ديميريس، ومطلوب منا أن نقدم لهم كل التسهيلات. إنهم السيد إيف رينارد، ديفيد ماتوسي وجيري هالي... إنهم واصلون للتو من اليونان.

نظر ويم إليهم واحداً بعد الآخر. حكّ جبينه. «آه اليونان... عدد سكانها سبعة ملايين وثلاثون ألفاً وستماية نسمة. وفقاً لآخر الإحصائيات».

حدق الثلاثة بعضهم البعض وهم يبتسمون إعجاباً، ومضوا برفقة كاترين لرؤية مكاتبهم.

ـ لقد تدبرت أمر مكاتبكم. أخبرني السيد ديميريس أنكم ترغبون بالإقامة، كل في فندق...

كانت تتمنى لو بمقدورها أن تسألهم «ولماذا لا يقيمون في فندق واحد؟ لكنها لم تفعل، فهذا عمل ليس من اختصاصها».

أناناس كان يراقب كل شيء «فعلاً إنها امرأة جميلة، لكنها تبدو حزينة... سأعلمها كيف تتخلص من هذا الحزن... وحين أنتهي من عملي، تكون هي قد عادت إلى خالقها حيث لا أوجاع ولا أحزان.

في طريق العودة إلى مكتبها، سمعت إيف رينارد يزعق بوجه أناناس، فتعجبت «مسكين هذا الولد... لماذا يعنفه هذا الفظ؟».

ـ أناناس... أرجوك اتبعني إلى مكتبي. قالت كاترين.

ـ أمرك سيدتي.

ـ تفضل إجلس... لماذا أنت خائف هكذا؟

ـ عفواً سيدتي... لست خائفاً.

بعين المشفق نظرت إليه «لا شك أن ظروفاً مؤلمة جعلته يترك المدرسة ليعمل خادماً.. سأهتم به».

ـ إسمعني أناناس. باب مكتبي مفتوح لك ساعة تشاء. لن أسمح لأحد أن يزعجك أو يؤذيك... أفهمت؟

ـ نعم سيدتي.

ـ حسناً... نتكلم لاحقاً.

لاحظت كاترين أن السيد ماتوسي، ليس مهتماً بأمور الشركة بقدر ما هو مهتم بها. لم يسألها عن الشركة بل عنها شخصياً.

ـ أمتزوجة سيدتي؟

ـ لا...

ـ لكن... كنت متزوجة.

ـ نعم.

ـ مطلقة؟

تعجبت كاترين لأسئلته لكنها لم تشأ أن تصده بوقاحة.

ـ أنا أرملة سيد ماتوسي.

ـ أراهن أن لديك صديقاً؟ أفهمت ما أقصد؟

ـ نعم فهمت ما تقصد «ولكن هل هو العمل الذي جئت من أجله؟». قالت لنفسها. وأنت سيد ماتوسي... أعزب أم متزوج؟

ـ متزوج وعندي أربعة أطفال، أشتاق إليهم كثيراً...

ـ وهل تكثر من السفر سيد ماتوسي؟

ـ أكثر مما تتصورين. ولكن ـ وأخفض صوته ـ يكون السفر أحياناً سبباً للتلذذ بالحياة. لا شك عرفت ما أقصد؟

ـ لا... سيد ماتوسي...لم، ولن أحاول فهم ما تقصد.

عند الثانية عشر والربع، تركت كاترين مكتبها متوجهة إلى عيادة الدكتور آلان هاملتون.

ـ أهلاً بك... كيف أمضيت الأسبوع الفائت؟. قال الدكتور هاملتون وهو يقدم القهوة لها.

ـ عمل بعمل يا دكتور.

ـ ومنذ متى تعملين لدى السيد ديميريس؟

ـ منذ أربعة أشهر.

ـ وهل تحبين عملكِ؟

ـ يلهيني عن مآسي وأحزاني. أنا فعلاً مدينة له ولكن... أعتقد... لا...

ـ أرجوك، أخبريني ما ترغبين به فقط. أنا لن أطرح عليك أي سؤال.

ـ زوجي كان طياراً لدى السيد ديميريس... وأنا فقدت ذاكرتي بعد تعرضي لحادث في أحد القوارب، وحين استعدتها، تكرم السيد ديميريس ووظفني هنا.

«لن أخبره أني أعيش الخوف والرعب. وأن زوجي حاول قتلي... فقد يعتبرني إنسانة ساقطة».

ـ صدّقيني، ليس من السهل على أي منا، أن يتكلم عن ماضيه. قلت أنه سبق وفقدت ذاكرتكِ... أليس كذلك.

ـ نعم.

ـ بحادث زورق؟

ـ نعم... لم ترغب كاترين بقول المزيد... ما تزال تخشى أن تبوح بمكنونات صدرها.

ـ وهل أنتِ مطلقة آنسة كاترين؟

ـ لا... زوجي متوفٍ.

ـ أتسمحين بمناداتك باسمك فقط.

ـ نعم.

ـ الآن يا كاترين... مما أنت خائفة؟

ـ وما الذي جعلك تعتقد ذلك؟

ـ أولست خائفة؟

ـ لا... وطال الصمت «الناس من حولي... لست أدري لماذا يموتون؟».

ـ وتعتبرين نفسك مسؤولة عن موتهم...

ـ نعم... لا... لا أعرف... الحقيقة.. لا أدري.

ـ نحن دائماً هكذا يا كاترين، نحمّل أنفسنا مسؤولية ما يحصل للآخرين... إذا حصل طلاق بين زوجين، يعتبر الأولاد أنفسهم مسؤولين عن هذا الطلاق، وإذا حصل نوع من الجدال بين اثنين، وتوفي أحدهم. فالآخر يعتبر نفسه مسؤولاً عن وفاته.

ـ الأمر... أبعد من هذا بكثير.

ـ فعلاً؟

ـ نعم زوجي أعدم مع عشيقته. وتوفي المحاميان اللذان دافعا عنهما بحادثين غامضين... والآن... كيرك رينولدز....

ـ وهل أنتِ مسؤولة عما حدث لهم؟

ـ يبدو لي أني سيئة الحظ... بتُّ أخشى مصادقة رجل مخافة...

ـ كاترين... أنت مسؤولة عن حياتك فقط، وليس عن حياة

أي من هـؤلاء... أنتِ إنسـانة بريـئة مـن دمهـم... عليك فهـم هـذا.

نظرت كاترين إلى صورة العائلة الموضوعة على المكتب، تمنت لو التقته منذ زمن، إنه إنسان وسيم وخلوق.

ـ حسناً دكتور هاملتون... عليّ أن أعود إلى مكتبي الآن، وسأسعى جاهدة إلى العمل بنصيحتك.

ـ ولماذا تسعين وحدك؟... ألن تعودي؟

غرقت كاترين في صمت التردد، إنها حائرة... ترغب بالعودة إليه، و في الوقت ذاته هي خائفة. لكنها وبعد تردد أجابت «نعم سأعود».

خرجت كاترين وبقي الدكتور هاملتون وحيداً في مكتبه غارقاً في تفكيره... إنها جميلة جداً... تختلف عن غيرها من النساء اللواتي قصدن هذه العيادة. كلهن رغبن بإقامة علاقة جنسية معي... وكأنهن لا يعلمن أن هكذا علاقات هي من المحرمات بالنسبة إليّ...

آلان هاملتون، ابن عائلة، معظم أفرادها أطباء. أبوه، جده، خاله، عمه، حتى والدته كانت ممرضة. وفي الأساس هو طبيب جراح، ولكن، أثناء غارات الألمان على لندن أيام الحرب العالمية الثانية، أصيب بيده، فلم يعد قادراً على إجراء العمليات الجراحية، واستمر فترة، بلا عمل، إلى أن جاءه صديق وقال له «آلان... كنت تعالج آلام الجسد عند مرضاك فلماذا لا تحاول معالجة عقولهم ونفسياتهم».

ـ ماذا؟

ـ أنت إنسان ذكي وتحب عملك كطبيب... فلماذا لا تتخصص في الطب النفسي؟

وكان ذاك القرار، أروع قرار اتخذه في حياته، وعلى مدى السنوات الخمس الماضية التي أمضاها كطبيب نفساني، اكتشف أن آلام النفس، أشد وجعاً من آلام الجسد. تعامل بحب مع مرضاه، فذاع صيته. في الأساس، لم يكن راغباً في استقبال كاترين، لا لسبب، إلا لانشغاله بمرضاه الحاليين، فلا وقت لديه، لمعاينة مرضى جدد. قبل إكراماً لايفلين، وكان ينوي إحالتها لطبيب آخر، أما الآن، فلن يتخلى عن معالجتها... هناك شيء يشده إليها «على مساعدتها».

عادت كاترين إلى مكتبها وأخبرت ويم أنها كانت في عيادة الدكتور هاملتون، فأخذ ويم يتحدث عن أهمية الطب النفسي، وعن تأثيره في خفض نسبة الطلاق والانتحار ومحاولات الانتحار.

مسكين هذا الإنسان... لا يتعاطى إلا مع الأرقام والمعلومات... إنه بحاجة إلى صديق بشري، لصديقة تخرجه من ذاكرة الآلة الحاسبة، وتضعه إنساناً بشرياً في المجتمع.

الفصل العشرون

أثينا

حاولت تدميري وفشلت، كنت أتمنى لو نجحت في مسعاك، فاعلم أني سأنتقم؛ وأول شيء سأفعله هو القضاء على شقيقتك.

إنها كلمات ديميريس لسبيروس لامبرو الذي ما يزال قلقاً على طوني ريزوللي. لقد خطط لكل شيء... فما الذي جرى؟ أين هو طوني ريزوللي؟ كل ما عليه الآن هو إنقاذ حياة شقيقته.

رفع سماعة الهاتف الداخلي وطلب من سكرتيرته إلغاء جميع مواعيده، وخرج مسرعاً ليجد ميلينا بانتظاره في حديقة القصر.

ـ أخفتني يا سبيروس، ما الأمر؟

ـ عليّ أن أكون صريحاً وصادقاً معك يا ميلينا.

ـ ما الأمر...

ـ إنه مؤلم... مؤلم..

ـ إنك تخيفني...

ـ نعم... حياتك في خطر...

ـ ماذا؟... ومن يهدد حياتي؟

ـ زوجك... نعم يا أغلى الناس... سيحاول قتلك.

ـ لا شك أنك تهذي... أو تمزح.

ـ لا أهذي يا شقيقتي ولا أمزح... كنت أتمنى ذلك.

ـ إسمع سبيروس، أعرف أن كوستا، إنسان سافل وحقير، أعرف أنه زير نساء، إنما... قاتل؟ لا... لا أعتقد.

ـ مخطئة أنتِ... لقد سبق له وقتل.

شحب وجه ميلينا «سبق له وارتكب جرائم قتل؟».

ـ ليس هو شخصياً. بل يكلف آخرين للقيام بهذه المهمة.

ـ لا أعتقد ذلك.

ـ أتذكرين كاترين دوغلاس.

ـ الإمرأة التي قتلها زوجها؟

ـ إنها ما تزال حية ترزق.

بدا واضحاً أن ميلينا غير قادرة على استيعاب ما تسمع... «كيف... لقد أعدم زوجها وعشيقته بتهمة قتلها؟».

أمسك سبيروس يد شقيقته. «لا لاري دوغلاس قتل كاترين ولا نويل بايج... حتى المحاكمة كانت من تدبير كوستا».

أحست ميلينا أن الدم تجمد في عروقها وفجأة تذكرت،

المرأة التي كانت مقيمة في الجناح الخارجي من القصر...

ـ نعم... سبيروس... نعم رأيتها هنا... ليس من فترة بعيدة، منذ أربعة أشهر على ما أعتقد... نعم... إنها هي.. ولكن لماذا كذب علي؟

ـ ميلينا، عليك مغادرة القصر فوراً.

ـ لكنه منزلي يا سبيروس.

ـ ميلينا، أنت كل وجودي...

ـ لا عليك... أعرف أن كوستا مجنون، لكن ليس لهذه الدرجة... إنه لا يقوى على قتلي.

ـ إنه زوجك ولا تعرفينه... أنا خائف عليك.

ـ سأعرف كيف أتدبر الأمور.

ـ حسناً، ولكن عديني ألا تكوني وحيدة معه... أرجوك...

ضمها إلى صدره... بكى... وبكى.. ثم مضى.

ساعات قليلة، وجاء ديميريس إلى المنزل؛ وتوجه فوراً نحو غرفة النوم.

ـ أرغب بالتحدث إليك يا كوستا. قالت ميلينا.

ـ حسناً، ولكن ليس لأكثر من دقائق معدودة. لدي موعد مهم.

ـ موعد؟... وهل تخطط لقتل أحد؟

ـ عما تتكلمين.

ـ إسمع كوستا... زارني سبيروس وأخبرني كل شيء.

ـ تأكدي سأسعى جاهداً لإبعاد أخيك هذا عن القصر.

ـ لكنه بيتي أيضاً...

ـ نعم.. وماذا قال؟

ـ أشياء كثيرة.

ـ مثل ماذا؟

ـ حدثني عنك، وعن كاترين دوغلاس، ونويل بايج.

ـ لكن هذه حكاية قديمة.

ـ فعلاً...؟ لكنك أرسلت اثنين إلى الموت بسبب جريمة لم ترتكب.

ـ إنه مجنون... ما هذا الهراء.

ـ لكني رأيتها هنا... هنا.

ـ لن يصدقك أحد... ولن تريها ثانية... لقد أرسلت من يقضي عليها.

تذكرت ميلينا الرجال الثلاثة. تقدم ديميريس من زوجته وأمسك بذراعها وراح يشد عليها.

ـ إنك تؤلمني...

ـ لم تعرفي معنى الألم بعد يا زوجتي العزيزة... أولاً سأمنحك الطلاق.. إني أريد امرأة حقيقية... ولكن... هناك أشياء كثيرة ستحدث قبل ذلك.. والآن أعتذر.. عليَّ تغيير ملابسي، ومن غير اللائق أن أترك امرأة من آل لامبرو تنتظر كل هذا الوقت.

خرجت ميلينا، وهي متأكدة من صدق كلام شقيقها... فعلاً.. كوستا ليس حقيراً وحسب، بل ومجرماً.. ولكن... ماذا عساي أن أفعل؟... وما معنى حياتي؟... لقد جعلني أضحوكة الجميع. الأهم، ألا يقدم على إيذاء أخي... ولهذا السبب سأبقى هنا.

الفصل الحادي والعشرون

لم يترك الزوار الآتون من أثينا، وقتاً لكاترين للاهتمام بأمورها الشخصية. كان عليها مرافقتهم، حتى خارج أوقات الدوام، إما إلى المسرح مع السيد جيري هالي، أو إلى المتاحف مع السيد إيف رينارد، أو تضطر إلى تناول العشاء مع رينو ماتوسي، هذا إضافة، إلى ترتيب لقاءاتهم مع مندوبي الشركات الأخرى ومع موظفي شركة قسطنطين ديميريس. كانت دائمة التساؤل «لماذا أتى هؤلاء إلى هنا؟ للسياحة أم للعمل؟».

كثيراً ما كان السيد جيري هالي يلتقي بويم فانديم ويتساءل «كيف بمقدوره أن يقوم بكل هذه العمليات الحسابية، بدون آلة حاسبة؟».

ـ فعلاً... أجابت كاترين.

ـ صدقيني... أمضيت عمري متنقلاً من منصب لآخر. وتعرفت على موظفين أكفاء، إنما لعمري، ما رأيت مثل ويم.

كاترين، كانت تولي أناناس اهتماماً خاصاً. إنها تشفق عليه، فهو أول الحاضرين إلى العمل، وآخر المغادرين.

ـ أعتقد أنه يبني نفسه... أليس كذلك؟

ضحكت إيفلين ملء شدقيها «إنه مغرم بك يا كاترين».

- عما تتكلمين؟

- إنه يتبعك كظلك.

ومن باب التحدي رغبت كاترين، دعوة أناناس لتناول الغداء في أحد مطاعم لندن الفاخرة.

- ماذا تقولين سيدتي... في مطعم؟

- نعم في مطعم... أجابت كاترين.

احمرت وجنتاه «ولكن... ماذا سيقول الناس عنك إذا شاهدوك معي؟».

- هذا لا يهمني أبداً... سنتناول الغداء معاً... أليس كذلك؟

- كما تريدين.

في أحد مطاعم لندن الفاخرة، جلس أناناس، ينظر باندهاش.

- إنه مكان جميل... جميل جداً... لم يسبق لي أن رأيت مثله.

- والآن ماذا تريد أن تأكل... هذه لائحة الطعام... فاطلب ما شئت.

نظر أناناس إلى اللائحة «لكن الأسعار جد مرتفعة».

- لا عليك أنت... كما تعلم... أنا وأنت نعمل لدى واحد من أثرى أثرياء العالم، ولا أعتقد أنه سيهتم بهكذا مبلغ.

لم ترغب كاترين إبلاغ أناناس أنها هي من سيدفع فاتورة المطعم. فعلت ذلك، حتى تدخل الإستراحة إلى قلبه.

طلب أناناس، القريدس، السلطة، الدجاج المحمر، بطاطا مقلية،

وبعد الإنتهاء منها عاد وطلب بعض الحلوى. تعجبت كاترين.

- أين وضعت كل هذه؟... إنك نحيف جداً.

- صدقيني إن وزني لن يتأثر.

- هل أحببت لندن يا أناناس؟ حتى في أثينا كنت تعمل خادماً.

- نعم للسيد ديميريس.

- وهل تحب عملك؟

- المعذرة... لا أعتقد أن السيد ديميريس رجل صالح... أنا لا أحبه... إنه... إنه...

توقف أناناس عند الكلام، وراح يحدق بوجه كاترين لاكتشاف ردة فعلها على ما قال. لكن كاترين، تجاهلت ما سمعت وغيرت مجرى الحديث.

- ما الذي جعلك تأتي إلى لندن؟

تمتم أناناس كلاماً مبهماً.

- عفوك أناناس لم أسمع ما قلت.

- أرغب في أن أكون طبيباً.

باندهاش وإعجاب تساءلت كاترين «طبيب؟».

- نعم سيدتي... وهل تعتقدين أني مجنون؟

- أبداً... هذا أمر رائع... إذن أتيت لتدرس الطب.

- نعم... أعمل نهاراً... وأدرس ليلاً... سأصبح طبيباً.

لاحظت كاترين تصميماً في نبرة صوته، وتأكدت من قوة إرادته «حسناً... أنا متأكدة من أنك ستصبح طبيباً. بالمناسبة، لي صديق أتمنى لو بمقدوره مساعدتك. عليك أن تعلم، أننا سنتناول الغداء معاً مرة ثانية... في الأسبوع المقبل».

عند منتصف الليل حصل انفجار ضخم في فيلا سبيروس لامبرو، أدى إلى مقتل إثنين من الخدم، وتدمير قسم كبير من المبنى، وبالأخص غرفة نوم سبيروس لامبرو، الذي نجا مع زوجته من الموت بأعجوبة.

كان من المفترض أن يكونا نائمين في سريرهما، ولكن، عند الحادية عشر والنصف، قررا الذهاب إلى حفل عشاء برعاية رئيس بلدية أثينا، وهكذا كتبت النجاة لهما.

صباح اليوم التالي، تسلم سبيروس رسالة تقول «الموت للرأسماليين. التوقيع الحزب الثوري الهليني.

ـ ولماذا فعلوا هذا؟ تساءلت ميلينا.

ـ إنه كوستا يا شقيقتي... ولا أحد غيره.

ـ وهل لديك إثباتات.

ـ لا... لكنه الإحساس.

ـ إذهب إلى البوليس.

ـ وأين هي الإثباتات؟ لا شك سيهزأون مني.

أمسك سبيروس يد ميلينا «أريدك أن تهربي إلى بعيد.... أرجوك... فلنَ يكُفَّ عن محاولات قتلنا».

صمتت ميلينا.

ـ حسناً، سأفعل ما يجب فعله يا سبيروس.

شدها إلى صدرها «ما عليك الآن، إلا الإبتعاد عن هنا، ميلينا».

أمضت ميلينا طوال فترة بعد الظهر في غرفة نومها حزينة كئيبة. تفكر بالذي جرى، وبزوجها وإجرامه. فعلاً إنه يريد القضاء عليّ وعلى سبيروس وعلى كاترين دوغلاس... سأحذرها من ذلك... لا شك سأجد سبيلاً لتحذيرها. ولكن عليّ فعل ما هو أهم... تدمير كوستا.. على منعه من الاستمرار بارتكاب الجرائم.

أفكار كثيرة راودت عقلها، وكذلك التساؤلات وأخيراً وجدت الحل «إنها الطريقة الوحيدة... فلماذا لم تخطر على بالي من قبل؟».

الفصل الثاني والعشرون

نسخة عن جلسة في عيادة الدكتور هاملتون.

كاترين: متأسفة لتأخري... بسبب موعد عمل.

هاملتون: بسبب المندوبين الآتين من أثينا.. أما يزالون هنا؟

كاترين: نعم.... سيرحلون نهاية الأسبوع القادم.

هاملتون: تبدين مرتاحة لرحيلهم، فهل يسببون لكِ المتاعب؟

كاترين: ليس المتاعب.. لكنهم لا يتركون لي وقتاً للاستراحة. لست أدري... لدي إحساس غريب.

هاملتون: غريب؟

كاترين: إحساس لا أستطيع تفسيره... قد يبدو تافهاً... ولكن.

هاملتون: هل حاولوا فعل شيء؟

كاترين: لا... إنهم يأخذون كل وقتي... الليلة الماضية عاودني الكابوس.

هاملتون: الحلم ذاته... هناك من يحاول رميك من أعلى.

كاترين: نعم... لكنه مختلف نوعاً ما.

هاملتون: كيف؟

كاترين: تغيرت النهاية.

هاملتون: كان، فيما مضى، ينتهي عند محاولة رميك من أعلى.

كاترين: نعم... إنما أمس، وبعد رؤية من يحاول رمي من الأعلى، وجدت نفسي في مكان آمن.

هاملتون: في الدير؟

كاترين: لست متأكدة... قد يكون الدير... ولكن وجدت نفسي في حديقة، وإذ برجل يقترب مني... رجل ذو وجه مألوف.

هاملتون: وهل تعرفتِ إليه.

كاترين: نعم... إنه قسطنطين ديميريس.

هاملتون: هذا في الحلم.

كاترين: الآن... لم يكن حلماً... إنها ذكرى حقيقية. فجأة، تذكرت ديميريس وقد أعطاني دبوساً ذهبياً ما يزال معي.

هاملتون: أتعتقدين أنك تتذكرين ما حدث فعلاً. أمتأكدة أنتِ؟

كاترين: نعم... إنه قسطنطين ديميريس... إنه هو من أعطاني الدبوس الذهبي وفي الدير تحديداً.

هاملتون: سبق وقلتِ إن بعض الراهبات أنقذن حياتكِ حين كان القارب يغرق في البحيرة وأخذنكِ إلى الدير؟

كاترين: نعم.

هاملتون: كاترين، هل غير الراهبات كان يعرف بوجودكِ في الدير؟

كاترين: لا... لا أعتقد ذلك.

هاملتون: إذن من أخبر قسطنطين ديميريس؟

كاترين: لست أدري... لكن هذا ما حصل فعلاً... وهذا ما كنت أراه في أحلامي... أتعتقد أن هذه الأحلام تدل على أمور حقيقية؟

هاملتون: كثيراً ما تكون الأحلام معبرة عن الحقيقة.

كاترين: الحقيقة، إني لا أشكو إلا من هذه الأحلام. لكن هناك أمراً آخر.

هاملتون: ما هو؟

كاترين: في الشركة فتى يعمل كخادم اسمه أتاناس ستافيتش يرغب أن يصبح طبيباً...

هاملتون: لا مانع عندي من مساعدته... ولكن... لماذا أنتِ خائفة؟

كاترين: تذكرت شيئاً... إنه نوع من الجنون...

هاملتون: ما هو؟

كاترين: بعد أن أعطاني السيد ديميريس ذاك الدبوس الذهبي سمعت صوتاً يقول «سيقتلك يوماً ما».

«أريد كل شيء وكأنه قضاء وقدر... ولا أريد أن يتمكن أحد من التعرف إلى هويتها».

إنه فعلاً يخطط لكل شيء... يريد لجسدها أن يتناثر أشلاء متباعدة... وهكذا لن يكون بمقدور أحد أن يتعرف عليها.

الفصل الثالث والعشرون

عند السابعة مساءً، وصل ديميريس إلى منزله على شاطىء البحر، ليفاجأ بعدد كبير من رجال الشرطة.

ـ لماذا أنتم هنا؟ تساءل قسطنطين ديميريس.

ـ أنا الملازم تيوفيليس.

لم يكترث ديميريس لرجال الشرطة، فتابع طريقه نحو غرفة الجلوس، ليجد، وكأن إعصاراً مرّ من هنا. لا شيء في مكانه.

ـ أين زوجتي، كان من المفترض أن نلتقي هنا.

حدق به الملازم تيوفيليس: «لكنها ليست هنا... يبدو كأن المنزل تعرّض لعملية سرقة».

ـ إذاً كان هذا ما يبدو؟ فأين ميلينا إذن؟ ومن استدعاكم إلى هنا؟ هل كانت هنا؟

ـ نعتقد أنها كانت هنا.

أمسك الملازم ساعة يد نسائية متوقفة عند الساعة الثالثة «هل هذه ساعة زوجتك؟».

ـ نعم إنها لها ومحفور عليها «إلى ميلينا مع حبي».

أشار الملازم إلى بقع دماء على السجادة، ثم أمسك، بحذر، سكيناً ملطخة بالدماء.

ـ هل سبق ورأيت هذه السكين سيد ديميريس؟

ـ لا... هل هذا يعني أنها ماتت؟

ـ قد يكون ذلك... وجدنا آثاراً للدماء على رمال الشاطيء.

ـ يا إلهي؟ صاح ديميريس.

ـ من حسن الحظ أن هناك بصمات واضحة على مقبض السكين.

ـ وهذا يساعد على إلقاء القبض على القاتل.

ـ نعم، إذا كانت لدينا بصمات مطابقة لهذه الموجودة على المقبض... أيزعجك سيد ديميريس أن نأخذ بصماتك؟

ـ أبداً لا يزعجني ذلك.

أمسك الملازم تيوفيليس بطاقة تعريف «هل تعرف شيئاً عن هذه. سيد ديميريس؟».

نظر كوستا إلى البطاقة «وكالة كاتيليتوس للتحريات الخاصة» لا...

حسناً سيد ديميريس، سنفعل ما بوسعنا. فلا تقلق.

ميلينا، الفتاة الرائعة الجمال، ميلينا الجذابة، ذنبها أنها أجهضت طفلها... ولا عذر لها بما فعلت... لن أسامحها... يجب أن تنال عقابها... الموت.

ظهر اليوم التالي، اضطر السيد ديميريس لقطع اجتماع عمل والذهاب

إلى مركز الشرطة بناءً لطلب الملازم تيوفيليس، حيث وجد عدداً كبيراً من رجال الشرطة ينتشرون في كل مكان.

ـ إنه المفوض ديلما... قال أحدهم.

ـ هل توصلتم إلى معرفة شيء عن زوجتي؟

ـ سأكون صريحاً معك سيد ديميريس، هناك بعض الغموض، ونتمنى عليك التعاون معنا.

ـ لست أدري إن كنت قادراً على فعل شيء.

ـ كنت على موعد مع زوجتك في منزل الشاطيء، وعند الثالثة بعد ظهر أمس تحديداً.

ـ ماذا؟ أبداً... لقد اتصلت هي بي وطلبت مني أن نلتقي هناك عند السابعة مساءً.

ـ هذا ما يثير قلقي... قالت الخادمة التي تعمل في منزلكم أنك عند الثانية، اتصلت بزوجتك وطلبت إليها موافاتك إلى المنزل على الشاطيء، وأصريت أن تأتي وحدها، وفوراً لأنك بانتظارها.

ـ إنها كاذبة... زوجتي هي التي اتصلت.

ـ ربما تكون أخطأت.

ـ بالتأكيد إنها مخطئة.

ـ هل لك أن تشرح لنا الأسباب التي دفعت زوجتك لملاقاتك في منزل الشاطيء؟

ـ أعتقد لمناقشة أمر الطلاق.

ـ وهل أبلغت زوجتك أنك راغب بطلاقها.

ـ نعم... فعلت.

ـ لكن الخادمة، تقول، إنها سمعت زوجتك وهي تحادثك على الهاتف. أنها موافقة على الطلاق.

ـ لا يهمني ما تقول الخادمة.

ـ سيد ديميريس، هل تحتفظ بلباس السباحة في المنزل على الشاطئ.

ـ لا... لم يسبق لي أن سبحت هناك.

فتح المفوض جارور طاولته، وتناول كيساً بلاستيكياً.

ـ أوليس هذا هو لك؟

ـ نعم إنه لي...

ـ أتعرف أين وجدناه؟

ـ لا...

ـ في غرفتك بالمنزل على الشاطئ.

قد يكون منسياً منذ زمن طويل.

ـ لكنه كان مبللاً بمياه البحر أمام منزلك.

ـ لا بد أن أحداً فعل ذلك.

ـ ولماذا سيد ديميريس؟

أيضاً عاد المفوض وفتح الجارور وتناول زر سترة رجالية «لقد وجدنا هذا الزر تحت السجادة... أهو لك؟».

ـ لا...

ـ سيد ديميريس، قلت إن اللقاء مع زوجتك كان يهدف إلى مناقشة موضوع الطلاق؟

ـ نعم.

ثانية وضع المفوض، بطاقة التعريف العائدة إلى وكالة كاتيلينوس للتحريات الخاصة. ثارت ثائرة السيد ديميريس.

ـ إهدأ سيد ديميريس... نحن قمنا بما علينا القيام، فأرسلنا أحد أفرادنا إلى الوكالة للاستفسار عن سبب وجود هذه البطاقة في منزلك، فتبين أن زوجتك طلبت منهم حمايتها منك.

انتصب ديميريس واقفاً «لن أبقى هنا لأستمع إلى هذه الأكاذيب».

ـ إهدأ سيد ديميريس... إهدأ.

ـ أمس صرحت أمام الملازم تيوفيليس أنك لم ترَ هذه السكين سابقاً؟

ـ نعم...

ـ لكن بصماتك موجودة على المقبض.

ـ ماذا؟... بصمات أصابعي... هناك خطأ كبير... هذا مستحيل.

وراحت الأفكار تتزاحم في رأسه. ما هذا الذي يسمعه؟ ولماذا قالت الخادمة ما قالت؟... والآن من أين جاءت بصمات أصابعي إلى مقبض السكين؟

ـ أما ترى أن هناك من حاك لي هذه المكيدة؟ فجاء بملابس البحر وزر السترة.

ـ لا... ولكن أما ترى أنك تحاول استغبائي؟ دعني أصدّق ما قلت، ولكن...

صمت المفوض وهو يحدق بديميريس الذي صار الآن يتوقع سماع أي شيء.

ولكن ماذا؟

ـ بصماتك على مقبض السكين.

حكّ ديميريس جبينه «آه... تذكرت... تذكرت...».

ـ تذكرت ماذا؟

ـ تذكرت أن ميلينا، طلبت مني قطع حبل بهذه السكين، ولهذا فبصماتي على المقبض.

ـ وكيف تفسّر وجود ذات الدم على نصل السكين وعلى رمال الشاطىء؟

ـ بالتأكيد... إنها ميلينا تحاول تدميري، جرحت يدها بهذه السكين واتجهت نحو الشاطىء بناء لخطة مدروسة، وكل هذا بسبب رغبتي بطلاقها... لا شك أنها مختبئة في مكان ما؛ وستظهر بعد اعتقالي... إنها حية ترزق.

ـ كنا نتمنى ذلك سيد ديميريس. قال المفوض ديلما. اليوم انتشلنا جثتها من البحر. وهي الآن مسجاة في المشرحة... وهكذا أجد نفسي مجبراً على اعتقالك بتهمة قتل زوجتك.

الفصل الرابع والعشرون

بعد تحذير سبيروس، شرعت ميلينا بالتخطيط للانتقام من زوجها. إنه لا يريد القضاء عليها وحسب، بل وعلى شقيقها الذي سبق له وعارض زواجها من قسطنطين ديميريس.

«لن يكون لك ما تريد يا كوستا... تعوّدت تدمير الآخرين، والآن جاء دورك... لم يعد لوجودي معنى، فحتى صديقاتي امتنعن عن زيارتي... وكل هذا بسبب إهاناتك لي، وعلى مسمع منهن، هذا إضافة إلى محاولات التحرش بالبعض منهن... جعلتني أضحوكة بين الناس... الآن جاء دورك يا كوستا».

فكرت بكل شيء وخططت لكل شيء، حتى بأدق تفاصيله، أقنعته أن يساعدها على قطع الحبل بالسكين، فانطبعت بصماته على مقبضها. قطعت زراً من سترته الجديدة.

اتصلت بشقيقها وأقنعته أن كوستا، يرغب بإقامة هدنة معه ويرغب بمقابلته عند الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم في المنزل الجبلي. واتصلت بزوجها وأبلغته أن شقيقها يرغب في التخلّي عن أسطوله البحري، وهو على استعداد كلي لبيعه جميع سفنه، ومن أجل النقاش حول الصفقة وتفاصيلها، فسبيروس بانتظاره عند الثالثة بعد الظهر في منزله الجبلي.

ذهبت إلى وكالة كاتيلينوس للتحريات الخاصة، وطلبت منهم حمايتها من زوجها الذي هددها بالقتل، إن لم توافق على الطلاق منه.

بعدها عادت إلى المنزل، وطلبت من الخادمة، كأس شمبانيا وفيما الخادمة آتية بالكأس، كانت ميلينا تضع سماعة الهاتف على أنها وتزعق بصوت عال.

ـ إسمعني كوستا... سئمت الحياة معك... أنا موافقة على إجراء معاملة الطلاق.

الحقيقة، لم يكن هناك أحد على الطرف الثاني للهاتف، ميلينا فقط تتكلم لِتُسمع الخادمة ما تريد...

ـ حسناً أمن أجل هذا اتصلت بي؟ أنا موافقة وسأكون على الموعد في منزلنا على الشاطىء...

ـ نعم سأكون عند الثالثة. أعادت ميلينا السماعة إلى مكانها، ووثبت من مكانها، حملت حقيبة صغيرة ونظرت إلى الخادمة.

ـ أعتذر منكِ... إسمعي لقد سمعت كل شيء، أنا ذاهبة لملاقاة كوستا... إن لم أعد عند السادسة... صمتت قليلاً... إن لم أكن هنا عند السادسة كحد أقصى إتصلي بالشرطة.

ـ هل أستدعي السائق سيدتي؟

ـ لا... طلب كوستا أن أكون وحيدة.

ـ أمرك سيدتي.

ما يزال هناك أمر مهم يجب تنفيذه... لا بد من تحذير كاترين ألكسندر.

رفعت سماعة الهاتف واتصلت بمكاتب شركة زوجها في لندن.

ـ أرجو إيصالي بالآنسة كاترين ألكسندر.

ـ إنها خارج الشركة الآن، هل بمقدور أحد غيرها مساعدتكِ سيدتي؟

ـ صمتت ميلينا برهة ثم تذكرت «نعم السيد ويم فاندين».

لحظات قليلة وجاءت صوت ويم «نعم سيدتي».

ـ أرجوك بلّغ الآنسة كاترين ألكسندر أن حياتها مهددة... هناك من سيحاول قتلها، وقد يكون واحداً من الذين أتوا من أثينا.

ـ أثينا...؟

ـ نعم أثينا.

ـ أثينا عاصمة اليونان عدد سكانها ستة آلاف وثمانماية نسمة.

ـ إنتبه... أعرف هذا، لا تنسَ إبلاغها هذا.

لكن ويم لم يشأ إخبار كاترين «من يدري، قد يكون هذا خبراً كاذباً».

في تمام الثالثة وصل ديميريس، إلى منزل سبيروس الجبلي. كان سبيروس غارقاً في تفكيره، متسائلاً عن أسباب رغبة صهره، بإعادة الهدوء والسكينة إلى العلاقات العائلية؟

ـ أهلاً قسطنطين، وأخيراً عدت إلى رشدك وصوابك؟

ـ كم تريد ثمناً لسفنك؟ قال ديميريس.

ـ ومن قال، إن سفني معروضة للبيع؟

ـ ميلينا... وقالت أن أوافيك إلى هنا لإتمام الصفقة.

ـ ماذا؟ أنا هنا، بانتظارك، بناءً لطلبك لمناقشة كيفية إعادة الصفاء إلى علاقتنا... أخبرتني ميلينا، أنك راغب بالمهادنة.

تأكد الإثنان، أن ميلينا جمعتهما لغاية في نفسها. لم يتحمل ديميريس أجوبة شقيق زوجته الرافضة لبيع السفن، فغادر بأسرع ما يمكن، لملاقاة زوجته، عند السابعة مساءً في منزلهما بالقرب من الشاطيء.

فيما كان ديميريس في طريقه إلى سبيروس، كانت ميلينا، تنفذ، ما خططت له.

لم تُبقِ شيئاً في المنزل قرب الشاطيء على حاله، حتى بدا وكأن عاصفة هوجاء، هبت عليه. بللت لباس البحر العائد إلى زوجها بمياه البحر، ووضعته إلى جانبها في غرفة الجلوس فقط بقي أمر واحد...

لعينيك يا سبيروس... لن أسمح لهذا الحقير، أن يمس شعرة من رأسك، تناولت السكين، بعد أن لفت المقبض بنسيج ورقي؛ حتى لا تمحي آثار بصمات ديميريس عنه.

حدقت قليلاً في النصل، قبل أن تطعن خاصرتها، سامحة للدم أن يتدفق، ويتناثر على ثوب السباحة، وعلى السجادة، ووفقاً للخطة التي وضعتها، نهضت، بعد أن عرت مقبض السكين من غطائه الورقي، واتجهت نحو خزانة ملابس زوجها، حيث وضعت لباس السباحة المبلل

بماء البحر، والملطخ بالدماء، وخرجت باتجاه الشاطيء، والدم يتبع خطواتها خطوة فخطوة.

عند التقاء المياه بالرمل، أحست أنها لم تعد قادرة على المسير، إنما ما تزال أمامها بضعة أمتار... فقط بضعة أمتار وموج البحر يتكفل بإغراق جسدها، لملاقاة وجه ربها. كان عليها، أن تفعل ذلك، منذ زمن... إنما اليوم «لعينيك يا سبيروس».

الفصل الخامس والعشرون

«إني أضعك قيد الإعتقال بتهمة قتل زوجتك». كلمات قليلة جداً، جعلت الإمبراطور سجيناً في زنزانة انفرادية. إنه أمر لا يُصدق.

ـ أرجو استدعاء بيتر ديمونيدس.

ـ نعتذر عن ذلك... أعفي بيتر ديمونيدس من مهامه، وهو حالياً، رهن التحقيق.

أفلت من يد قسطنطين ديميريس. ما العمل الآن؟ صباح اليوم التالي، مثل مجدداً أمام المفوض ديلما.

ـ تقولون، إن الجريمة، وقعت عند الثالثة ظهراً؟

ـ نعم.

ـ وإن أثبت أني كنت بعيداً عن مسرح الجريمة.

ـ كيف؟

ـ كنت في لقاء خاص مع شقيق زوجتي سبيروس لامبرو.

ساعة، ليس أكثر، وكان سبيروس وجهاً لوجه مع صهره في قاعة التحقيق.

ـ بحق الله يا سبيروس، أخبر هؤلاء الأغبياء الذين يعتقدن أني قتلت ميلينا... أخبرهم.

ـ وبماذا أخبرهم؟

ـ ميلينا قتلت عند الساعة الثالثة بعد الظهر أول من أمس، أي في الوقت الذي كنت فيه مجتمعاً معك في منزلك الجبلي... أخبرهم عن هذا اللقاء.

ـ أي لقاء؟ تساءل سبيروس لامبرو.

تجهم وجه ديميريس، «عن لقائنا عند الثالثة أول من أمس في منزلك الجبلي».

ـ لا شك أن مساً من الجنون أصابك يا كوستا. هل تطلب مني أن أكون كاذباً؟

ـ ماذا؟... انحنى ديميريس أمام سبيروس «أرجوك قل الحقيقة».

بعنف أبعده لامبرو عنه «الحقيقة، أن شقيقتي قُتلت، وأنت قاتلها».

ـ كاذب... كاذب... يا ابن العاهرة، أنت تعرف كل المعرفة أني بريء من دم ميلينا.

ـ هذا متوقف على ما يقوله القضاء يا قسطنطين ديميريس... أعتقد أن عليك تكليف محام بارع... أليس كذلك؟

أحنى ديميريس رأسه. أين أنت يا نابليون كوتاس؟

الفصل السادس والعشرون

حوار بين كاترين والدكتور هاملتون.

كاترين: أتؤمن بالإحساس الداخلي؟

هاملتون: علمياً لا... ولكن لماذا هذا السؤال؟

كاترين: أحسن أن شيئاً سيحصل.

هاملتون: أهو جزء من أحلامك؟

كاترين: لا... إنما أخبرتك عن المندوبين الذين أرسلهم السيد ديميريس، وطلب مني الاهتمام بهم.

هاملتون، هل هناك أية مشاكل معهم؟ هل يسببون الإزعاج؟

كاترين: ليس بالضبط... ولكن... ينتابني إحساس أجد نفسي عاجزة عن تفسيره أو تبريره.

هاملتون: أخبريني عنهم.

كاترين: إنهم ثلاثة: أميركي مرح، وفرنسي يهتم بزيارة المتاحف وعليّ مرافقته، وإيطالي يحب الطبيعة ويلح علي لمرافقته أيضاً... أفكر بدعوة ويم ليكون معنا... وهناك أمر آخر.

هاملتون: ما هو؟

كاترين: حين وصلت إلى المكتب صباحاً وجدت ويم بانتظاري... كان شاحب الوجه... لم يسبق له أن فعل هذا.

هاملتون: هل هناك من أحلام جديدة؟

كاترين: نعم... حلمت أني أسأل قسطنطين ديميريس عن الأسباب التي دفعته لتوظيفي والإهتمام بي... غير أني صحوت من نومي قبل أن ألقى جواباً.

بعد صمت دقائق «ما رأيك لو تعودين بعد غدٍ صباحاً؟» قال هاملتون.

ـ لا مانع عندي... إلى اللقاء صباح بعد الغد.

وقفت كاترين واستدارت متجهة نحو الباب الخارجي، وعينا هاملتون تتابعان خطواتها «إنها جميلة... فعلاً إنها جميلة... ولكن ما بك يا آلان هاملتون؟ أنسيت أنها مريضتك؟ أنسيت أن كثيرات حاولن إغراءك ورفضت، حفاظاً على قدسية العلاقة بين الطبيب ومريضه؟... لكنها جميلة».

لم تعد كاترين قادرة، على نزع صورة هاملتون من رأسها... إنها مشدودة إليه... «ما بك يا كاترين؟ أنسيت أنه رجل متزوج؟... لست أدري... أهو شعور المريض نحو طبيبه؟... لا.. إنه الإحساس بالإنجذاب».

صباح الموعد، تأنقت كاترين وتألقت، فبان جمالها، لا بل بدت

أجمل وأجمل «وما الهم... إنه آخر لقاء لنا، ما الهم إن رآني بهذه الأناقة».

مثقلة الخطى كانت تدخل العيادة «إنه جذاب جداً... لماذا لم نلتقي قبل أن يتزوج؟ لماذا لم نلتقي، يوم كنت ما أزال إنسانة سوية...؟ ولكن فيما لو كنت إنسانة سوية، فما كنت لألتقيه... ولماذا كان عليّ أن أقصد عيادته وأتعرف عليه؟».

لاحظ هاملتون شرود ذهن كاترين. حتى بعد أن جلست قبالته على الكرسي الجلدي.

نظرت إلى الصورة على المنضدة «منذ متى وأنت متزوج؟». تساءلت قبل إخباره أنها لن تعود إلى هنا بعد اليوم.

ـ متزوج؟... إنها شقيقتي وابنها.

انفرجت أسارير كاترين... ابتسمت شفتاها، لمعت عيناها، وأشرق وجهها «رائع... أقصد إنها جميلة جدا».

ـ كاترين... هل أنتِ على ما يُرام؟

ـ لا شيء... أولست متزوجاً؟

ـ لا...

«أتدعوني للعشاء... ومن ثم إلى الفراش... أتقبل بي زوجة؟».

وماذا تقول؟ أتعترف له بحبها؟ وماذا لو لم يكن يبادلها الشعور بالحب؟

تنهد هاملتون «كاترين... لست أدري كيف أقول لكِ... هذه آخر زيارة لكِ؟».

فوجئت كاترين. كانت هي ترغب بقول ذلك، فإذ به هو يفعل.

ـ ولماذا...؟ هل يزعجك وجودي؟

ـ لا... ولكن من غير اللائق، ولا المسموح، أن يقع طبيب بحب مريضته.

ـ أتعني أنك مغرم بي؟

ـ نعم... ولهذا السبب أنا خائف.

ـ إنك محق بهذا... ولكن ماذا لو نناقش هذا الأمر ونحن نتناول العشاء؟

ـ الليلة؟

ـ نعم الليلة... الليلة.

في مطعم إيطالي صغير، جلسا لتناول الطعام، كما هو مفترض... ولكن... كان كل منهما يأكل الآخر بنظراته... أربع ساعات تحدثا خلالها عن كل شيء... عن المسرح... عن العمل... عن العالم كله... لكنهما، لم يتكلما عما هو أهم... عن المشاعر والأحاسيس... كلاهما كان منفعلاً جنسياً... وبعد صمت طويل.

ـ كاترين، أتذكرين ما قلته صباحاً عن علاقة الطبيب بمريضه؟

ـ ولماذا لا نناقش الأمر في شقتك؟

كانت تقف أمامه في غرفة النوم، وبلا أي خجل أخذت تتعرى بأسلوب إغرائي... ليس هذا وحسب، بل أبت إلا أن تعريه... إنه الإحساس بالحب....

شفتاه تلامس جسدها... والآهات السكرى تصدر من بين شفتيها، فيما الجسد يتلوى، كما الأفعى العطشى تحت شمس آب في الصحراء القاحلة.

كانت تتمنى لو يبقى هاملتون فوقها لأيام وأسابيع وهو كان يتمنى هذا أيضاً.

ـ فعلاً يا آلن إنك طبيب بارع... تعرف كيف تداوي مرضاك... تعرف كيف تشفيهم من عللهم. إني جد شاكرة لك يا آلان.

الفصل السابع والعشرون

ـ والآن ماذا سنفعل؟ تساءلت إيفلين.

ـ لا شيء... سنستمر في العمل وكأن شيئاً لم يكن... لا بد أن هناك تشابهاً في الأسماء. أجابت كاترين...

تشابه في الأسماء؟ ولكن ما من أحد يجيب على الهاتف الخاص أو في المنزل.

اعتبر ديميريس أهم سجين في اليونان، لكنه لم يحظَ بأية امتيازات... أبى المفوض، إلا أن يعامل كأي سجين من نزلاء السجن... ورفض كل طلباته.

في زنزانته، كان يقبع حائراً... أسئلة وأسئلة. ولكن ما من أجوبة. كل الدلائل تشير ـ لا بل تؤكد ـ أنه القاتل. والسؤال الأهم الذي يقض مضجعه، من قتل ميلينا؟ سبيروس لامبرو؟... وهل سيجد أحداً يصدق هذا الإحتمال. أثينا كلها، أغنياؤها وفقراؤها، تتحدث عن حب سبيروس لشقيقته ميلينا. عصابة طوني ريزوللي... ولكن أين هو طوني ريزوللي، لا شك أنه كان أطيب وجبة لأسماك القرش.

من....؟... انتحرت؟... ما هذه السخافة، وهل من قاض سيصدق أنها انتحرت لتوقع به؟ تذكر نويل بايج ولاري دوغلاس... إنه الآن، قد يواجه المصير ذاته... كانت الأسئلة تتزايد، وهو غير قادر على إيجاد

الأجوبة. وإذ بصوت السّجان يقطع عليه خلوته مع نفسه.

ـ محاميك السيد فاسيليكي بانتظارك سيد ديميريس. إنتبه ليس لأكثر من خمسة عشر دقيقة.

ـ حسناً حضرة المحامي... متى سأخرج من هنا؟

ـ ماذا؟

ـ لماذا تتقاضى كل هذه الأموال إذن؟

ـ سيد ديميريس، إنهم يرفضون كل طلبات إخلاء السبيل.

ـ مجنون هذا المفوض... لن أبقى هنا... وماذا عن إخلاء السبيل بكفالة... مهما كانت قيمتها.

ـ رفضت كذلك...

ـ صدقني أنا بريء من دم ميلينا.

ـ ولكن هل لديك أية فكرة... عمن يكون الفاعل؟

ـ لا... اسمع لقد انتحرت... زوجتي انتحرت.

ـ عفوك سيد ديميريس، ما هذا الذي تتفوه به أتعتقد أن أحد سيصدق ذلك؟

صباح اليوم التالي، عاد المحامي لمقابلة ديميريس.

ـ أنا جد آسف سيد ديميريس، ولكن شقيق زوجتك أبلغ الشرطة أن المدعوة كاترين دوغلاس ما تزال حية ترزق.

أحنى ديميريس رأسه «أهل لي بطلب أخير؟»

ـ ما هو؟

ـ إيصال رسالة إلى لندن اليوم اليوم.

ـ وما هي؟

إنها مشيئة الله. وحده يقرر من يميت ومن يبقي حيّاً، وبما له من سلطة وقدرة فإنه إن أراد فعل شيء، فإنما يفعله فوراً... لئلا يسقط من يده... وهو سبحانه تعالى يرغب أن يكون كل شيء وكأنه قضاء وقدر، الليلة.

الفصل الثامن والعشرون

حوار بين ويم فاندين والدكتور هاملتون.

هاملتون: كيف حالك اليوم يا ويم؟

ويم: بخير.

هاملتون: هل أنت سعيد في عملك؟

ويم: إنك تعرف كل شيء.

هاملتون: أخبرني مجدداً.

ويم: إني أكره كل العاملين هناك.

هاملتون: ولكن ماذا عن كاترين ألكسندر؟ ويم... ماذا عن كاترين ألكسندر.

ويم: آه... لن تستمر في العمل هناك.

هاملتون: ولماذا؟

ويم: ستقتل.

هاملتون: ماذا؟... ما الذي تقوله يا ويم؟

ويم: هي أخبرتني.

هاملتون: من... كاترين أخبرتك بذلك.

ويم: لا... امرأة أخرى.

هاملتون: من تكون هذه المرأة الأخرى؟

ويم: زوجته.

هاملتون: زوجة من؟

ويم: زوجة قسطنين ديميريس.

هاملتون: زوجة قسطنطين ديميريس، أخبرتك أن هناك من سيقدم على قتل كاترين ألكسندر؟

ويم: نعم...

هاملتون: ومن سيفعل ذلك؟

ويم: واحد من الرجال.

هاملتون: أتقصد الرجال الآتين من أثينا.

ويم: نعم.

هاملتون: ويم... أنا مضطر للمغادرة الآن... ألقاك فيما بعد.

ويم: حسناً.

الفصل التاسع والعشرون

عند السادسة مساءً، كما كل يوم، كانت كاترين تستعد للخروج من مكتبها، وموافاة السيد جيري هالي لحضور أحد المسرحيات.

كانت تحاول إقفال باب المكتب، حين أخذ جرس الهاتف يرنّ. ويرن دون انقطاع. فاضطرت إلى العودة.

ـ آلو.

ـ كاترين...؟ إنه صوت هاملتون «شكراً لله أنكِ ما تزالين في مكتبك».

ـ ما الأمر يا هاملتون.

ـ هناك من سيحاول قتلك.

ـ من؟

ـ لست أدري... ولكن أرجوكِ البقاء حيث أنتِ... إني آتٍ إليكِ، فلا تتحركي من مكانك.. أقفلي الباب بإحكام واطفئي الضوء.

ما إن أعادت كاترين السماعة إلى مكانها. حتى ظهر أناناس.

ـ ما بك آنسة ألكسندر... لماذا أنتِ شاحبة اللون؟

ـ هناك من يحاول قتلي.

فوجيء أناناس بما سمع «لماذا..؟ ومن؟»

ـ لست أدري.

تظاهر أناناس أنه يرغب بالمغادرة، فصاحت كاترين.

ـ أرجوك إبقَ معي... الدكتور هاملتون في طريقه إلى هنا.

ـ ما عليكِ إلا الإختباء في الطابق الأرضي... لن يعتقد أحد أنكِ هناك...

ـ وهاملتون؟

ـ أنا... أبلغه عن مكانكِ... ولكن أما لديكِ فكرة، عمن يتمنى موتك؟

تذكرت كاترين أحلامها، وتذكرت ديميريس.

ـ لا... لست متأكدة.

حدق أناناس بوجه كاترين... «أعتقد أني أعرف».

ـ من؟

ـ أنا... أنا لا أحد غيري. وتناول سكيناً نابضاً من جيبه ووضع نصله أمام عينيها.

ـ ما هذا المزاح يا أناناس؟

ـ أنا لا أمزح... هل سبق لكِ وقرأت رواية «موعد في سامراء؟»... بالطبع لا... ولن يكون لديكِ وقت لقراءتها... إنها حكاية الهارب من

الموت إلى سامراء، لكن الموت يتبعه إلى هناك... وها أنتِ، الآن، في سامراء يا كاترين.

تشوشت أفكار كاترين، وهي تنظر إلى وجه أناناس الذي يحمل براءة الطفولة، لم تكن تدري، أنه في الثلاثين من العمر، وأنه مجرم محترف، عاش طفولة بائسة، عرف الجوع بكل معاناته، شاهد الجنود، يغتصبون أمه أمام عينيه، قبل قتلها.

قادها أناناس نحو الطابق الأرضي، حيث مراجل المياه التي تزود المبنى بالمياه الساخنة.

ـ أنتِ هنا في مأمن من كل الأخطار يا كاترين.

ـ ولكن لماذا يا أناناس؟ لماذا أنت بالذات.

ـ إنه جزء من عملي... من المهمة التي أتيت الى هنا من أجل تنفيذها... إنكِ تساوين خمسين ألف دولار...

ـ ومن أبلغ الطبيب.

ـ لست أدري...

ـ ليس هماً. كائناً من كان.. أنتِ الآن تعيشين آخر دقائق في حياتكِ، فلا تحاولي الهروب من هنا، وإلا كسرت رجليكِ ويديكِ، وهذا مؤلم جداً... ولا أريدك أن تتألمي... أريدك أن تموتي وأنتِ لا تشعرين بأي ألم.

أحكم أناناس الإمساك بذراعي كاترين، فيما هي تشعر بنصل السكين النابض على عنقها.

ـ لا تخافي... لن أذبحكِ... بل لن أدع أحد يتعرف إليكِ... حتى لن أدع أحداً يدري أنكِ كنتِ هنا...

استعان بحبل وقيد يديها على عامود خشبي، ثم كبل قدميها فوق الكاحل بقليل «أرأيتِ يا كاترين ألكسندر... أنتِ والعامود ملتصقان... أنظري إلى هذا المرجل... إنه ينفجر... متى؟... على درجة الحرارة 400 درجة مئوية... آه نسيت أن أقول لكِ... له صمام أمان... لكنني سأعطل هذا الصمام».

تقدم أناناس من كاترين، نزع القميص عن صدرها، وأخذ يقبلها ويداعب نهديها...

ملعون هاملتون هذا... كان بودي لو أمارس الجنس معك قبل موتكِ... ولكن لا وقت لدي... فهاملتون آتٍ... أولم تقولي هذا... وداعاً يا كاترين ألكسندر..

- إلى أين... لا تتركني وحيدة، حلّ قيودي يا أناناس، دعنا نتكلم....

- لا وقت لدي، علي العودة الليلة إلى أثينا... لا تخافي لن أطفيء النور.

أدار ظهره. صَفَق الباب وراءه واختفى... لم يعد هناك إلا صوت الماء تغلي في المرجل... إنه الآن على الدرجة 150 كما يدل المؤشر... مسكينة كاترين... تهرب من الموت والموت يلاحقها.

ارتفعت الحرارة، فبلغت الـ 170 درجة مئوية، حدقت كاترين والخوف يعطل كل حواسها. وماذا بمقدورها أن تفعل؟ يداها مقيدتان إلى العمود ورجلاها مكبلتان أيضاً؟ حدقت فإذا بزجاجة الخمر الذي شربها أناناس قريبة منها... أخذت تزلق جسدها على العمود حتى أصبحت وكأنها جالسة على الأرض مدت رجلها لالتقاط الزجاجة، بعد ثلاث

محاولات تمكنت من ذلك... والآن عليها كسر هذه الزجاجة... كيف؟ المؤشر الحراري يدل على ارتفاع درجة حرارة المياه في المرجل إلى 190 درجة مئوية «يا إلهي.... يا إلهي».

أخذت تستدير حول العامود، حتى تتمكن من التقاط الزجاجة بيدها... إنها عملية صعبة... الألم في رجليها ويديها. لكن حب الحياة يفعل المستحيل... صارت الزجاجة على مقربة من راحة يدها... إنه الألم يزداد ويمنعها من استكمال عملية الاستدارة... لكنها الحياة...

حرارة المياه، داخل المرجل، وصلت إلى ...280.

أمسكت بعنق الزجاجة، إذن ما عليها إلا كسرها، ولكن... كيف... يداها شبه مخدرتان... إضافة إلى جو الغرفة الخانق بالحر...

هاملتون، يواجه زحمة سير خانقة، حاول الوصول إليها، عبر الطرق الخلفية... إنما بلا جدوى... رحلة لا تستغرق أكثر من عشر دقائق. استغرقت نحواً من 45 دقيقة.

عند الرصيف أوقف سيارته...

مؤشر الحرارة وصل إلى الـ 400 درجة مئوية...

أسرع هاملتون في محاولته لدخول مبنى الشركة، لكنه سرعان ما سمع دوي إنفجار ضخم، وارتفعت ألسنة اللهب، اشتعلت خزانات الوقود أيضاً... وامتلأ الجو بالدخان، وعبقت رائحته...

وقف هاملتون، عينان دامعتان... ماذا تبقى؟ لا شيء سوى الموت.

أناناس. كان يتلذذ باغتصاب الضحية قبل إماتتها، لا فرق عنده بين

الفصل الثلاثون

امرأة ورجل، لكنه هاملتون الملعون حال دون اغتصاب كاترين...

نظر إلى ساعته «هناك متسع من الوقت» قصد أحد الأزقة حيث بائعات الهوى، منتشرات على الرصيف. لم تلتفت إليه أية واحدة منهن «ماذا يفعل هذا الطفل هنا؟ أيعرف أبواه أين هو؟» كن يتساءلن... مسكينات... منخدعات بذاك الوجه الذي ترتسم عليه ملامح طفولة بريئة.

تقدم من إحداهن.

ـ أترغبين بممارسة الجنس معي؟

ضحكت العاهرة وهي تنظر إليه «معك؟... وهل تعرف كيف تمارس الجنس؟».

ـ نعم... كما تريدين؟... لم ينتظر رداً. فقدها يسيل اللعاب، وصعد معها إلى غرفتها في الطابق الثاني... كانت تصعد الدرج، وهي تهزأ منه... لكنها، وبعد أن تعرى، فوجئت وحاولت إعادة نقوده إليه، شرط أن يتركها وشأنها...

ـ لا... لن يكون هذا... قبل مضاجعتك.

ـ أقبل يديك... لست قادرة على ذلك...

رماها بعنف على السرير، وأخذ يصفعها.. لذته في تعذيب الآخرين، حاولت الصراخ لكنه منعها، كم فمها بيده وهي تتساءل «أيعقل أن يكون هذا طفلاً؟».

منهكة تركها... ورحل... باتجاه المطار.. إنها التاسعة والنصف ليلاً...

قدم أناناس بطاقة سفره إلى الموظف المسؤول «أناناس ستافيتش... أناناس ستافيتش». نظر الموظف إلى رجل يقف قرب أناناس، وأومأ إليه، اقترب الرجل معتذراً بكل تهذيب.

ـ هل... هل هناك أي خطب؟

ـ لا سيدي. إنما لا مقاعد على الطائرة... فهل تتفضل معي إلى المكتب لتسوية الأمر سريعاً.

ابتسم أناناس «حسناً... إنما أرغب السفر الليلة...».

ـ سيكون لك ما تريد... تعال معي....

ولما لا...؟ أناناس، يمني النفس بقبض خمسين ألف دولار أميركي، سيضعها في حساب خاص في أحد المصارف السويسرية، ويسافر إلى الريو دي جانيرو، لإشباع لذاته مع فتيات أميركا الجنوبية.

ما إن دخل أناناس المكتب حتى فوجيء بمن يرى «لقد قتلتك... قتلتكِ. فكيف أنتِ هنا؟».

كان ما يزال يزعق، غير مصدق لما رأت عيناه، حين أقتاده رجال الشرطة إلى السجن...

لم يكن أناناس... يدري أن كاترين تمكنت من تحرير نفسها، وخرجت من حيث تركها تواجه الموت، قبيل لحظات من انفجار المرجل... لم يكن يدري، أنه حين كان يضاجع العاهرة. كانت كاترين قد تمكنت من كسر الزجاجة. وقطعت الحبل الذي يوثق يديها...؟ مسكين أناناس، لم يكن يدري إلا أن قسطنطين ديمتريس في انتظاره بأثينا، بعد أن تمكن اثنان من كبار المحامين بإخراجه من زنزانته لقاء كفالة مالية ضخمة...

الفصل الحادي والثلاثون

قبيل موعد إنتهاء محاكمة قسطنطين ديميريس بأيام، كانت كاترين تمضي شهر العسل مع آلان هاملتون في جنوى، أجمل المدن الإيطالية... زارت الكنائس الأثرية وقصور أثريائها القدامى... جنوى مدينة المئة وعشرين جزيرة الموصولة بأربعماية جسر، ووقفت على جسر التنهدات... فيما مضى كان الواقفون على هذا الجسر، يتنهدون خوفاً ورعباً لأنهم عارفون أنهم بعد لحظات سيغادرون هذه الدنيا ويذهبون لملاقاة ربهم. هكذا كان الإقطاعيون، يعدمون عبيدهم الذين يتمردون عليهم. أما اليوم فكاترين تتنهد كمن يتنفس الصعداء.

شكلت جنوى جسر عبور لكاترين، من أحلام منتصف الليل التي هي كوابيس تزرع الخوف في عقلها، وتمنع عنها العيش باطمئنان، إلى أحلام تبعث الدفء والسكينة والهدوء...

إلى جانب هاملتون، ركبت الجندول والصندل، ويداً بيد، سارا معاً تحت المطر، غير آبهين بالتبلل ولا بأي شيء آخر، فالحب يبعد كل المخاوف والهواجس.

في الغرفة بالفندق، كانت كاترين تقف إلى جانب النافذة... مطر غزير، وميض البرق ينير السماء، وقصف الرعد يدوي في الآذان..

ـ إنها عاصفة رعدية قال هاملتون.

ـ عاصفة؟... وأية عاصفة هي هذه، ولكن متى تنتهي؟

ـ دعينا نسمع الأخبار عبر الراديو.

أدارهاملتون الراديو «في أثينا، تكاد محاكمة رجل الأعمال اليوناني المشهور قسطنطين ديميريس، تصل إلى نهايتها، وقد تنطق هيئة المحكمة حكمها غداً أو بعد غد.

ـ ما رأيكِ يا كاترين؟

ـ وهل يعقل أن يبرأ؟... كل الأدلة ضده...

ـ من يدري يا حبيبتي...

الفصل الثاني والثلاثون

قبل خمسة أيام من جلسة نطق الحكم، كان ديميريس في زنزانته ينتظر قدوم محاميه، وإذا بصوت السجان يناديه، «لديك زائر يا كوستا».

تباً لهذا السجان، يناديني كوستا، أنسي من أكون. أنا من كان الجميع يهابه، فإذا الجميع، يعاملني كمجرم عادي، لا بل أقل من عادي... الكل يحتقرني.

خرج ديميريس إلى غرفة الإنتظار.

ـ يا إلهي؟؟؟ صاح كوستا، مرعوباً ومندهشاً..

ـ هذا ليس شبحي، بل أنا... أنا نابليون كوتاس بشحمه ولحمه... تعال، اقترب مني..

ـ أولم تمت؟

ـ أنت اعتقدت ذلك... ولكن الله وهبني الحياة، وها أنا الآن آتٍ لأمنع حبل المشنقة، من أن يلتف حول رقبتك.

ـ كيف؟

ـ لقد أقنعت سيبروس لامبرو، أن يشهد لصالحك، أن يعترف أنك كنت معه ساعة مقتل شقيقته.

ـ ولماذا يفعل هذا؟ مقابل ماذا؟

ـ مقابل ثروتك... كل ثروتك... الشركات المناجم، الصحف والبواخر.

ـ إنه ثمن باهظ...

ـ أعرف... ولكن إن لم توافق فستعدم، وماذا تنفعك كل الأموال؟ لا شيء. تضع الدولة يدها عليها، وأنت توضع في صندوق خشبي، وقد لا يحضر أحد جنازتك سواي.

ـ كيف أقنعته؟

ـ خيّرته بين أمرين، إما أن تُحكم بالإعدام وتعدم ولا يستفيد هو شيئاً، أو ينال ثروتك ويتسلى برؤيتك فقيراً معدماً، تتعذب كما عذبت شقيقته.

ـ فعلاً إنك محامٍ خسيس...

ـ اليوم صرت خسيساً يا كوستا؟

في القاعة ذاتها التي حوكم فيها كلاً من لاري دوغلاس ونويل بايج، بدأت محاكمة قسطنطين دميريس بمطالعة للمدعي العام ديلما، شدد فيها على أن المتهم، وانطلاقاً من ثرائه، تمتع بمميزات جد خاصة ومميزة، لكن هذا، لا يعني أبداً، أنه صار يتمتع بحق إصدار أحكام إعدام الآخرين، وفقاً لما يراه مناسباً مع أهوائه ورغباته، فأقدم، وبدم بارد، على قتل زوجته ورمي جثتها في البحر إخفاءً لجريمته. لذا أطالب بانزال أشد العقوبات، واعتبار فعلته هذه، جريمة قتل متعمد، وعن سابق تصور وتصميم. وشكراً.

نادى رئيس المحكمة على الشاهد الأول، الملازم في الشرطة اليونانية تيوفيليس.

توجه ديلما للشاهد، طالباً منه، قول الحقية دون زيادة أو نقصان.

ـ حضرة الملازم كيوفيليس، هل تروي لنا ما رأيت وما سمعت عن هذه الجريمة؟

ـ حين وصلنا إلى مسرح الجريمة، كان المنزل، وكأنه تعرض لعاصفة هوجاء، أو وكأن عراكاً حاداً حدث فيه.

ـ وماذا عن السكين؟

ـ كانت مضرجة بالدم.

ـ هل تعرفتم إلى البصمات التي كانت على المقبض.

ـ نعم... كانت بصمات السيد دميريس... هذا ما أفادنا به مختبر الأدلة الجنائية.

ـ وماذا أيضاً؟

ـ وجدنا ملابس البحر العائدة للسيدة دميريس، ما تزال مبللة بالمياه، وزر سترة تحت طرف السجادة.

محامي الدفاع... الشاهد لك.. قال رئيس المحكمة.

ـ شكراً سيدي قال كوتاس وتوجه مباشرة نحو تيوفيليس.

ـ من خلال متابعتك لسيرة حياة المتهم، هل تعتقد أنه إنسان ذكي أم عادي؟

ـ الكل يشهد له بذكائه.

ـ وهل تعتقد، أن إنساناً ذكياً، خطط لارتكاب هذه الجريمة، يترك وراءه كل هذه الأدلة؟ من بصماته على مقبض السكين، ولباس بحر مبلل بمياه البحر، إلى زر سترته الذي انتزعته زوجته عنها أثناء عراكهما؟ ومن ثم هناك سؤال مهم، لا بل هو الأهم... أكان المتهم يرتدي سترة غالية الثمن أم ملابس البحر؟

ـ أنا أقول ما رأيت... قال نيوفيليس.

الشاهد الثاني كان السيد كاتيلينوس. صاحب وكالة كاتيلينوس للتحريات الخاصة.

ـ سيد كاتيلينوس. قال كوتاس، لا شك أن لديك خبرة واسعة في مجال عملك؟

ـ نعم، وإلا لما أتت إلينا السيدة ديميريس.

ـ حين أتت إليكم، هل كان الخوف يسيطر عليها أم؟

ـ كانت جد خائفة.

ـ لماذا؟ من زوجها؟

ـ نعم سيدي.

ـ وكم عنصراً أفرزت لحمايتها، واحداً أم اثنين؟

ـ لا أحد...

ـ لا أحد؟؟؟ صاح كوتاس متسائلاً... لماذا؟

ـ بناءً لطلبها... لقد طلبت أن تبدأ الحماية بعد ثلاثة أيام.

ـ يبدو أنك لا تقول الحقيقة، فكيف تأتيك امرأة مرعوبة خائفة من إمكانية إقدام زوجها على قتلها، ومن ثم تطلب، تأجيل موعد بدء الحماية.

ـ هذا الذي حدث.

ضحك كوتاس. هذا يجبرني على التساؤل، عما إذا كانت السيدة ديميريس خائفة فعلاً، أم أنها كانت تحاول خداعك؟ على كلٍ شكراً لك.

الشاهد الثالث هو الخادمة في منزل السيد ديميريس.

ـ هل سمعتِ فعلاً كل الحديث الذي دار بين السيدة ديميريس وزوجها... أقصد عبر الهاتف. قال المدعي العام.

ـ نعم سيدي...

ـ هل من الممكن إطلاعنا عما سمعتِ؟

ـ سمعت السيدة ديميريس تتحدث إلى زوجها عن الطلاق وطلب منها موافاته إلى المنزل قرب الشاطيء.

ـ هل حدد لها موعداً معيناً؟

ـ نعم... عند الساعة الثالثة... وطلب أيضاً أن تكون وحيدة.

ـ وماذ بعد؟

ـ لا شيء. لكنها طلبت مني الإتصال بالشرطة إن لم تعد بحلول السادسة.

- شكراً سيدة أندريا... قال ديلما وتابع: الشاهدة تحت تصرف محامي الدفاع.

ببطء تقدم كوتاس. سيدة أندريا. تقولين إنكِ سمعتِ السيدة ديميريس تناقش أمر الطلاق مع زوجها، وأنه طلب إليها أن توافيه وحدها إلى المنزل قرب الشاطيء... أليس كذلك؟

- نعم... وحدد لها موعداً عند الثالثة ظهراً.

- هل كنتِ تسمعين الحديث عبر جهاز الهاتف الآخر؟

- لا... ليس هناك جهاز آخر... بل كنت أتسمّع لما تقوله السيدة.

- حسناً... هذا يعني أنكِ لم تسمعي صوت السيد ديميريس؟

- نعم...لا... لم أسمع صوت السيد ديميريس.

- ولماذا كنتِ متواجدة في الغرفة ذاتها مع السيدة ديميريس ساعتئذٍ.

- بناءً على طلبها.

- هذا يعني، كان مفترضاً بكِ وضع كأس الشمبانيا على الطاولة والخروج، لكنها طلبت منكِ البقاء، وكأنها تريدكِ أن تسمعي الحديث؟

- لست أدري، أعتقد ذلك.

- إذن... عملياً، أنتِ لم تكوني على معرفة بهويّة الشخص الذي تتحدث إليه السيدة ديميريس... أو لربما كانت تتكلم مع نفسها وتتظاهر أنها تحادث زوجها...

- لست أدري.

- سؤال أخير سيدة أندريا.

- تفضل سيدي.

- هل سبق لأي منهما أن سمح لكِ الإستماع إلى أحاديثهما الخاصة، إن وجهاً لوجه، أو عبر الهاتف؟

- لا... أبداً... إنه أمر غير مسموح.

- لكن... وانتبهي أنكِ ما تزالين تحت القسم... السيدة ديميريس، طلبت إليكِ البقاء في الغرفة.

- نعم... بقيت بناءً لطلبها.

- ولكن... لماذا؟

- لست أدري.. اعتقدت أنها تريد شيئاً آخر غير الكأس.

- من يدري؟... لربما كانت ترغب أن تجعلكِ تسمعين إلى كل كلمة تقولها. شكراً سيدة أندريا...

المفاجأة الكبرى، كانت في اليوم السادس للمحاكمة. إنه الشاهد الأساس الذي، بناء لشهادته، قد يدان قسطنطين ديميريس، بتهمة قتل زوجته أو يبرأ. إنه سبيروس لامبرو الذي عقد الصفقة مع المحامي نابليون كوتاس.

في الموعد المحدد، وقف سبيروس لامبرو أمام قوس المحكمة. وأقسم أن يقول الحقيقة. كل الحقيقة، دون زيادة أو نقصان.

تقدم نابليون كوتاس من الشاهد مبتسماً.

ـ أنت شقيق المغدورة ميلينا زوجة المتهم.

ـ نعم...

ـ معروف أنك كنت تحب شقيقتك حتى درجة العبادة؟

ـ نعم.

ـ ومعروف أيضاً، أنك عارضت زواجها من السيد قسطنطين ديميريس، أي المتهم الماثل أمامنا هنا.

ـ نعم.

ـ ومعروف أنك لم تكن على علاقة جيدة بصهرك.

ـ نعم... لا بل كنت أحاول تدميره، وهو يحاول ذلك أيضاً.

ـ لماذا؟

ـ بسبب معاملته لها. كان فظاً خشناً، لا يحترمها. كان زير نساء. كنت، وما أزال أتمنى الموت له.

ـ ولهذا قلت إنك لم تكن على موعد معه ساعة حدوث الجريمة.

ـ نعم.

ـ والآن... أنت تحت القسم.

ـ ليس بمقدوري إلا قول الحقيقة.

ـ إذن... هل كنت فعلاً على موعد مع المتهم ساعة وقوع الجريمة... أي عند الساعة الثالثة.

ـ نعم.

ـ أين؟

ـ في منزلي الجبلي في أكروكوريث.

ـ هل حضر المتهم إليك؟

ـ نعم جاء في الموعد المحدد.

ـ من طلب منكما ملاقاة الآخر؟ أنت أم هو؟

ـ لا أنا ولا هو.

ـ إذن... كيف حدد الموعد؟

ـ اتصلت بي شقيقتي صباح ذاك اليوم، وأبلغتني أن زوجها يريد مقابلتي عند الساعة الثالثة، في منزلي باكروكورينث.

ـ لماذا؟

ـ قالت، إنه يرغب ببدء حياة عائلية جديدة، يسودها الود والوئام، وعلمت أنها اتصلت به أيضاً، وأبلغته رغبتي بملاقاته في الزمان والمكان المحددين، لمناقشة أمر بيعي أسطولي البحري له.

ـ وماذا حدث؟

ـ جاء في الموعد المحدد، ووجدنا اننا خُدعنا معاً، لا هو يرغب بالمصالحة، ولا أنا أرغب ببيع سفني، لا له ولا لغيره.

ـ وماذا بعد سيد لامبرو.

ـ خرج غاضباً... كذلك كنت أنا...

ـ كم دام اللقاء؟

ـ ليس أكثر من ربع ساعة. خرج بعده غاضباً، وأقلع بسيارته بسرعة مجنونة.

ـ حسناً سيد لامبرو، عليّ تذكيرك أنك ما تزال تحت القسم.

ـ أعرف هذا

ـ كم من الوقت، يستغرق قطع المسافة من منزلك الجبلي في أكروكورينث إلى منزله بالقرب من الشاطىء؟

ـ ليس أقل من ثلاث ساعات.

ـ أمتأكد أنت؟

ـ كل التأكيد.

ـ هذا يعني أنه كان عليه القيادة لمدة ثلاثة ساعات على الأقل، قبل الموعد المفترض لوقوع الجريمة، وثلاث ساعات بعد ذلك الموعد.

ـ نعم.

شكراً سيد لامبرو.

ساد القاعة هرج ومرج، ثم توجه نابليون كوتاس، بالكلام لهيئة المحلفين.

ـ أترون أيها السادة؟ وقعت الجريمة عند الثالثة ظهراً... وفي هذا الوقت بالذات، وبناءً لشهادة شقيق المغدورة، الذي كان وما يزال يتمنى الموت للمتهم، كما سمعتم، في هذا الوقت بالذات كان موكلي مشغولاً بقيادة سيارته، ذهاباً باتجاه أكروكروينث والعودة من هناك، فهل يعقل أن يكون القاتل؟

ابتسم ديميريس ـ يا له من سبيروس لامبرو.. كم هو خسيس ونذل.

في اليوم التالي، انعقدت المحكمة للنطق بالحكم، توجه رئيس هيئة المحكمة لهيئة المحالفين متسائلاً عما إذا كانوا قد توصلوا إلى نتيجة نهائية.

ـ نعم سيدي... إنه غير مذنب في هذه القضية المطروحة أمامنا...

أمسك القاضي، مطرقته، وطرق الطاولة، طالباً من الجميع الصمت المطبق لسماع الحكم النهائي.

ـ بناءً لقرار هيئة المحلفين، تبين أن المتهم الماثل أمامنا، السيد قسطنطين ديميريس، هو بريء من دم زوجته ميلينا لامبرو ديميريس، لهذا قررنا، إطلاق سراحه فوراً. ما لم يكن متهماً، أو يحاكم بتهمة ارتكاب جرائم أخرى.

صفق ديميريس وهو يبتسم «فعلاً إنه محام بارع، مع أنه حقير وخسيس».

تقدم نابليون من موكله مبتسماً بخبث «لا تفرح يا صديقي».

ـ ولماذا لا أفرح؟

ـ إننا الآن معاً... أنت وأنا... سنحاكم بتهمة التسبب بإصدار حكم الإعدام بحق لاري دوغلاس وعشيقته نويل بايج. وأنت وحدك... أقول وحدك... ستحاكم بتهمة محاولة قتل كاترين ألكسندر في لندن... إنها ما تزال على قيد الحياة. لقد فشل أناناس ستافيتش في تنفيذ المهمة التي أوكلتها إليه. أرأيت يا صديقي، لماذا قال القاضي «ما لم يكن متهماً، أو يحاكم بتهمة ارتكاب جرائم أخرى». على فكرة..

ـ ماذا بعد أيها الخسيس؟

ـ كاترين ألكسندر.

ـ ما بها؟

ـ تزوجت من الدكتور آلان هاملتون... مسكين أنت يا صديقي، لم ولن، تتمكن من رؤية جسدها.

هذا الكـتاب

قسطنطين ديميريس، ثري يوناني، صاحب أكبر أسطول بحري لناقلات البترول وسفن الشحن في اليونان، متسلط، عنيد، الغاية عنده تبرر الوسيلة، لا يردعه قانون، ولا وازع أخلاقي، مهووس بالنساء، كهوسه بجمع المال، الويل لمن يقف في وجهه.

تسبب في إعدام رجل و امرأة، عن جريمة لم ترتكب. أما لماذا؟ فلأنها أحبت غيره. لم يكتفِ بهذا القدر، بل راح يقضي على الشهود، واحداً بعد الآخر.

بقيت كاترين دوغلاس، لا يريد القضاء عليها، قبل اتخاذها عشيقة لفترة ما... إنها جميلة وجذابة.

ولكن؟ من سيتمكن من القضاء على الآخر؟ هو أم هي؟

ISBN 9718504 73-7
9 789718 504734

دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع
بناية يعقوبيان - بلوك ب طابق3 - شارع الكويت - المنارة - بيروت 2036 6308
لبنان - تلفاكس: 009611-740110 E-Mail: alkhayal@inco.com.lb